الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 402 - من الثلاثاء 16 إلى الاثنين 22 أفريل 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

رئيس أعلى هيئة عسكرية بـ «الناتو» في تونس

رُوما في قرطاج مرة أخرى

دراسة لمنظمة أمريكية إسلامية :

إسرائيل تدمّر قطاع غزة للسطو على مخزونه من النفط والغاز

مثقفون يتحدّثون لـ«الشارع الثقافي» :

مثقّف اليوم خاسرٌ، جائع، مهمّش، ومُنكَّل به.. ومن حقّه أن يحيا حياة كريمة

افتتاحية

درس من السينغال

بقلم :د. رفيق بوجدارية

درس من السينغال

بقلم : د. رفيق بوجدارية

منذ الجولة الأولى فاز باصيرو ديوماي فاي أمين عام ومرشح حزب باستيف "الوطنيون الأفارقة في السينغال من أجل الأخلاق والأخوّة" بالانتخابات الرئاسيّة التي شهدتها البلاد مؤخرًا، ليتأكّد تمايز السينغال في الديمقراطية وسط بيئة إقليمية مضطربة (غرب أفريقيا) اشتهرت بالانقلابات ..

سبق هذه الانتخابات جدل كبير قبل إجرائها وذلك عند محاولة الرئيس المتخلي تأجيلها وأيّده البرلمان في ذلك، مقابل رفض المجلس الدستوري التأجيل فضلًا عن وجود الفائز بها داخل السجن لكن أطلق سراحه، هو ورئيس حزب باستيف أياما قليلة قبل الإنتخابات وبالتالي خرج باصيرو من السجن إلى القصر .

• هذه الانتخابات هي الأولى التي لم يترشح فيها الرئيس المنتهية ولايته "ماكي سال"، إذ يمنع الدستور الترشح لأكثر من دورتين، وهنا احترم سال الدستور ولم يترشح للرئاسة، رغم محاولة التأجيل التي أفشلها الشارع وأسقطها المجلس الدستوري. كما أنها الانتخابات الأولى التي تحسمها المعارضة من الجولة الأولى في مواجهة المرشح الرئاسي وهو مؤشر على نزاهة هذه الانتخابات التي تمت تحت مراقبة إقليمية ودولية.

• إن وراء حسم الإنتخابات منذ الجولة الأولى لصالح مرشح المعارضة أسباب داخلية وأخرى خارجية:

فداخليًا، أدت حملات القمع على رموز المعارضة السياسية في السنوات الثلاث الأخيرة، وخاصة تلك التي طالت حزب باستيف في شخص رئيسه التاريخي عثمان سونكو وأمينه العام باصيرو إلى التنسيق بين قوى المعارضة ، فضلًا عن التعاطف الشعبي مع حزب باستيف، خاصة بعد حبس قادته لأسباب سياسية وليست قانونية. كما أدى تردي الأوضاع الاقتصادية في البلاد بصورة كبيرة إلى رغبة في تغيير إدارة البلاد ، فضلًا عن وجود مجتمع مدني ناشط مقارنة بغيره في الكثير من البلدان الأفريقية.

كل هذه العوامل دفعت في اتجاه التغيير، خاصة أن حزب باستيف رفع شعار التحرر من التبعية لفرنسا ، معتبرا إياها السبب في ما آلت إليه الأوضاع الاقتصادية والسياسية من ترد .ولقد لعبت التغييرات في دول غرب إفريقيا دورًا هامًا في تعزيز هذا الرفض لفرنسا، خاصة في ضوء الانقلابات التي شهدتها النيجر ومالي وبوركينا فاسو ضد أنظمة كانت تابعة لباريس.

إن فوز مرشح باستيف دون غيره من المرشحين يعود إلى برنامج الحزب الذي رفع شعار محاربة الفساد بكل أنواعه، والذي استشرى بصورة قوية في البلاد في عهد سال، فضلًا عن تبني فكرة "التغيير المنهجي"، والتجديد في أساليب الإدارة العامة، وإدخال تعديلات دستورية تنهي تمركز السلطات في يد رئيس البلاد، مع إمكانية إعفائه وتقديم برنامج لإصلاح القضاء الذي يعتبره باستيف سلاحًا سياسيا ضد الخصوم، فضلًا عن التعهد بملاحقة الجرائم الاقتصادية والمالية.

إن المشاركة القوية للشباب والفقراء في الانتخابات، كانت محددة لصالح مرشح باستيف، وقد تجاوب هؤلاء مع برنامج الحزب في ما يتعلق بمواجهة البطالة، ووضع حد للنفوذ الفرنسي، وبعث عملة وطنية لتعويض الفرنك الأفريقي الفرنسي الموحد لغرب أفريقيا والذي هو عنوان للتبعية. كما أن حياد الشرطة والجيش، لم يمكّن مرشح الحزب الحاكم من أية أسبقية ، بل دفعه للإعلان عن هزيمته حتى قبل الإعلان الرسمي عن النتائج، ليعفي السينغال من الجدل الذي تشهده بعض الدول الأخرى من الطعون الدائمة في النتائج ورفض الاعتراف بالهزيمة وما يترتب عن ذلك من عنف واقتتال.

إن أسباب نجاح التجربة السينغالية تكمن فى نجاح هذا البلد الأفريقى في تحصين نفسه بقيم الديمقراطية والحرية والتحرر واحترام الخصوصيات والتنوع والحرص على توظيف العوامل الداخلية لصالح بناء دولة مدنية ديمقراطية تقوم على تماسك مجتمعي لعب فيه التعليم دورا مهما إلى جانب الدور الكبير للإسلام الصوفي في المجتمع السينغالى والذي نجح في تحصينه ضد الإسلام السياسي .ويجد الإسلام الصوفي في السينغال جذوره التاريخية ومرجعيته في عين ماضي وفي نفطة التونسية. كما لا يمكن عدم ذكر الإسهام الفكري الكبير للرئيس المؤسس سنغور عندما تخلى عن الحكم ليفسح المجال للشاب عبدو ضيوف ونصح بذلك صديقه الرئيس بورقيبة في أوائل الثمانينات لكن دون جدوى ..

إرتبطت حضارة أرض التيرنغا بالنهر والماء وبضراوة أسودها وبالاسلام الطرقي وبالحكمة الافريقية و" الثقافة الزنوجية". وقد إنضافت الديمقراطية الى هذه العناصر كقيمة راسخة أصبحت تقليدا سينغاليا وسط قارة إفريقية لازالت خطواتها متعثرة في هذا المجال ولازال إنتقال السلطة في غالب بلدانها غير سلمي ولا يمر عبر الصناديق بل عبر فوهات البنادق....

في المحصلة أثبت لنا السينغال الشعبي والسياسي، إمكانية التغيير السلمي عبر صندوق الانتخابات من خلال وجود شعب متماسك واعٍ ومتمسك بحقوقه الدستورية، وأحزاب سياسية تتقاطع مع مجتمع مدني ناشط وفعّال، وحياد مؤسسات الدولة وفوق ذلك كله وجود محكمة دستورية تتحمل مسؤوليتها.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

رئيس أعلى هيئة عسكرية بـ «الناتو» في تونس

كوثر زنطور

الأميرال روب باور، رئيس اللجنة العسكرية لحلف شمال الأطلسي "الناتو"، في زيارة الى تونس بيومين انطلقت يوم أمس الاثنين والتقى خلالها وزيري الدفاع والخارجية . ويعتبر الاميرال روب واحدا من أهم مسؤولي الناتو الذين زاروا تونس منذ 8 سنوات، وتحديدا عام 2016 يوم 30 جانفي عندما حل رئيس اللجنة السياسية للمنظمة انذاك الجنرال بيتر بافال لإجراء نقاشات تمحورت حول الحرب في ليبيا التي استمرت من 2016 حتى عام 2018 .

وزير الدفاع عماد ممّيش يستقبل الاميرال روب باور بمقر الوزارة

كشفت وزارتا الدفاع والخارجية في بلاغين صادرين عنهما يوم امس عن فحوى اللقائين اللذين جمعا الوزيرين عماد مميش من جهة ونبيل عمار من جهة اخرى برئيس اللجنة العسكرية لحلف " الناتو"، الاولى (الدفاع) اكدت ان الاجتماع تمحور حول سبل تعزيز الشراكة والتعاون في مجالات التكوين وتبادل الخبرات في اطار الشراكة والثقة المتبادلة . والثانية (الخارجية)، اشارت فيه الى انه تم خلال اللقاء التباحث في سبل دعم علاقة الشراكة بين الطرفين (تونس والناتو) خدمة للمصلحة المشتركة للطرفين ومن اجل التصدي الى التهديدات سويا ومختلف الرهانات المشتركة وفي "ضرورة ادماج محاور تعاون جديدة على غرار الهجرة والتحولات المناخية ومكافحة الارهاب ".

قد لا يعكس بلاغا الوزارتين، خفايا زيارة المسؤول الاول عن واحدة من اهم الهياكل في المنظمة، وهي حسب موقعها الرسمي، أعلى هيئة عسكرية في الحلف وهي ايضا اقدم هيئة دائمة بعد مجلس شمال الاطلسي، وتم انشاؤها بعد اشهر قليلة من تأسيس الناتو عام 1950، واللجنة العسكرية هي المصدر الرئيسي للمشورة العسكرية للمجلس ولمجموعة التخطيط النووي وهي مكلفة بتوفير المشورة لكل القادة الاستراتيجيين بالمنظمة.

تأتي هذه الزيارة قبل يوم من زيارة جورجيا ميلوني رئيسة وزراء ايطاليا الى تونس ستكون خلالها مرفوقة بوزير الداخلية الايطالي. وكان الامين العام للناتو ينس ستولتنبرغ، قد اكد في مارس 2023، في تصريحات نقلتها صحيفة ايطالية، "استعداد " الناتو" لدعم الاتحاد الاوروبي في تحركه لمواجهة الهجرة غير النظامية" وقال ان الحلف يعمل مع شركاء مثل تونس وموريتانيا لتعزيز قدراتهم وبالتالي استقرارهم .

وعام 2016، اعلن ستولتنبرغ عن إطلاق عملية "سي غارديان" لدعم عملية الاتحاد الاوروبي البحرية "صوفيا" في بحر إيجه واكد ان تعزيز الوجود العسكري للناتو في البحر المتوسط "سيقلّل من عدد حالات العبور غير الشرعي للحدود البحرية للاتحاد الأوروبي" و "الحد من عدد الوفيات في البحر" في صفوف المهاجرين.

مهمة صوفيا

تحل ميلوني غدا بتونس في زيارة هي الثالثة في اقل من عام، ووفق وسائل اعلام ايطالية فان الزيارة ستدوم ساعات قليلة اذ تتضمن اجندة ميلوني ليوم الاربعاء 17 افريل الجاري، باستثناء لقاء مرتقب مع رئيس الجمهورية قيس سعيد بقصر الرئاسة بقرطاج، المشاركة في اجتماع المجلس الاوروبي، والذي ستنقل خلاله "وجهة النظر التونسية بشأن ملف الهجرة غير النظامية ".

وكانت ميلوني قد اكدت في سبتمبر المنقضي انها ستقدم اقتراحا لمجلس اوروبا يقضي باستخدام السفن الاوروبية ضد " تجار البشر" . واوضحت انها ستقترح الاتفاق على مهمة بحرية اوروبية تمكن من ايقاف محاولات المغادرة غير الشرعية للمهاجرين بما يعني وفق رئيسة الوزراء الايطالية تفعيل الجزئين الثاني والثالث من اتفاقية صوفيا اللذين قالت انهما لم يتم تفعيلهما مطلقا .

تقول ميلوني ان استخدام السفن الاوروبية لوقف وصول المهاجرين غير النظاميين يتم باتفاق مع سلطات دول شمال افريقيا، وهو على الارجح الذي قد تنقله ميلوني خلال اجتماعها المرتقب مع الرئيس قيس سعيد، وستنقل موقفه إلى اجتماع المجلس الاوروبي المقرر عقده في نفس اليوم .

وحسب وسائل اعلام ايطالية، من المنتظر ان يناقش القادة الاوروبيون، سيناريو تدفق عدد كبير من الهاجرين غير النظاميين بنسق تصاعدي خلال الاشهر القادمة. وقالت ميلوني في شهر فيفري الماضي ان الفارين من الحرب الاهلية في السودان يصلون الى اوروبا بعد الابحار من البحر المتوسط. وتقدر منظمات عدد السودانيين الذين وصلوا إلى ليبيا خلال الفترة الاخيرة بربع مليون ويقارب عددهم 6000 في تونس .

من ليبيا.. الى قاعدة الاستخبارات

زيارة مسؤول عسكري بالناتو بحجم رئيس اللجنة العسكرية للمنظمة ستكون بلا شك لمناقشة مسائل ذات اهمية بالغة، فقد تمحورت الزيارة المماثلة التي تعود لعام 2016 حول ليبيا التي شهدت صراعا عسكريا بين 3 حكومات تتنازع السلطة والنفوذ مدعومة كل واحدة منها من جهات دولية .

الا ان الملف الليبي لم يكن محور النقاشات الوحيدة، اذ كشفت تصريحات امين العام الحلف، في جويلية من نفس العام ان المنظمة تعمل على افتتاح مركز استخباراتي بتونس. وابرز ان الحلف سيزوّد تونس بخبرات في مجال هيكلة الاستخبارات العسكرية وتدريب القوات الخاصة لتعزيز قدرات الدولة في جهود مكافحة الارهاب. وقد اقر مجلس الامن القومي في نفس العام انشاء مركز وطني للاستخبارات.

اثارت هذه التصريحات جدلا واسعا، ردت عليه وزارة الدفاع آنذاك في بلاغ رسمي اوضحت فيه ان حلف شمال الاطلسي يساهم في اطار التعاون العسكري الثنائي ومتعدد الاطراف بخبراته في تطوير طرق العمل وتكوين عدد من العسكريين على يد مختصين وفق احدث البرامج والتقنيات والمعايير المستعملة في جمع وتحليل ونشر المعلومات في مجال مقاومة الارهاب.

بعدها بسنتين، اكد وزير الدفاع وقتها، عبد الكريم الزبيدي ان الوزارة رفضت عرضا من قبل حلف شمال الاطلسي يقضي بتوفير خبراته او مساعدة قارة لمشروع بعث قاعة عمليات مشتركة بين الجيوش الثلاث لتخطيط وقيادة العمليات المشتركة. وقال ان الناتو اشترط ان تقام قاعة العمليات في قابس وان هذا الطلب يأتي في اطار هبة يمنحها الاتحاد الاوروبي بقيمة 3 ملايين اورو .

الزبيدي شدّد على ان الوزارة رفضت وجود أي عناصر لا تتبع المؤسسة العسكرية في هذه القاعدة الاستخباراتية العسكرية وعلى انها تمسّكت باقامة المشروع في المكان الذي تختاره هي دون املاءات من اية جهة كانت.

واليوم، ستكون تونس معنية بالنقاشات التي ستطرح بعد شهرين في واشنطن خلال القمة السنوية الـ 75 للحلف، والمتعلقة باستراتيجية الناتو في دول شمال افريقيا والشرق الاوسط، وكيفية مواجهة توسع النفوذ الروسي في عدد من الدول الافريقية وعلى رأسها ليبيا.

وذكر تقرير للمجلس الاطلسي (منظمة بحثية مقرها واشنطن) نقلته صحيفة "القدس العربي" ان الحلف سيبنى استراتيجيته الاولى خلال القمة لمنطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا، مدفوعا بمخاطر تنامي الوجود الروسي في ليبيا ومنطقة الساحل، وللبحث عن تأمين مصادر جديدة من الطاقة ظل تراجع الواردات الاوروبية من النفط والغاز الروسيين منذ غزو اوكرانيا.

رُوما في قرطاج مرة أخرى

صالح مصباح

غَدا الأربعاء، الموافق للسابع عشر من أفريل 2024 تحل ضيفة على قرطاج رئيسة حكومة إيطاليا "ميلوني". ويبدوأن أقدام السيدة "ميلوني" ألفت السبيل إلى قرطاج كلما ألمَّ بها هاجس انتخابي أوأمني. ذلك أن ما سبق من زياراتها قد أقدرها على أن تظهر بعض وفاء لالتزاماتها الانتخابية بعدما اتهمها معارضوها بالإخلال بها. فهل دفعها إلى زيارة الغد ما كان قد دفعها سابقا ، وهي التي تستعد حزبيا للانتخابات البرلمانية الأوروبية؟

1/اللعبة السابقة

نتذكر جيدا تلك الزيارات المكرّرة التي أدّتها ميلوني لتونس والتي تبعتها لقاءات في مستوى وزيري الداخلية. كان ذلك في أوج موسم الهجرة غير النظامية من تونس إلى إيطاليا، والتي كان المهاجرون فيها على وجه الخصوص أفارقة من دول جنوب الصحراء. وكانت ميلوني وقتئذ مشدودة إلى وعودها الانتخابية بأن تحد من الهجرة غير النظامية. وقد قال رئيس السلطة التونسية وقتئذ ذلك القول الذي لم يفهمه أحد والذي بيانه أن تونس"ليست أرض عبور وليست أرض توطين" وأنها "تجير من يلجأ إليها"، مثلما قال إن تونس لا تحرس حدود أحد.

لكن الذي حدث أن تونس حرست حدود إيطاليا. وقد قال الطليان ذلك، منوّهين بأن عدد الوافدين إليهم من الأفارقة من تونس خلال هذه السنة نزل إلى النصف قياسا بالسنة التي قبلها. والذي حدث أيضا أنّنا صرنا أرض توطين. فمعتمديتا العامرة وجبنيانة، وقد أكرمهما وزير الداخلية بالأفارقة حارما منهم مدينةَ صفاقس، صارتا شبه قطعتين من دول الساحل الإفريقي. وصار لهؤلاء صولات من الصدام بينهم وأخرى بينهم وبين الأمن وبينهم وبين الأهالي. لا بل إن منهم من هدّدوا بـ "مضاجعة أم تونس" ومنهم من وسموها بـ "الساقطة" ومنهم من انتزعوا سلاحي أمنيَين وسيطروا على سيارتهما ومنهم من منعوا ملاك أراض من أراضيهم.

والغريب الذي لا نجد له تفسيرا أن الأمن التونسي يمارس حماية السواحل طورا ويقلع عن ذلك طورا آخر. وفي الآونة الأخيرة صار ، قبل الأسبوع المنقضي، أحرص على المنع. والغريب أيضا أنه

يصاحب هذا المنع استمرار التدفق لهؤلاء المهاجرين، ولا جواب عن عدم منعهم من اجتياز الحدود إلينا ولا جواب عن مصيرهم إذا لم يعبروا إلى إيطاليا ولن يُوطّنوا في تونس. ولاحظنا بصفة شخصية يوم أمس الإثنين الموافق للخامس عشر من أفريل الجاري اصطفافا لوافدين جدد على مركزي بريدي جبنيانة والعامرة. وفي حدود الساعة العاشرة قدّر العدد في كل مركز بنحو مائة مهاجر. وما يلفت النظر هو المبالغ الكبيرة المرسلة إليهم والتي يخرجون بها ظاهرة من مركزي البريد. وقد قال أحد الباعة في العامرة إن الأوراق المالية من فئة العشرة دنانير قد نفدت لديه لأن الأفارقة لا يقتنون إلا بأوراق العشرين والخمسين. فالسيولة لديهم على ما يرام. فهل من تساؤل عن هذا الذي يجري؟ وهل من تساؤل عن مآل الوافدين الجدد؟ وهل من تساؤل عن القدامى الذين استبد بهم البؤس والجوع فأضحوا فرقا من التسوّل مؤلمة بعضها بواسطة الأطفال، فضلا عن حالات من السرقة والعنف تحت ضغط الجوع؟

إن في الأمر لغزا. ولا وجاهة في أن تسكت عنه السلطة أو في أن تُصرّح بما لا يوافق واقع الحال الذي نراه يوميا في الجهتين المذكورتين على الأقل. وقد يكون شبيها به ما يجري في مناطق أخرى. فأين زيارة ميلوني مِن هذا ؟

2/ساعات وأسبوع

مدة زيارة ميلوني المرتقبة ساعات لأنها ستتوجه بعد ذلك إلى اجتماع المجلس الأوروبي في بروكسيل. ولعل زيارة ميلوني وسط هذا الضغط تعبّر عن ضغط هدفها منها. تقول أرقام الهجرة الصادرة عن إيطاليا إن عدد المهاجرين التونسيين غير النظاميين بلغ من غرة جانفي 2024 إلى 8 من أفريل الجاري 1599 مهاجرا. وهذا الرقم محدود جدا ويعبر عن حراسة تونسية حسنة. لكن الأسبوع الأخير وحده شهد هجرة "إفريقية" أغلبها من تونس بلغ تعدادها 8000 مهاجر. وهذا رقم أسبوعي مفزع. ويبدو أن ضغط هذا الرقم دفع ميلوني إلى هذه الزيارة الأكيدة العجولة إذ لا ننسى أن معارضيها في بلدها يُشهرون عليها كونَها لم تف بما وعدت به انتخابيا بشأن الهجرة رغم حديث الإعلام هناك عن نجاح تونس في الحد من التدفق. وتنتظر ميلوني انتخابات البرلمان الأوروبي، وقد تحاسب على ما كانت قد وعدت به في الانتخابات التشريعية التي فازت بها. وإذا صحّ ذلك فقد صحّ أن تونس هي مَلاذ انتخابي لميلوني ولحزبها اليميني. ولعل رئيس تونس قد أظهر لنا أنه فَهِم المقصد بعد أن لُدغ من الجحر سابقا ولم يجن شيئا من تلك الوعود الإيطالية والأوروبية، فاستبق وصول ميلوني بقول ما كان قد قال سابقا والذي بيانه أن تونس ليست أرض مستقرّ وليست أرض عبور. ومرة أخرى نتساءل إن كنا لسنا هذا ولا ذاك فكيف نكون وعدد الأفارقة في المعتمديتين على سبيل المثال يقارب عدد سكانهما؟ . وفوق ذلك إذا كان موقف تونس هو هذا، قولا أكيدا وفعلا صارما، فهل كانت ميلوني ستفد علينا؟ فالمعلوم أنه تسبق هذه الزيارات ترتيبات وتوافقات، وإلا لا تكون. ولا ننسى أيضا أنه سبق لميلوني أن قالت "إن سعيّد يقول لرأيه العام الداخلي ما لا يقول لنا" ، والعهدة عليها في تصريحها الرسمي هذا. وإذا تأكد الهاجس الانتخابي المرجّح لدى ميلوني فقد تأكد أنها آتية لِتُحمّل بلدنا، مرة أخرى، أعباء عسرها الانتخابي. ولا نخال مشروع "ماتي" الإيطالي الذي قوامه 5,5 مليارات ستوزع على قارة إفريقيا في شكل استثمارات سيُغْني تونس من جوع نصيبُها من المبلغ. ثم إن هذا المشروع، بهذا المبلغ الزهيد قياسا بعدد البلدان المعنية به، ليس محل توافق في إيطاليا. فهو مازال محل أخذ ورد هناك، لأن معارضيه يستكثرونه على الأفارقة ويشككون في جدواه من جهة الحد من الهجرة.

قال رئيس السلطة التونسية إن تونس ليست سببا في الهجرة غير النظامية. وهذا صحيح. ولا موجب في أن تتحمّل أعباءها، وهذا صحيح أيضا. لكن المشكل أن تونس تتحمل أعباءها فعلا. ولعل زيارة ميلوني، المصحوبة بوزير داخليتها، تسعى لتزيدنا أعباء أخرى وذلك بأن تدفع تونس إلى أن تقبل من تطردهم إيطاليا من منطلق إرجاعهم إلى بلد العبور. وفي هذه الحال قد يصبح اسم "مامادو" أو "كايتا" سيّدي الأسماء في شوارعنا.

إن المشكل معقّد جدا أمنيا وإنسانيا وسياسيا. ولا نخال أن تجني بلادنا شيئا من التهاون مع هذه الداهية الإيطالية الناعمة. ولا جدال في أن الأفارقة هم من بلدان صديقة وأن إيطاليا بلد صديق وشريك مهم. لكن استقرار بلادنا يجب أن يكون في صدارة الأولويات.

الغنوشي سجين النهضة الوحيد...

أنس الشابي

في حديث لي مع بعض الأصدقاء حول حركة النهضة وما صنعت بالبلاد وبنفسها بعد سنة 2011 خصوصا إثر دخول عدد من المنتسبين اليها إلى السجن، تساءل أحدنا عن سبب إفراد الغنوشي بالذكر المستمرّ على صفحة الحركة الفايسبوكية مقابل إغفال ذكر بقية النهضويين من نزلاء السجن. ولأن السؤال مهمّ رأيت أن أجيب عنه في ما يلي:

1) الانتماء إلى حركة النهضة لا يتمّ على أساس برنامج أو مشروع متّفق عليه كما هو حاصل بالنسبة للأحزاب السياسيّة بل هو بيعة دينية تؤدّى لشخص يعتقد المبايع أنّه الأفضل لتطبيق شرع الله. هذه البيعة ليست التزاما بالمساهمة في تنفيذ برنامج مشترك وقعت صياغته جماعيّا خلال مؤتمر أو منتدى أو غيرهما بل هي: "العهد على الطاعة، كأنّ المبايع يعاهد أميره على أن يُسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه في ما يكلّفه به من الأمر على المنشط والمكره"(1). وهو المعنى الذي نجده في النسخة الأولى من القانون الأساسي للحركة. جاء في النقطة الثالثة من الفصل السادس ما يلي: "يؤدي العضو بيعة الالتزام بالولاء وطاعة قيادة الحركة وحفظ أمانتها وبذل الوسع في تحقيق أهدافها والانضباط إلى نظمها ومناهجها"(2). هذا الفصل نشر سنة 1992 وأعيد نشره سنة 2011، غير أن الحركة قامت بتغييره في ما بعد حتى تنفي عن نفسها صفة التنظيم الديني وتشيع بين الناس أنها أصبحت مدنية لتصبح البيعة في النظام الأساسي الجديد الفصل الخامس الفقرة الأولى الذي روّجته وقدمته لوزارة الداخلية كالتالي: "الالتزام بالقرارات والمواقف الصادرة عن الجهات المسؤولة في الحزب"، وبيّن أن تغيير المصطلحات والتلاعب بمعانيها لا يغيّر شيئا من طبيعة الحركة. فواجبات العضو في النظامين الأساسيين القديم والجديد هي نفسها طاعة المرشد أو أمير الحركة أو الشيخ سمّه ما شئت ممثلة في الطاعة الكاملة في المنشط والكره. ويتذكر الجميع أن الغنوشي لم يثبت على موقف واحد في أيّ قضية من القضايا ورغم ذلك فإن "الجماعة" جميعه يتبعه ويدافع عنه وعن خياراته مهما تضاربت. فالانتماء لهذه الحركة هو انتماء ديني لا علاقة له بالسياسة. يقول عن ذلك لطفي زيتون: "هناك شروط مثلا أنك تحفظ ستة أحزاب ألا تدخن وأن تكون قضّيت فترة تجربة في الأسرة المفتوحة... القيادة هي التي تختار من ترشّحهم... وفي ما بعد تقع الغربلة على المستوى المركزي وتختار مجموعة تطرح عليهم المسألة وهي أنهم مرشحون لأداء البيعة والالتزام ومن يريد أن يرفض له أن يرفض يومئذ"(3). والذي نخلص إليه أنّنا بصدد جمعية دينيّة يقف

على رأسها ما يمكن أن نسميه لدى أهل السنة شيخ الطريقة ولدى الشيعة الولي الفقيه اللذين يمتلكان لوحدهما تنزيل المعاني القرآنية على أرض الواقع وتفسيرها مقابل الطاعة المطلقة من طرف الأتباع.

2) ولأن الحركة تدين بالولاء والطاعة لراشد الغنوشي فقط فإنها ترفض مبدأ الانتخاب من أساسه استنادا إلى الآية: "فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى"(4). وجاء في مقال للغنوشي قوله: "واعتبرَ (الرسول عليه الصلاة والسلام) الترشح لمنصب من المناصب في الدولة الإسلامية سببا كافيا للحرمان منه. قال عليه السلام. إنا لا نُوَلي هذا الأمر أحدا طلبه. ومن ثم لا مجال في المجتمع الإسلامي للحملات الانتخابية يخوضها الزعماء (فلا تزكوا أنفسكم) وإنما الأمّة هي التي تزكي وترشح من تراه كفئا"(5). ولهذا السبب بالذات بقي الغنوشي على رأس الحركة منذ تأسيسها أي قبل ما يفوق النصف قرن رغم أنّ البلاد تغيّرت والأجيال تبدلت منها ما اندثر ومنها ما هو في خطواته الأولى ليعجز الزمن عن أن يفعل فعله فيها. ويذكر الجميع أن الحركة ادّعت في إطار التمويه والكذب أنها سترشح من يتم انتخابهم جهويا على قائماتها في الانتخابات التشريعية لسنة 2019، إلا أنه بعد أن حُملت القائمات الفائزة جهويا إلى الغنوشي جال فيها قلمه الأحمر جولات حذف منها أسماء وأضاف إليها أخرى وهو ما أثار غضبا وصلتنا أخباره. والذي نخلص إليه أن الانتخاب الذي هو الوسيلة الأساسية لأي تنظيم يدعي الديمقراطية مغيب تماما في فكر وممارسة حركة النهضة. فالمرشد هو الذي يرشح وهو الذي ينتخب.

3) تبعا لذلك لا نجد في الحركة ما هو دارج في التنظيمات السياسية الأخرى من قيادات وتيارات وأجنحة يتم انتخابها. فكلّ المؤسسات والمسؤوليات يحدّدها الغنوشي ويتم التخلص بكامل السهولة من كل من لا ينضبط لقراراته. من ذلك أن حمادي الجبالي أعلن استقالته من الأمانة العامة للنهضة بعد اغتيال الشهيد شكري بلعيد حتى ينأى بنفسه كرئيس حكومة عن الاتهامات التي طالت الحركة وهو تصرف هلل له بهاليل السياسة معتقدين أن في ذلك إضعافا لها والحال أن الرجل استُبعد منها منذ الخطاب الشهير لرئيسها في شارع الحبيب بورقيبة لمّا قال في نبرة تهديد ووعيد "إن الانتماء للحركة يرفع من قدر صاحبه وخروجه منها يعيده إلى حجمه الطبيعي". وفي المؤتمر العاشر شاهدنا الجبالي في المنصة الرسمية وكذا الأمر مع احميدة النيفر وغيرهما وحتى الذين أعلنوا في ما بعد مغادرتهم الحركة شهدناهم يدافعون عن "بؤرة القرضاوي" ويتصدّرون المظاهرات المناوئة لرئيس الدولة بعد إغلاق البرلمان، وهو ما يعني أن ما يسمى قيادات في حركة النهضة لا يجب أن نحملها على المعنى المتعارف عليه من أنها تمثل تيارات أو مواقف سياسية بل هي مجرد أدوات يستعملها المرشد حسب الحاجة وحسب الظرف، وإن غضب بعضهم لسبب أو لآخر فإنهم سرعان ما يعودون لأنهم مقيّدون ببيعة لا تنفصم إلا بالموت أو بنقضها.

لم يكن إفراد الغنوشي بالذكر الدائم في صفحة حركة النهضة بالاختيار بل هو جزء من عقيدتها لأن مقدراتها جميعها مرتبطة به. ففضلا عن الجانب الديني ممثلا في البيعة فإن مصادر القوة ممثلة في الأموال والعلاقات الخارجية بيده هو يتصرف فيها عن طريق ابنه وصهره. أما البقية ممّن يسمّون قيادات لم ينتخبها أحد فلها الله ورضا الغنوشي عنها.

هوامش

1) "المقدمة" نشر دار المصحف، القاهرة دون تاريخ، ص149.

2) "الحريات العامة في الدولة الإسلامية" راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى بيروت 1992 ص342 وفي الطبعة التونسية للكتاب الصادرة عن دار المجتهد سنة 2011 ص384.

3) "سيرة ابن نقابي عاشوري أصبح نهضويا" لطفي زيتون، دار آفاق برسبكتيف للنشر تونس 2017، ص89.

4) سورة النجم الآية 32.

مقص عواطف...

منير الفلّاح

الحقيقة ومن غير ما نخبّيو عين الشمس بالغربال احنا شعب مصاب ببرشة "انفصام شخصيّة" :نحبّو (نقولو هكّة على الأقلّ) الحريّة لكن كيف تكون متاعنا وما نقبلوش ياسر أنّو الحريّة تكون للنّاس الكلّ تفكيرا وتعبيرا وسلوكا.

وهذا يِتجسّد في عشقنا اللّا مُتناهي لحاجة إسمها CENSURE و L'AUTO-CENSURE وإلا المقص واليّ يهمّنا اليوم هي الأولى أي"الصّنصرة وتحديدا في الأعمال الفنيّة ..."!

تفرّجت في حوار للمخرج السينمائي والتلفزي الشاب الموهوب عبد الحميد بوشناق على موقع "رشمة" والحقيقة بقدر ما عجبني الحوار،صدمني زادة،صدمة إيجابيّة طبعا على خاطر تيقّنت أنّنا قلبنا نهائيّا صفحة الخوف والسّكات وتطفية الضّوء يقول القايل بالكش تجيء فرصة أخرى متاع خدمة وتدوير"الزّيرو" وناخذو باينا من خبزة قاطو الانتاج الرمضاني ...هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فرحت أنّو اليّ تعدّى على "روسنا"موش ممكن يعاود يتعدّى على الأقل بنفس"السّهولة"على جيل الشباب المبدع من نساء ورجال !

الحوار متاع عبد الحميد بوشناق فيه ما يتشاف ويتسمع لكن اليوم باش نركّز مع المقطع اليّ يتعلّق بتعرّض عمل"كان يا ما كانش"للصّنصرة من طرف إدارة القناة الوطنيّة وهي لهنا السيدة عواطف الدالي الرئيسة المديرة العامة للتلفزة الوطنية الي تمثّل الإدارة.

سمعته مليح، سمعته كيفاش يحكي بإتّزان كبير على قراءته لتلك الصّنصرة وكيفاش تمّت العمليّة دون إستشارته وكيفيّة الإجابة على التّساءل اليّ توجّه بيه للإدارة...الحاصيلو من غير ما نطوّل عليكم واللّقاء الكامل موجود في اليوتوب...حديثه عن"تطوّع"المسؤول أو المسؤولة لإرضاء الحاكم في معناه الواسع،يعني موش البوليس بركة ذكّرني بتجربتي الخاصّة في التّلفزة (قناة7 مع بداية حكم بن علي زمن ما سمي بالتغيير) وكيفاش ،وقتها،جدّت علينا هدرة الإنفتاح ففتّقنا مواهبنا ببرمجة أفلام تحكي على القمع والتّعذيب في مصر (أفلام الكرنك وزوجة رجل مهمّ وإحنا بتاع الأتوبيس على ما أذكر) فتحيّروا زملاءهم في تونس وإحتجّوا لدى إدارة التّلفزة آنذاك وقالوا لسي مختار الرصاع شنوة عندكم ضد

البوليس وشبيكم علينا...ومسألة أخرى عشناها وقتها ايضا تتمثل في ترتيب الأخبار في النّشرة الرّئيسيّة (أخبار الثمانية) وإجتهاد،في البداية،لتقديم الأخبار حسب أهميّتها ومدى إهتمام الرّأي العام بيها،سواء كانت وطنيّة أو دوليّة (اخبار الرئيس كانت في المرتبة الخامسة) ومن بعد عادت الأمور لنصابها ورجعنا كيف وقت الرّئيس بورقيبة،أوّلا وقبل أيّ شيء أخبار قرطاج ومن بعد الباقي...وكيف مازحت صديقي ومدير القنوات التلفزيّة وقتها وقلتلو شنوّة؟عملت MARCHE-ARRIÈRE وبديت شريط الانباء باخبار القصر والوزرة متاعو ضحك وقالي فيق سي الشّباب،كلّهم يحبّوا يشوفوا أرواحهم في التّلفزة ! ومن الصباح تبدأ التليفونات من أعلى الهرم وأنت هابط.

هذا جزء ملّي عايشتو شخصيّا وأنا في سنّ الشّباب (كنت شاب راهو !) لكن الجديد هو "تطوّع" مسؤول أو مسؤولة بتقديم قراءة لعمل فنّي، ساهمت في تمويله المؤسّسة اليّ يشرف أو تشرف عليها ويفتّش في قراءات "تنجّم تقلّق الحاكم أو الرّئيس"!

فينا برشة شاهدوا العمل هذا " كان يا ما كانش" يا وقت البثّ يا على المنصّات لاحقا وكلّنا فهمنا أنّو عمل متميّز في شكله ومحتواه ولغته،يغلب عليه الطّابع الكوميدي ويبدو "خرائفي" لكن هو مطروز بالإسقاطات على الواقع عموما والواقع المحلّي التّونسي في كثير من الأحيان،دون لا مباشراتيّة لا إسفاف وفهم الإسقاط يتطلّب من المتلقّين والمتلقّيات مجهود وهذا بالنّسبة لشخصي المتواضع قمّة في إحترام ذكاء النّاس وكلّ قصّان مقاطع بناءا على قراءة فرد، مهما كان،هو تعدّي على ذكاء الجمهور...

يقول القايل، هاك إنت وحدك وحدك حكيت على تجارب عشتها وتعرف كيفاش فمّة"شكون"يتقلّق ويعبّر، بكلّ حريّة على القلق والتبرّم متاعه من المادّة المعروضة... نجاوبك سيدي خويا وللّا أختي:صحيح! أمّا في بالنا هذا الكلّ مشى بفضل ثورة الحريّة والكرامة وليكم أنتم بالذّات، اليّ تقلّقتوا من حديثي،الأمور "زادت تصحّحت بعد 25/7/2021" !سمعنا أنّو حريّة التّفكير مقدّسة، إمّالا علاش تحبّو توّة تقبلو أنّو حدّ، كبر وإلّا صغرت مسؤوليته، يدخل في آش قصد اليّ كتب سيناريو وحوار وأخرج؟

الحقيقة والواقع ، ديمة حسب رأيي المتواضع،هو ما قلته في بداية هالخزعبلات ونسبتها للجميع، قلت نحن،باش ما يغضب حدّ،لكن الأصحّ واليّ يلزمو يتقال هو وببساطة تغيير أو ذهاب بعض أصحاب القرار ما يقضيش على الممارسات، يعني ينجّم يمشي مدير أو أيّ مسؤول لكن "آثاره" تقعد وتتجلّى في نفس المقاربات والممارسات وفي واقع الحال، ينجّمو يتبدّلوا كلّ المسؤولين لكن من غير ما يتبدّل حتّى شيء لأنّ التّغيير إقتصر على الأسماء وما صاحبه حتّى تغيير في المقاربات وطرق عمل وربّما حتّى قوانين جديدة تؤطّر التّعامل مع الأعمال الفنيّة (بما أنّنا هنا نحكيو على أعمال تلفزيّة) وتضمن الحقوق الفكريّة لأصحاب وصاحبات الأعمال ويمنع أيّ مساس بأعمالهم!

هذا ذكّرني، بما أنّو هذا أسبوع النوستالجيا، في سنة 2011 في إفتتاحيّة لمجلّتي السينمائيّة "شاشات تونسيّة " المتوقفة منذ مدّة كان عنوانها: "رحل العرّاب وبقيت الممارسات".

الحدث والدروس...

بقلم : نهلة عنان

تابع جلّ سكان المعمورة الردّ الإيراني ليلة الأحد 14 أفريل 2024 على اعتداءات إسرائيل الأخيرة (تدمير القنصلية الإيرانية بسوريا وقتل مجموعة من القادة العسكريين الإيرانيين كانوا بداخلها). افترق الجمهور العريض بين مؤيد للردّ شكلا ومضمونا ومستنكر مشكك في الجدوى بسبب ضبابية المآلات وفق تصوّر أصحابه وثالث في حالة ترقّب لا يدين ولا يساند.

أكيد أنّ الأفراد أحرار في مواقفهم لكننا سنناقش المسؤوليات من حيث مساهمة كلّ فرد في ما يحدث بنسب تزيد وتنقص. أمّا من ينفي عن نفسه التأثير أو المشاركة في العواقب فهو لا يفهم بعد أنّ الأحداث على الأرض ما هي إلّا تجسيد لمواقف الأفراد.

بالتأكيد أنّ موقف الحاكم رقم واحد في أعلى هرم للسلطة (لمن يدعي السيادة والإمساك بمقاليد الحكم في بلاده) سواء كان رئيس جمهورية أم ملك (أو أمير أو سلطان) أو غير ذلك هو أكثر تأثيرا من مواقف الأفراد غير ذوي التكليف في الحكم وبالتالي فإنّ على صاحبه مسؤولية أكبر. ثمّ تتدرّج المسؤوليات نزولا من المستشار المباشر للحاكم إلى أعضاء المجالس النيابية (إن كانت موجودة) إلى النخب الأكاديمية والشخصيات الاجتماعية الوازنة حتّى نصل إلى مستوى المواطنين حين يتكتلون للتعبير عن رأي معيّن. فالكلّ مؤثّر سلبا أو إيجابا بنسب متفاوتة. ووفق هذا المبدأ فإنّ المواطن الذي اختار أن ينأى بنفسه عن متابعة أخبار عن المظلومين الأقربين له في مناطق الصراعات الدامية هو حرّ طبعا. ولكن لا يذهبنّ في ظنه أنّه معفيّ من المساءلة من لدن ربّه الذي أوجده بين الناس على هذه الأرض وإن كان تاجر خضروات أو نجارا أو صاحب صنعة يدوية لا علاقة لنشاطه بالساسة والسياسة. سيقال ولكن ماذا يمكن أن يكون تأثير أولئك على الساحة الميدانية بين قوى تتصارع بالحديد والنار؟ والجواب هو الآتي:

لقد تابعنا الأخبار في القنوات الفضائية كمشاهدين لا غير ومع ذلك رأينا تشكلّ الجماعات حول أحد المواقف آنفة الذكر بين مساند ومعارض ومنتظر محتفظ برأيه. هذه التشكلات ستكون منطلقا للجولات القادمة (فكلّ حياة الناس جولات متتابعة) للحشد من أجل أحد المواقف الثلاثة. فمن هي الجهات التي تعمل باستمرار على حشد الجماهير وهل أفراد حشد ما من بين هؤلاء على وعي بما يفعل بمواقفهم؟

فأمّا الجهات المشرفة من قاعات عملياتها الموزعة في كلّ ركن من أركان المعمورة (بين جهات سياسية رسمية ومجموعات مكلفة بمهامّ سيبرانية ونحوها وفرق أخرى مرتزقة قد تكلّف بانتداب مفرقعات بشرية هنا وهناك... الخ) فهي تعدّ العناوين والشعارات والروايات التي يجب ترويجها. وأمّا الحشود فأفرادها بين واع وغافل وبين صاحب مبدإ ومرتزق وبين محلل بالفكر والمنطق لما يروج ومستهلك لكلّ ما يعترضه متبنّ ما يثير الجماهير المنفعلة...

الله هو الفعال الحقيقي لأنّه هو خالق كلّ الأفعال ولكنّ الناس هم الذين يختارون تمرير هذا الفعل أو ذاك حين تكون الأفعال الممكنة المرتبطة بالسياق جاهزة على الطاولة، تماما كمرشحي الانتخابات. فالمنتخبون لا يخلقونهم ولكنهم يقررون اختيار أحد المرشحين وإزاحة البقية...

الحشود الناشطة

كلّ المقدرات التي خلقها الله على الأرض تتداخل اليوم بين معطيات مادية ومعطيات أخلاقية ومعطيات سوسيو-حضارية ناتجة عن التراكمات للعلم أو الجهل وللعمل أو القعود وللوعي أو التخلّف وللاحتياط أو الغفلة وللاستعداد أو التراخي وللصدق أو النفاق... لذلك فالأقدر على الميدان هو الأسبق من الجهة النافعة بما وفر من علم وعمل ووعي واحتياط واستعداد وصدق مع مبادئه وأهدافه المعلنة وغير المعلنة... أمّا الجهة المقابلة المعوّلة على تحقق الأحلام المنقطعة عن الواقع عبر المعجزات الخوارق المنكرة لجهلها وقعودها وتخلفها وغفلتها وتراخيها ونفاقها... فهي أكثر الحشود الناشطة على منصات التواصل تلهث في ترويج ما أعدّ لها من شعارات وعناوين وروايات محبوكة جاهزة للاستهلاك المباشر وليبحث كلّ باحث عن لبوسه ولكن لا يتصرفنّ في القالب... مثال لتلك الروايات عنوان "المسرحية الإيرانية" وقد كان الأبرز على مواقع التواصل الاجتماعي. تناوله المتحاورون افتراضيّا على اختلاف توجهاتهم حتّى أنّ كثيرا من المناصرين للقضية والمتحمسين لها تبنوا الرواية وجعلوا يحللون خلفياتها وسياقاتها وحتّى السيناريوهات الممكنة لمجرياتها وكيف تمت.

نقاشات بلغت درجة من الحدّة انفرطت معها بعض الصداقات الافتراضية ...

وفي هذا مؤشران الأوّل إيجابي متمثّل في تحمّس المتحاورين والثاني سلبي ويحتاج أكثر تفصيلا. وهذا رأينا بشأنه:

كان التعامل مع الحدث انفعاليا عاطفيّا إلى حدّ التشنج في بعض الأحيان. إذ غلبت على الجمهور التصورات الخيالية التي كانوا يرغبون في تحققها وفق تصورهم. وهذه صفة بارزة للجمهور العربي خاصّة (والمقاومون استثناء في ذلك) . فالشعوب العربية تفضّل العيش على الأساطير وتهرب إلى أزمنة الماضي المجيد على أن تجد حلولا لواقعها حين يكون صعبا ومؤلما. لذلك يرفض السواد الأعظم منهم النتائج الواقعية وإن كانت في الاتجاه الصحيح ما لم تتطابق مع التصوّر الخيالي المنتظر. فكان بعضهم يصف خيبته من الردّ الإيراني على إسرائيل يوم 14 أفريل بأنّه مهزلة باعتباره لم يكن مزلزلا للكيان يدكه دكّا حتّى أن إحدى المشاركات في الحوار قالت "الصواريخ لم تكن تحمل رؤوسا نووية بل ربّما ملئت بالرمل فقط من أجل رسم مسارها"...! وهنا نعبّر عن دهشتنا من هذا التحليل ومن مستوى الوعي والإدراك لدى جانب من جمهورنا العربي.

الاصلاح والتصليح

لست خبيرة عسكرية ولا مسؤولة سياسية. فقط أعبّر عن وجهة نظر أرجو أن تكون نافعة وتصبّ في صالح المقاومة. كلّ أشكال المقاومة للظلم والاعتداء والجهل والحاجة وغير ذلك مما نكره أن يصيبنا. لذلك فحاجتنا للحوار ليس للحوار وتسجيل الحضور في ما يدور من كلام حتّى لا نبقى صامتين وإنّما هي أداء واجب الإصلاح وتصحيح الوجهة من طرف كلّ من بلغ من الوعي حول واقع العرب والمسلمين وواقع الإنسانية عامّة. مشاركة يفترض بها أن ترفع مستوى النضج بين المتحاورين وإن اختلفت رؤاهم ومواقفهم إذ لا أحد يملك الحقيقة كاملة. وحبّذا لو تجرّدنا من الذوات البشرية خلال التحاور فتكون الأفكار والآراء هي موضوع القبول أو الرفض والاعتبار أو الاستخفاف والاحترام أو الاستهجان وليس ذوات الأشخاص.

من أجل ذلك ولنختم نقول كلّنا مسؤولون إنسانيّا وأخلاقيّا عن إنتاج ما يحدث عبر الترويج لهذه الرواية لنصرة جهة ما أو تكذيب رواية أخرى لإدانة جهة ثانية لأنّ كلّ سلوكنا سيصبّ في إعداد الأرضية للجولات اللاحقة. ومن موقعي هذا كمواطنة عادية فإنّي أتبنّى نهج المقاومين للظلم والاعتداء أيّا تكن توجهاتهم الإيديولوجية ومساراتهم السابقة التي طوى الواقع صفحاتها. فأن يكون نصيري اليوم في قضيتي المشروعة شيعيّ المذهب أو مسيحيّ الديانة أو من عبدة البقر وقد كان عدوّي فيما سبق فبيني وبينه الصدق الآن وسأَصْدُقه ما صدَقني كما أمرنا الله تعالى (فاستقيموا لهم ما استقاموا لكم). غير ذلك من اقتفاء المسارات على مدى التاريخ فنقول "لا تصدّقوا هذا المناصر اليوم فقد كان منذ ثلاث عقود مثلا عدوّا معلنا" فذلك خطأٌ استراتيجي سيفرغ من حولنا كلّ عون وإن كان محدودا في الزمن ولا ضمان لبقاء جهة ما على موقفها على مدى الأزمان... وحده الله لا يتغيّر ووحدها سنته ماضية في الخلق ينصر كلّ صالح ما خلص عمله واستمات في إخلاصه ويهزم كلّ فساد ما تواصل واستشرى وتلك الأيام تداول بين الناس بما كسبوا.

الاعلام والاشهار في تونس :

انحرافات ومخاطر...

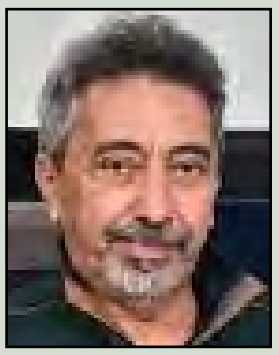

مختار لعماري - أستاذ مبرز في الاقتصاد بكندا

تُتهم وسائل الاعلام بـ"التلاعب" بالرأي العام في تونس. ففي ظل توتّر سياسي مصحوب بأزمة اقتصادية خطيرة، ينتقد بعض الناشطين وسائل الاعلام بإضافة توترات على التوترات السائدة لتلقي بظلالها على المشهد.

ويقارب عدد الصحافيين بوسائل الاعلام التونسية الـ 2000 صحافي يعمل ثلاثة أرباع منهم بالعاصمة ويتوزعون بين قرابة عشرين وسيلة اعلام في المجمل ويبلغ رقم معاملات عقود الاشهار سنويا عدة مئات من ملايين الدنانير.

وفي الواقع فإن عُشر الصحافيين فقط هم صحافيون محترفون بأتم معنى الكلمة أي لهم قدرة على انجاز عمل صحفي يستجيب لمعايير المهنة وجودة المحتوى من حيث الدقة والتحليل والبحث والتقصي.

تكابد عدة وسائل اعلام في معركة الاستمرارية ولا تتمكن من البقاء سوى بفضل عائدات الاشهار، اشهار غالبا ما يكون "خبيثا" قد يهدد في نهاية المطاف خطوط التحرير.

يعمل النموذج الإعلامي السائد بتونس خصوصا في وسائل الاعلام الاذاعية بفضل عائدات الاشهار ويفرز صحافة تراهن على "البوز" Buzz وتنتج هراء يضر أكثر ممّا ينفع. ويشكو الصحافيون اجمالا من ضعف التكوين ونقص المطالعة ومن مواكبة التطورات التي يشهدها القطاع.

ان النموذج الإعلامي التونسي في حالة سيئة. فقد تحوّل من نموذج مركزي هيمن عليه نظام دكتاتوري الى نموذج مجزئ بعضه بلا ضوابط داخلية تسهر على استقامته الأخلاقية وعلى تماسك معلوماته وتناسقها وعلى مصداقيته والوثوق فيه في مواجهة عدة أخطار منها ما يهدد حرية التعبير اجمالا على غرار المرسوم 54، تضاف اليه هشاشة جل وسائل الاعلام من حيث المردودية المالية.

وقد انتقد عديد الملاحظين الدوليين أداء وسائل الاعلام التونسي وهناك من وصفها حتى بـ "محطات قمامة" لافتقادها الجودة واعتمادها برامج وعروض لتحقيق نسب متابعة شعبوية ومتدنية حيث يتم اللعب على العواطف وخنق المنطق السليم وحجب الحاجة لاعلام مبنيّ على البرهان المنطقي المستند الى معطيات ثابتة. أما الجودة فقد تم تهميشها.

وتشير عمليات سبر الآراء الدورية التي تجريها منظمة World Value Survey الى أن اثنين من كل ثلاثة تونسيين لا يثقون في وسائل الاعلام التقليدية: الإذاعات والصحف والقنوات التلفزية.

في ظل ذلك يتوّجه الأشخاص الأكثر تعلّما والذين يتقنون اللغات الأجنبية الى وسائل الاعلام الدولية في محاولة للعثور على برامج "على القياس" ومقالات تتمتع بالتوثيق والدقة.

لقد بات إصلاح عالم الاعلام بتونس ذا أولوية بهدف حماية التعددية الإعلامية وتطهير القطاع من الدخلاء.

يجب على وسائل الاعلام التونسية الاستثمار في الارتقاء بمستويات صحافييها وفي تعزيز نزاهة وكفاءات المشرفين على هيئات التحرير لديها.

إن المشهد الإعلامي بتونس يعاني من 7 انحرافات أو أخطاء مأساوية تفاقم تدهور وضع الاعلام :

- الخطأ الأول : لن تؤدي الوضعية الحالية إلاّ الى تحويل الموارد النادرة التي تملكها وسيلة اعلام مفتتة الى وسيلة اعلام أخرى أكثر احتكارا يطمع الاشهار في خدماتها وتبتلعها جماعات الضغط.

- الخطأ الثاني : تركيز وسائل الاعلام أكثر على العاصمة تونس واهمال المناطق والجهات الداخلية يؤدي الى تسليم هذه الأخيرة بالأمر الواقع عبر تحويل موارد محلية الى وسائل الاعلام المتمركزة بالعاصمة والتضحية بالتالي بالحاجة الى شبكة محلية مدعومة بغرف اخبار موثوق بها وتنتج اعلاما ذا مصداقية وفي خدمة الاقتصاد المحلي.

- الخطأ الثالث : تعزيز المحطات الاذاعية الخاصة على حساب صحافة مكتوبة بدأت تفقد زخمها لعدة أسباب. فمن شأن الانقطاع عن الدراسة وعودة تفشي الأمية وتراجع الطاقة الشرائية وغير ذلك من حالات التدهور الاجتماعي الحدّ من مدى انتشار الصحافة المكتوبة سواء منها المطبوعة على الورق أو المنشورة عبر الانترنات.

- الخطأ الرابع : هروب قراء وجمهور وسائل الاعلام السمعية والبصرية الى وسائل التواصل الاجتماعي وبالتالي الى أخبار هي محل منافسة هائلة وأحيانا غير عادلة من طرف كبار الفاعلين التكنولوجيين الدوليين في سوق الاشهار (غوغل – ميتا – أمازون – تيك توك...).

ويخلق هذا الهروب نحو وسائل التواصل الاجتماعي شعورا بالخيبة والحرمان ونقاط ضعف جديدة ويفتح الباب لتلاعب يتم التحكم فيها عن بعد هذه المرة من الخارج.

- الخطأ الخامس : ان الاشهار في حاجة للهيكلة ولتحديد معالمه حتى يلعب دوره الضروري في انتاج معلومات عالية الجودة والمساهمة في تمويل صحافة مهنية وأخلاقية.

وفي غياب ذلك يكون النقاش الديمقراطي محدودا وموواربا عبر تحويل كل الموارد الى القطاع السمعي والبصري الذي لا يرى في البحث عن المعلومات الموثوق فيها أولوية بالنسبة اليه شعاره "البزنس" قبل كل شيء.

- الخطأ السادس : تحافظ سفارات غربية ومنظمات دولية وبعض البنوك وحتى جهات مانحة دولية على نفوذ على بعض وسائل الاعلام.

- الخطأ السابع : تعدد برامج الحوار التي تجمع كرونيكورات من غير المختصين والمؤهلين معرفيا وأكاديميا، الشيء الذي لا يقود بأية حال من الأحوال الى تحسين مستوى النقاش والى تبادل هادئ للمعلومات والأفكار مبنيّ على تحقيقات موثقة بالأرقام. هذه البرامج الحوارية المرتجلة لا ترتكز على أي تحقيق جدّي ولا تنتج قيمة إعلامية مضافة جديرة باحترام جمهورها بكلّ الجهات وطبقا لكلّ المعتقدات والأفكار.

على الجهات المسؤولة عن وسائل الاعلام أن تحدّد بكل شفافية مربّع سوق الاشهار وعلى السلطات المشرفة على قطاع المنافسة أن تسلط الضوء بدورها على مشغّلي وخدمات التوسط في اسناد الاشهار على شبكة الانترنات بما من شأنه تعزيز الجدوى الاقتصادية لا بالنسبة لصحافة الاخبار فحسب وإنما الى حدّ يتجاوز مجموع وسائل الاعلام.

لابدّ من تصوّر مبادئ توجيهية لدعم استثمارات المستشهرين في وسائل الاعلام عبر فرض معيار المسؤولية البيئية والاجتماعية والحوكمة.

وختاما على السلطات العمومية أن تستثمر، بالتشاور مع المهنيين، بشكل أكبر في تطوير مناخ اعلامي خال من الدخلاء ومحميّ من تغوّل جماعات الضغط وأشباه الخبراء الذين يحتلّون المنصات الإعلامية لنشر معلومات مضلّلة وتسميم عقول الرأي العام بشعارات وخطابات شعبوية زائفة حول المعرفة والمنطق السليم.

كما يجب الاهتمام بتحقيق لامركزية وسائل الاعلام من أجل تحسين قنوات الاستثمار في الاتصالات حتى يتم تمويل وسائل الاعلام الجهوية بشكل أفضل.

قراءة هادئة في الصراع اليوسفي-البورقيبي

د.محمد اللومي

حين يثار الحديث عن الصراع بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف رحمهما الله، وما كان مدى تأثير ذلك على الحركة الوطنية وتاريخ البلاد التونسية خلال السنوات الخمس التي تلت الاستقلال في 20 مارس 1956، تتبادر إلى ذهنك بصفة مزمنة خمس كلمات مفاتيح.. بورقيبة.. بن يوسف.. الاستقلال الداخلي.. خطوة الى الأمام.. خطوة الى الوراء.. خمس كلمات مفاتيح تخطو بك خطوة الى الأمام، ثم خطوة الى الوراء، فاذا بك في كل مرة، عند النقطة الصفر من الصراع اليوسفي-البورقيبي.. لذا أعتقد أنه بعد مرور أكثر من نصف قرن على وفاة صالح بن يوسف، وبعد مرور ربع قرن تقريبا على وفاة الحبيب بورقيبة، لا بد أن يُحسم الصراع بينهما..

لا شك أن الرجلين كانا، في بداية المطاف، رفيقي درب خلال الكفاح التحريري، وذلك في الفترة الممتدة بين ثلاثينات القرن الماضي ونهاية الحرب العالمية الثانية.. فبن يوسف كان مثلا ضمن مجموعة الثمانية عشرة قياديا من الحزب الدستوري الجديد الذين تم ايقافهم صحبة الحبيب بورقيبة غداة أحداث 9 أفريل 1938، ثم اقتيادهم الى"برج البوف"، قبل أن تتم محاكمتهم أمام القضاء العسكري، يوم 16 أفريل 1938، بتهمة التحريض على الحرب الأهلية والتآمر على أمن الدولة. يومها طالب الادعاء العام العسكري بإعدام بورقيبة لأنه رفض طلب المقيم العام الفرنسي الذي أبلغه اياه عن طريق الدكتور محمود الماطري- رئيس الحزب- لتهدئة الأوضاع اثر المظاهرة العارمة التي انتظمت يوم 8 أفريل 1938 أمام الرقابة العامة الفرنسية للمطالبة بالإفراج عن جميع القيادات الموقوفين منذ 48 ساعة.. رفض بورقيبة التهدئة يوم 8 أفريل، فتمت محاكمة علي البلهوان رحمه الله أمام القضاء العسكري يوم 9 أفريل 1938، وهو ما تسبب في مواجهات دامية بين مناضلي الحزب والسلط الاستعمارية، أفضت الى استشهاد العشرات من التونسيين..

تثبيت الزعامة

القضاء العسكري الاستعماري أفرد بورقيبة بطلب حكم الاعدام دون بقية المجموعة بما في ذلك صالح بن يوسف.. فمنذ البداية، وقبل مرحلة الصراع، كان بن يوسف قياديا في حين كان بورقيبة زعيما.. يوم 10 جوان 1938 أدان القضاء العسكري الفرنسي الزعيم بورقيبة ورفاقه الثمانية عشر ، وتم اقتيادهم تباعا الى السجن العسكري بتونس، ثم الى تبرسق، وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية الى حصن "سان نيكولا" بمرسيليا، فحصن "مونتليك"، ومنه الى ليون فنيس، قبل أن يتم اقتيادهم الى روما يوم 9 جانفي 1943، حيث تم استقبالهم بحفاوة، في ذروة انتصارات المحور.

بورقيبة يتوسط الزعيم فرحات حشاد وصالح بن يوسف

يوم 26 فيفري 1943 قرّرت قوات المحور ارسال كل المجموعة الى تونس باستثناء الحبيب بورقيبة، الذي تم ترحيله بعد عشرة أيام تحت حراسة عسكري ايطالي.. ذلك أن بن يوسف كان منذ البداية قياديا في حين كان بورقيبة زعيما.. وأعتقد أن بورقيبة كان قد فرض زعامته مباشرة منذ رجوعه من فرنسا سنة 1927 اثر استكمال دراسته الجامعية هناك، حيث ثار على الأوضاع المأساوية التي كان يعيشها الشعب التونسي تحت نير الممارسات الاستعمارية التمييزية، وذلك من خلال العديد من المقالات التي كان ينشرها بجريدة "صوت التونسي"، مطالبا بالعديد من الاصلاحات وبانشاء دستور للبلاد.. وتواصلت زعامة بورقيبة حين كان قائد المجموعة التي انشقت عن الحزب الدستوري القديم، لتؤسس جريدة "العمل التونسي" الناطقة باللغتين العربية والفرنسية في نوفمبر 1932..

ثم لما كان الناطق باسم هذه المجموعة المنشقة في مؤتمر الحزب الدستوري القديم المنعقد في 12 و13 ماي 1933، حيث انتقد بشدة برنامج وطرق عمل الحزب، مطالبا بالتخلي عن الأساليب البالية وعن البرامج التي تجاوزتها الأحداث، والتي لم تعد تلبي طموحات الشعب التونسي.. وواصل بورقيبة زعامته ازاء إبعاد مجموعة "العمل التونسي" تدريجيا عن صفوف الحزب الدستوري القديم، لما خطب بتاريخ 3 جانفي 1934 في "دار عياد" بقصر هلال، أمام العشرات من المناضلين الدستوريين لمدة ثلاث ساعات، مقنعا اياهم بأطروحة المجموعة التي تم طردها من الحزب، والتي تتموقع على طرف نقيض الخط السياسي والطرق النضالية الكلاسيكية للحزب الدستوري القديم، المستوحاة من المشرق العربي، والتي لا تتلاءم مع القضية التونسية، وبالتالي فلا جدوى ترجى منها.. وأمام النجاح الجماهيري لاجتماع 3 جانفي 1934، توخّى بورقيبة سياسة الاتصال المباشر بالجماهير ، مكثفا الاجتماعات الشعبية في كل أرجاء البلاد، محرّكا وجدان الشعب، ومحسسا برهانات القضية التونسية، وبالتالي مكرسا دوره الطلائعي كزعيم للحركة الوطنية ضد الاستعمار الغاشم..

ومكّن النجاح الجماهيري للخطة الاتصالية الجديدة التي انتهجها الزعيم بورقيبة سريعا من عقد مؤتمر استثنائي في "دار عياد" بقصر هلال في 2 مارس 1934 تأسس خلاله الحزب الدستوري الجديد من طرف مجموعة "العمل التونسي".. المتكونة، بالاضافة للزعيم بورقيبة الذي عين أمينا عاما للحزب، من الدكتور محمود الماطري والطاهر صفر وامحمد بورقيبة والبحري قيقة، رحمهم الله.. ونلاحظ هنا بشكل جلي غياب اسم صالح بن يوسف عن كل ما يتعلق بمجموعة "العمل التونسي"- التي مثّلت النواة الصلبة للحزب الدستوري الجديد- سواء كان ذلك تنظيميا أو ميدانيا، في حين كان بورقيبة زعيم المجموعة وزعيم الحزب منذ بداية ثلاثينات القرن الماضي الى نهاية الحرب العالمية الثانية. بيد أنه لا يمكن انكار صفة القيادي بالحزب الدستوري الجديد، لصالح بن يوسف، بالنظر الى السنوات الخمس التي قضاها تباعا قيد الاعتقال داخل تونس وخارجها، رفقة الزعيم بورقيبة وعدد من رفاقه من قياديي الحزب، وذلك اثر أحداث 9 أفريل 1938 الدامية.. ولا شك أن التنافس على زعامة الحزب والحركة الوطنية مثّل المرحلة التي تلت الوفاق، وسبقت الصراع، بين بن يوسف وبورقيبة. فعلى اثر مغادرة الزعيم بورقيبة البلاد خلسة في اتجاه مصر في مارس 1945 للتعريف بالقضية التونسية لدى بلدان المشرق العربي، وأمام طول غيابه، توفرت الفرصة لبن يوسف للإمساك بمقاليد الحزب..

ولعل المتفحص في السنوات الأربع التي قضاها بن يوسف على رأس الحزب في غياب الزعيم بورقيبة، لا يظفر بأي حدث نوعي في مسيرة الحركة الوطنية داخل البلاد، سوى ذلك المتعلق بتنظيم "مؤتمر ليلة القدر" في الليلة الفاصلة بين 23 و24 أوت 1946، الموافقة لتاريخ 27 رمضان.. استجابة من بن يوسف لطلب تقدمت به اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم، وذلك لتوحيد صفوف الدستوريين في جبهة واحدة قادرة على الاستجابة لتطلعات الشعب التونسي في الانعتاق من الاستعمار. وقّع المؤتمرون الثلاثمئة على عريضة تطالب بالاستقلال التام والفوري للبلاد التونسية..

ومع نهاية المؤتمر داهمت قوات الاستعمار غرفة الاجتماع لتلقي القبض على خمسين من المؤتمرين.. بحيث نستشف أن فترة قيادة بن يوسف للحزب في غياب الزعيم بورقيبة، اتسمت بالرجوع للخط السياسي العقيم للحزب الدستوري القديم، والمرتكز في جانب من جوانبه، على استراتيجية "الكل والا بلاش".

منذ رجوعه الى تونس يوم 8 سبتمبر 1949، جاب الزعيم بورقيبة لمدة ستة أشهر كل ولايات الجمهورية، شمالا وجنوبا، وبفضل خطاباته المباشرة، تمكن من غزو قلوب الشعب من جديد..

في مارس 1950، عرض الزعيم بورقيبة في أعقاب جولته عبر أرجاء البلاد، خلال اجتماع الشعبة الدستورية بـ "باب الجزيرة"، استراتيجيته النضالية الجديدة، متحدثا لأول مرة عن فرضية الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي..

وتنفيذا لاستراتيجيته المعلنة، عرض الزعيم بورقيبة في 15 أفريل 1950 بباريس- باسم الحزب الدستوري الجديد- ما يعرف بـ"برنامج النقاط السبع" ونشرت الصحافة الفرنسية يوم 13 جوان 1950 تصريحا للزعيم بورقيبة جاء فيه، " أما نحن فقد قدمنا برنامجا معتدلا وعمليا، يتكون من نقاط سبع، لا يلحق ضررا بمصالح الفرنسيين المقيمين في تونس، وسوف يتيح لتونس، ان هو طُبّق بأمانة، اجتياز المرحلة الأولى ، أي اعادة بعث دولة تونسية تتمتع بالسيادة الداخلية. ان أي اجراء آخر من شأنه أن يؤدي الى خيبة أمل جديدة ويعقّد قضية هي جوهريا في غاية الوضوح".. في 17 أوت 1950، تم تشكيل حكومة وحدة وطنية برئاسة امحمد شنيق رحمه الله..

الهدف من هذه الحكومة كان مناقشة الاصلاحات المؤسساتية- النقاط السبع- على مراحل متتالية، وذلك الى حين الحصول على الاستقلال الداخلي.. صالح بن يوسف كان وزيرا للعدل في حكومة امحمد شنيق..

أكثر من ذلك، صالح بن يوسف كان ضمن الوفد الحكومي الذي تحول الى باريس في 30 أكتوبر 1951، برئاسة امحمد شنيق، رفقة محمد سعد الله وزير الفلاحة وحمادي بدرة وزير الشؤون الاجتماعية، للتوصل الى اتفاق مع الحكومة الفرنسية على قاعدة برنامج النقاط السبع، صوب الحصول على الاستقلال الداخلي.. الوفد الحكومي قدم في ذلك مذكرة الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 31 أكتوبر 1951.. يوم 15 ديسمبر 1951 تسلم الوفد الحكومي المفاوض مذكرة وزير الخارجية الفرنسي "روبار شومان" المخيبة للآمال، والتي خلت من عبارات الاستقلال الداخلي والسيادة

التونسية، وحددت الطابع النهائي للعلاقات المستقبلية بين تونس وفرنسا على أساس السيادة المزدوجة على التراب التونسي.. ولما قرر الزعيم بورقيبة مع بداية شهر جانفي 1952 تدويل القضية التونسية، طالبا من حكومة شنيق تقديم عريضة في ذلك للأمم المتحدة، كان صالح بن يوسف هو الذي تحول الى باريس يوم 13 جانفي 1952، رفقة حمادي بدرة لتسليم العريضة لرئيس مجلس الأمن، والتي سجلت تحت رقم 2571/س بتاريخ 14 جانفي 1952..

في نفس يوم 13 جانفي 1952، وصل المقيم العام الفرنسي الجديد "دي هوتكلوك" الى تونس على متن بارجة حربية.. وما ان استلم مهامه، حتى باشر "دي هوتكلوك" سياسة قمعية متشددة في محاولة لكسر ارادة الشعب التونسي. كما قرر حظر الحزب الدستوري الجديد.. كرد فعل على كل ذلك، دعا الزعيم بورقيبة الشعب التونسي الى الثورة.. يوم 18 جانفي 1952 أمر "دي هوتكلوك" بايقاف زعماء الحزب الدستوري الجديد وعلى رأسهم الزعيم بورقيبة.. واثر ذلك قامت مظاهرات عارمة في كامل أرجاء البلاد، وفي نفس اليوم انعقد مؤتمر سري للحزب برئاسة الهادي شاكر رحمه الله، انبثقت عنه هيئة ادارية سرية (هيئة مقاومة)، وذلك قصد القيام بعمليات ميدانية نوعية ضد غلاة الاستعمار وعملائهم.. لتدخل تونس- بإيعاز مستمر من الزعيم بورقيبة انطلاقا من منفاه- في دوامة متواصلة من العنف والفوضى شملت جميع أرجاء البلاد، واستمرت لمدة سنتين ونصف تقريبا، متسببة في انهيار شامل وخطير للأمن والاستقرار.. ليقف المستعمر الفرنسي على اصرار الشعب التونسي على نيل سيادته كلفه ذلك ما كلفه.. اصرار الشعب التونسي على نيل سيادته استجاب له القدر.

بداية الخلاف

يوم 7 ماي 1954 تكبد الجيش الفرنسي هزيمة كبرى في حرب "الهند الصينية" مما أدى الى استقالة الحكومة الفرنسية ، وتولي "منداس فرانس" رئاستها.. يوم 31 جويلية 1954 أحدث "منداس فرانس" المفاجأة بتحوله الى تونس ليعلن أمام الباي ، "قررنا اسناد الاستقلال الداخلي للدولة التونسية دون نوايا مبيتة من الحكومة الفرنسية"..

ولكن المفاجأة الأكبر تمثلت في اعتقادي في المعارضة الشديدة لصالح بن يوسف وأتباعه لما جاء في تصريح منداس فرانس، معتبرا ذلك خطوة الى الوراء في مسار تونس نحو الاستقلال التام.. صالح بن يوسف الذي كان وزيرا في حكومة امحمد شنيق التفاوضية من أجل نيل الاستقلال الداخلي، كما كان عضوا ضمن الوفد الحكومي المفاوض للغرض لدى وزارة الخارجية الفرنسية، وهو الذي تحول الى فرنسا لتسليم شكوى تونس لرئيس مجلس الأمن لما تلكأ الجانب الفرنسي في إسناد تونس وضع الاستقلال الداخلي..

صالح بن يوسف هذا هو نفسه الذي اعتبر الاستقلال الداخلي، غداة الإعلان عنه فعليا، خطوة الى الوراء.. وانها لقمّة العبث.. لم يشارك بعد ذلك بن يوسف في حكومة الطاهر بن عمار، التي كانت مهمتها التفاوض مع الحكومة الفرنسية على تراتيب التطبيق الفعلي للاستقلال الداخلي.. ولكنه كان يضغط على هامش هذه المفاوضات -التي انطلقت بباريس يوم 18 أوت -1954على المنجي سليم كبير المفاوضين رحمه الله، من أجل عدم الإقدام على تنازلات مجحفة، من شأنها أن تفرغ الاستقلال الداخلي من محتواه، بما قد يعقد مسار الحصول على الاستقلال التام.. وهنا يبرز معطى على غاية من الأهمية، إذ أن بن يوسف الذي يعتبر أن الاستقلال الداخلي كان يمثل خطوة الى الوراء، بات مقتنعا تمام الاقتناع بأن الاستقلال الداخلي هو بمثابة خطوة الى الأمام على درب الحصول على الاستقلال التام، والذي- في قرارة نفسه وعقله- لا مفر من الفوز به..

وبالفعل بعد مرور بضعة أشهر على امضاء بروتوكول الاستقلال الداخلي في 3 جوان 1955، وقّع الطاهر بن عمار من الجانب التونسي و"كريستيان بينو" من الجانب الفرنسي يوم 20 مارس 1956 على معاهدة استقلال البلاد التونسية التام.. ولكن بن يوسف المقتنع ضمنيا بحصافة خطوة الاستقلال الداخلي، انبرى قبل ذلك الى اشعال نار الفتنة في البلاد..

فبعد رجوعه الى تونس يوم 13 سبتمبر 1955، عمد الى تنظيم اجتماع جماهيري بجامع الزيتونة بتاريخ 7 أكتوبر 1955، معلنا أن اتفاقيات الاستقلال الداخلي وفرت للحماية الفرنسية قاعدة أكثر صلابة من اتفاقية باردو لسنة 1881 وندد في الوقت ذاته بالطابع العلماني وحتى الالحادي للاصلاحات التي كان يتبناها الحبيب بورقيبة.. وتتضح أكثر فأكثر النوايا الدفينة لبن يوسف حين رفض حضور المؤتمر الذي دعا الى عقده الديوان السياسي للحزب بصفاقس من 15 الى 18 نوفمبر 1955، وذلك للبت في الخلاف اليوسفي-البورقيبي. وبالتالي فقد كرّس مؤتمر صفاقس زعامة بورقيبة، الذي تمكن من استعادة وحدة الحزب حوله، حيث أعلن المؤتمرون في اللائحة السياسية.. "ان اتفاقيات الاستقلال الداخلي تشكّل مرحلة مهمة في اتجاه الاستقلال التام"..

الزعيم الحبيب بورقيبة مع آخر بايات تونس الأمين باي والطاهر بن عمار

الفتنة اليوسفية

بعد مؤتمر صفاقس قطع اليوسفيون خطوة اضافية بإعطاء معارضتهم طابعا عنيفا.. وتحوّل الخلاف اليوسفي- البورقيبي الى "فتنة يوسفية" بأتم معنى الكلمة حيث اندلعت اضطرابات في الجنوب وفي بعض شعب الحزب بالعاصمة، في الوقت الذي اتخذت فيه خطابات بن يوسف منحى دفاعيا أكثر فأكثر عن الاسلام والعروبة.. كما عبر أنصار الحزب الدستوري القديم عن دعمهم السياسي لبن يوسف. من جهة أخرى عاد كل من الطاهر الأسود ومصباح النيفر الى رفع السلاح مجددا ، بعد أن كانا قد سلماه استجابة لدعوة بورقيبة في وقت سابق .. في 28 جانفي 1956 اعتقل قادة الحركة اليوسفية في حين فر صالح بن يوسف إلى مصر عبر ليبيا.. غداة الاستقلال التام سقطت ورقة التوت الأخيرة عن بن يوسف لما عمد أنصاره الى الضلوع في العديد من المواجهات الدامية والأعمال التخريبية خلال الأسابيع التي تلت امضاء بروتوكول 20 مارس 1956.. أولم يكن الحصول على الاستقلال التام هو محور الخلاف اليوسفي-البورقيبي المزعوم؟ لماذا اذن يتحول الحصول على الاستقلال التام الى "فتنة يوسفية" قسّمت البلاد والعباد كما أطلقت بوادر حرب أهلية.. لسبب بسيط، وهو السبب الذي صدع به صالح بن يوسف نفسه أمام مخاطبَيه القاضي بلقاسم القروي الشابي ، مدير ديوانه في وزارة العدل سابقا، والحبيب شيخ روحه، مدير جريدة "الصباح"، حين التقياه في روما، مفسرين له بأن خصومته مع الزعيم بورقيبة فقدت كل مبرراتها بحصول تونس على استقلالها التام، ناصحين اياه بنقل نشاطه السياسي الى داخل الحزب، أو على الأقل الى داخل البلاد في اطار حوار ديمقراطي قانوني، مشيرين عليه بالتخلي عن العنف وبتغيير خطابه. أجاب صالح بن يوسف.."يا انا يا بورقيبة لو كان حتى يسيل الدم للركبة" .. وتلك هي عين الحقيقة.. الخلاف اليوسفي- البورقيبي هو خلاف موهوم من جانب واحد.. الصراع اليوسفي- البورقيبي هو صراع موهوم من جانب واحد.. من جانب صالح بن يوسف بالتحديد،.. صالح بن يوسف هو الذي أوهم بالخلاف والصراع مع الحبيب بورقيبة بتعلات في ظاهرها التعلق المطلق بحرمة الوطن والحرص على المساندة التامة للقضية الجزائرية. أما باطنها، عندما تنظر اليه بالعين الواعية لوقائع الأمور، فانه يرشح بتكالب صالح بن يوسف على الزعامة.. وقائع الأمور تروي استقلال تونس يوم 20 مارس 1956، وانعقاد أول جلسة للمجلس التأسيس يوم 9 أفريل 1956، ومصادقته على أول حكومة تونسية صرفة- حكومة الوحدة الوطنية-يوم 17 أفريل 1956، واعلان النظام الجمهوري يوم 25 جويلية 1957.. كما أبدت تونس المستقلة التزامها الكامل واللامشروط بدعم الثورة الجزائرية ، وذلك من خلال احتضانها جبهة التحرير وفصائل المقاومة والحكومة الجزائرية المؤقتة.. كل هذا لم يثن بن يوسف عن مواصلة شن حملاته الشعواء على الزعيم بورقيبة وسياسته انطلاقا من منفاه في مصر وبدعم غير مشروط من قبل الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله، وبتيسير كبير من المحطة الاذاعية "صوت العرب".. دون أن ننسى تواتر محاولات اغتيال وتسميم الزعيم بورقيبة ، والتي قام بن يوسف بالتخطيط لها باعانة بعض المصالح المختصة الأجنبية.. ورغم كل ذلك، حرص الزعيم بورقيبة على مقابلة بن يوسف مع بداية شهر مارس 1961 بسويسرا خمس سنوات بعد حصول تونس على استقلالها التام.. كان هو ذلك نفسه صالح بن يوسف ذلك القيادي الذي اشتاق للزعامة قبل الحرب العالمية الثانية، وفشل بعدها في نيلها في غياب الحبيب بورقيبة، ثم فتن البلاد والعباد من أجلها عشية الاستقلال وغداته، ففتنته عن نفسه وعن وطنه.. كان ذلك هو نفسه صالح بن يوسف في مواجهة الحبيب بورقيبة.. الحبيب بورقيبة ذلك القيادي الذي فتن الزعامة بذكائه ودهائه وتضحياته وثباته على المبدأ ، فأتته طوعا.. كان ذلك هو اللقاء بين بن يوسف وبورقيبة.. لقاء بين رجل فتنته الزعامة في مواجهة رجل فتنها.. فكان اللقاء الأخير بينهما.. ذات مارس 1961...

صالح بن يوسف مع الباهي الادغم والحبيب بورقيبة الابن

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التقرير الأسبوعي لـ "التونسية للأوراق المالية" :

لـ ARTES أفضل أداء، POULINA تواصل التقدم وSOTEMAIL تتراجع

منحى السوق

كان الأسبوع الثاني من شهر أفريل 2024 مثمرا بالنسبة لبورصة تونس. فقد اجتاز تونندكس حاجز الـ 9000 نقطة مسجلا بذلك قفزة أسبوعية بـ 0,7 ٪ ودعم بذلك المؤشر المرجعي أرباحه منذ بداية العام لتبلغ + 3 ٪.

ونتيجة أسبوع موجز بمناسبة عطلتي عيدي الفطر والشهداء كان حجم التداولات ضعيفا ولم يتجاوز 7,6 ملايين دينار بما مثل معدلا يوميا بـ 3,8 ملايين دينار حسب تحليل الوسيط الرسمي ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

• حقق سهم الشبكة التونسية للسيارات والخدمات ARTES أفضل أداء خلال الأسبوع الممتد من 8 الى 12 أفريل الجاري مسجلا قفزة بـ 7,6 ٪ بسعر 6,900 دينار وسط حجم تبادلات محدود بـ 33 ألف دينار.

• في سياق اندفاعه، واصل سهم مجموعة بولينا القابضة Poulina Group Holding خلال الأسبوع المذكور مساره الجيد محققا ارتفاعا بـ 6,8 ٪ بسعر 9,080 دينار وسط حجم تبادلات بـ 469 الف دينار على امتداد الأسبوع.

• سجل سهم الشركة التونسية للتلا SOTEMAIL أكبر تراجع خلال الأسبوع المذكور بلغ 11,7 ٪ بسعر 1,280 دينار دون اجتذاب أية أموال.

• نتيجة تيار موجة بيوعات تراجع سهم SMART TUNISIE بـ 4,5 ٪ بسعر 15,850 دينار وسط تداولات بـ 141 ألف دينار على امتداد الأسبوع المذكور.

مستجدات السوق

• شركة صنع المشروبات بتونس SFBT تنشر قائماتها المالية المدمجة الى حدود 31 ديسمبر 2023 :

كانت سنة 2023 طالع خير على شركة صنع المشروبات بتونس التي كشفت في قائماتها المالية الخاصة بنشاط عام 2023 عن نتائج جمعت بين النموّ والمتانة المالية.

ورغم نموّ رقم معاملاتها المدمج بشكل محتشم (+ 3٪ بقيمة 1,4 مليار دينار) نجحت المجموعة في تحقيق ارتفاعا في نتيجة استغلالها بـ 4,8 ٪ بقيمة 322 مليون دينار ونموّ في حصة صافي الربح بـ 9,6 ٪ بقيمة 281,7 مليون دينار. وللمصادقة على حسابات نشاط عام 2023 ستعقد الشركة جلستها العامة العادية السنوية يوم الأربعاء 24 أفريل 2024 بمقر المعهد العربي لرؤساء المؤسسات الاقتصادية انطلاقا من الساعة العاشرة صباحا.

وستتدارس الجلسة العامة العادية في الاثناء توزيع أرباح بـ 0,740 دينار عن كل سهم بالنسبة لنشاط العام الماضي. والجدير بالذكر ان الجلسة العامة العادية ستكون مسبوقة بجلسة عامة خارقة للعادة ستخصص للنظر في الترفيع في رأسمال الشركة بإدماج النتائج المحققة وذلك بملغ 20,6 مليون دينار. وسيتمخض عن العملية اسناد 20625000 سهم جديد بشكل مجاني قيمة كل واحد منها دينار بواقع سهم مجاني جديد لـ 12 سهما قديما. وسيقترح مجلس إدارة الشركة خلال الجلسة العامة الخارقة للعادة ضبط حق التمتع بالاسهم المجانية الجديدة بداية من يوم 1 جانفي 2023.

• بنك الأمان Amen Bank : جلسة عامة عادية :

أوفى عام 2023 بوعوده بالنسبة لبنك الأمان وحقق الذراع المالي لمجموعة PGI خلاله نتائج مبهرة متحدّيا بذلك حالة الركود السائدة. وحقق البنك الخاص على المستوى الفردي ارتفاعا بـ 9,1 ٪ في ناتجه الصافي الخام بقيمة 540 مليون دينار ونموّا ملحوظا في نتيجته الصافية بلغ 25,8 ٪ بقيمة 194,9 مليون دينار. كما كانت الإنجازات المدمجة لمجموعة بنك الأمان مرضية هي الأخرى.

وشهدت مجموعة البنك ارتفاع حصة صافي أرباحه بـ 41,9 ٪ لتبلغ رقما قياسيا بـ 216,5 مليون دينار. وسيعقد البنك المذكور جلسته العامة العادية يوم الخميس 25 أفريل 2024 على الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر بمقره الاجتماعي للبتّ في حساباته والمصادقة على اقتراح توزيع أرباح قياسي بـ 3,220 دينار عن كل سهم خاصة بنشاط 2023 (مقابل أرباح بـ 2,047 دينار عن كل سهم بعنوان نشاط 2022).

إشهار

GEELY
SOTUDIS
GX3PRO
DRIVE FOR A BETTER LIFE

VISITEZ NOTRE SITE WEB
WWW.GEELY-TUNISIE.COM
DISPONIBLE DANS NOS SHOWROOMS
TUNIS | SOUSSE | SFAX | GABES
APPELEZ-NOUS AU
70 131 000
SUIVEZ-NOUS

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

مهدي البنا

اختارت وكالة "ناسا" الأمريكية محطة مراقبة البيئة القمرية(LEMS) التي يشرف عليها عالم الفلك التونسي مهدي البنا لقياس الزلازل ومراقبة البيئة الزلزالية في المنطقة القطبية الجنوبية على سطح القمر.

ومن المنتظر أن تعمل محطة LEMS على سطح القمر لمدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وعامين وقد تصبح محطة رئيسية في الشبكة الجيوفيزيائية القمرية العالمية.

انجاز علمي يحسب للفلكي التونسي المختص في دراسة المناخ بالكواكب وفيزياء البلازما وديناميكيات الأغلفة المغناطيسية ويعزّز مكانته ضمن ابرز علماء الفلك في العالم.

البنا كان مولعا منذ نعومة أظافره بعلوم الفضاء. وبعد نجاحه في مناظرة الباكالوريا بملاحظة "حسن جدا" التحق بالمدرسة الوطنية للمهندسين بتونس (ENIT) اين احرز على شهادة الهندسة في مجال الالكترونيك قبل أن يتمتع بمنحة للدراسة في جامعة تولوز الفرنسية وينال شهادة الدكتورا في مجال تكنولوجيا الفضاء ثم ينتقل الى وكالة "ناسا" بصفة باحث مشارك.

في وكالة الفضاء الامريكية طوّر الفلكي التونسي امكاناته ليتخصص في مجال دراسة مناخ الكواكب وتصميم النظم الفضائية المدمجة والحساب العددي المكثف مساهما بذلك في تصميم روبو تم إرساله عام 2009 إلى كوكب المريخ.

بحوث البنا قادته الى اكتشافات هائلة منها احتواء القمر على "النيون" وهو غاز يتم استخدامه في الألواح الكهربائية بسبب سطوعه الشديد .

أما مساهمات الدكتور البنا العلمية فقد فاقت الـ 300 مقالة نشرها في مجلات علمية دولية تطرق فيها الى نمذجة الأغلفة المغناطيسية الكوكبية والمذنبات والأقمار الجليدية الخاصة بالنظام الشمسي وتقنيات التصوير المقطعي الإشعاعي والمشكل العكسية غيرالموضحة.

الدكتور مهدي البنا استحق ادراجه بركن "حسن جدا" باعتباره منارة علمية فذة مثلها مثل كثيرين تخرجوا من المنظومة التربوية العمومية وأصبحوا كل في اختصاصه ذوي شأن عظيم في انتظار لم شملهم في برامج وطنية جادة للنهوض ببلادنا للحاق بركب الامم الخلاقة والمبتكرة.

رديء

وزارة التجهيز

مع انهيار جانب من طريق بمدينة صفاقس تسبب في سقوط سيارتين في هوة سحيقة وقبل ذلك تحوّل جزء من الطريق الرابط بين منطقة حمام بورقيبة ومعتمدية عين دراهم بجندوبة الى حفرة خطيرة لم تعد انهيارات الطرقات وحتى الجسور خلال السنوات الأخيرة مجرد أحداث عابرة بل اضحت ظاهرة ملفتة للانتباه.

قد يكون لقوة السيول المنهمرة في بعض الجهات دور في الإضرار ببعض الطرقات لكن ان تتكرّر الانهيارات فمعنى ذلك أن في الأمر إنّ وما على وزارة التجهيز كجهة مشرفة على تشييد الطرقات سوى مراجعة حساباتها في هذا الملف الذي يمس أمن مستعملي الطريق.

ورغم ان مد الطرقات يعتبر من أكثر المقاولات كلفة مع ما يعني ذلك من حرص على جودة الأشغال واحترام المواصفات المطلوبة فإن تقارير الرقابة التي انجزتها التفقدية العامة بوزارة التجهيز خلال السنوات الاخيرة تشير الى ارتكاب إخلالات شتى عند انجاز عديد الطرقات ولا غرابة إذن في سرعة اهترائها وخروجها عن الخدمة في ظرف سنوات معدودة أو انهيار أجزاء منها كلما تهاطلت أمطار غزيرة.

صورة تتحدث

مجلس الامن القومي يعود الى الانعقاد بعد توقف دام حوالي 5 أشهر... إن شاء الله المانع خير...
وهو كي يجتمع معناها الأمور مريقلة وإلا كيف ما يجتمعشي معناها الأمور مريقلة؟...
ربي يبقّي علينا الستر... وإن شاء الله عيدكم مبروك...

قالوا

قيس سعيد

...سوف يأتي الوقت للترشح (للانتخابات الرئاسية)....القضية قضية بقاء أو فناء وليست قضية طموح مشروع فهي ليست طموحا ولا شهوة وسوف يأتي الوقت لذلك بطبيعة الحال في اطار احترام القانون ولكن الواجب اليوم بالنسبة الينا كتونسيين ان نكون في خدمة تونس من اي موقع كان... هذا هو المهم ... البعض يتحدث عن الرئاسة... لماذا قاطعوا...؟ قالوا لا نشارك في الانتخابات التشريعية ويتهافتون اليوم على الانتخابات الرئاسية... اسألوهم واطرحوا عليهم السؤال قد تجدون الاجابة ....لان ما في ذهنهم هي الرئاسة... لا... القضية هي الوطن والقضية هي مواصلة التحرير الوطني حتى نخلّص تونس من الذين عبثوا بها وافسدوا في كل مكان وفي كل قطاع ..

ابراهيم بودربالة

ما يقال (حول امكانية ترشحه للانتخابات الرئاسية) كلام فارغ ... نحن في مسار بدأه الرئيس قيس سعيد منذ 25 جويلية 2021 والمسار يسير بثبات وبصدد تحقيق اهدافه خطوة بخطوة.. الحمد لله تونس تسير في الطريق الصحيح وسوف اكون اول المساندين للرئيس قيس سعيد في الانتخابات المقبلة...

احمد ونيس

الدول العربية كانت معدومة استراتيجيا في المنطقة منذ 7 اكتوبر ... وايران لم تترك نفسها في نفس الحالة ولما تم الاعتداء عليها ردت الفعل وهذا درس عظيم للعالم العربي... لاول مرة تنفذ ايران ضربة مباشرة لاسرائيل ولم تكن في السابق تتدخل بضربات مباشرة بحيث ان دخولها يجعل اسرائيل تقطع مرحلة استراتيجية جديدة لانه من المعروف تاريخيا ان لايران احتياطا كبير وانها لا تتدخل الا عند ضمان النجاح بحيث انه من الظاهر انها استشارت هذه المرة الصين وروسيا قبل تحقيق ضربتها بحيث انها ليست معزولة والخطب المتبادلة يوم امس في مجلس الامن تؤكد ان روسيا والصين لن تتركا ايران معزولة .... المهم اليوم وكأن هناك صفين واضحان وكأنها حرب باردة... مجموعة قوى عالمية وراء صف ايران هي الصين وروسيا ومجموعة ثانية وهي المجموعة الغربية في صف اسرائيل والمجموعتان في مواجهة شديدة تذكرنا بالحرب الباردة ...

سمير ديلو:

ملف قضية التآمر على امن الدولة عاد يوم 4 افريل بعد الساعة الثانية والنصف والمحكمة مغلقة واتضح ان هناك تسرعا حتى يتمكن قاضي التحقيق من القيام في نهاية الاسبوع بما عجز عن القيام به طيلة 14 شهرا وهذا غير معقول وهو تحيل على الاجراءات ونحن سنقدم شكاية في التدليس في حق كل من ساهم في مثل هذه العملية ..

رابح الخرايفي

اولا لنتفق على ان المجال الانتخابي مازال محميا بالقانون ولا يمكن لهيئة الانتخابات ان تأتي بشروط جديدة ولكن ما ذهبت اليه هي مسألة تأويلية في نطاق الشروط القانونية التي وضعها قانون 26 ماي 2014 ودستور 2022. وبالاضافة الى شرطي الجنسية والسن فإن التأويل الذي يستند الى القانون هو تنزيل الحقوق السياسية وترجمتها بالبطاقة عدد 3 . اما شرط الاقامة فهو من الجانب القانوني ليس بجديد على القانون الانتخابي التونسي باعتبار انه يعطي صفة الناخب وصفة المترشح في الانتخابات المحلية والجهوية وبالتالي لماذا يتم اعتماده على المستوى المحلي والجهوي والنيابي ولا يتم اعتماده على المستوى الرئاسي ؟... فعلا لا يجوز لهيئة الانتخابات اضافة شروط جديدة اقصائية وخارجة عن الدستور ولكن البطاقة عدد 3 واعتقد ايضا شهادة الاقامة من صميم النص الدستوري ومن صميم نص القانون.

مجموعة «أمّة الإسلام» تكشف :

إسرائيل تدمّر قطاع غزة للسطو على مخزونه من النفط والغاز

ترجمة : الحبيب القيزاني

في مقال نشره باللغة الانقليزية تحت عنوان : "كيف أصبح كنيس الشيطان إسرائيل : من السكر الى القطن وصولا الى النفط" نقل موقع The Unz Review فحوى دراسة انجزتها حركة "أمة الإسلام" كشفت فيها سرّ وحشية العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة وإمعانها في إبادة أهاليه وتدمير بناه التحتية واصرارها على تهجير السكان خالصة الى أن السر المغيّب هو السطو على مخزون نفط القطاع لتحويل إسرائيل الى قطب عالمي لامداد أوروبا بنفط المنطقة بعد انجاز مشروع حفر قناة بن غوريون والقضاء على قناة السويس المصرية. وجاء في الدراسة :

"لا يمكن أبدا أن يكون هناك سلام قائم على الظلم والسرقة والكذب والخداع وتوظيف اسم الله بذريعة تحقيق السلام".

* لويس فاراخان زعيم تنظيم "امة الاسلام" بأمريكا الذي عرف بمواقفه وتصريحاته الشجاعة والتي جلبت له اتهامات بالعنصرية وبمعاداة السامية في حين يشبهه عدد من انصاره بـ"مانديلا الامريكي"

لم يسبق أن هيمن سقوط "دولة إسرائيل" الأخلاقي على وسائل الاعلام في العالم مثلما حدث منذ انطلاق حربها على قطاع غزة بعد عملية "طوفان الأقصى". فالعالم مصدوم من تصرّف "أهل الكتاب" ـ "الشعب المختار" ـ و"نور الأمم" الذين يقصفون المستشفيات ومخيمات اللاجئين والأحياء السكنية بقطاع غزة ويبيدون الفلسطينيين كما لو كانوا من قبائل نافاهو أو الالغونكوينز أو الشيروكي التي يحفظ التاريخ قصص ابادتها بلا رحمة على يد سكان أمريكا الجدد أيامها لافتكاك أراضيها وتحويلها الى مزارع للقطن أو السكر أو لحفر الآبار واستخراج النفط منها بعدما أكد لهم علماء الجيولوجيا آنذاك أنها تزخر بالذهب الأسود. ووحشية إسرائيل هي في الواقع نسخة طبق الأصل تقريبا لمذبحة وقعت قبل 387 عاما، عندما حاصر "الحُجّاج" وهو شعب آخر كان يؤمن بألوهيته نحو 700 شخص من قبيلة "بيكوت" Pequot معظمهم من النساء والأطفال قرب نهر ميستيك Mystic في نيو انقلند وهجموا عليهم بقوة عسكرية هجوما لا هوادة فيه. وقد كتب قائد القوات العسكرية ويليام برادفورد واصف بكل فخر المجزرة : "كانوا يتقلون وسط أحواض النيران التي أعددناها لهم وكانت سيول الدماء التي تنزف منهم تطفئ بين الحين والآخر النيران التي تأكل لحومهم وكانت الرائحة الكريهة الناتجة عن ذلك تزكم الأنوف لكن كان لنصرنا طعم أضحية حلوة وكنّا نسبّح باسم الله".

والى حدّ كتابة هذه السطور، تقول الأمم المتحدة إن إسرائيل هاجمت أكثر من 250 منشأة صحية في قطاع غزة والضفة الغربية بما في ذلك المستشفيات والمصحات وسيارات الإسعاف بمن فيها من مرضى وجرحى. والى حدّ كتابة هذه السطور أيضا قتل الإسرائيليون أكثر من 30 ألف فلسطيني أكثر من نصفهم نساء وأطفال. وبالنسبة لكنيس الشيطان "بدا النصر أضحية لذيذة الطعم وسبّح الإسرائيليون على وقعها باسم الله".

المال وراء الإبادة الجماعية

بينما تابع العالم على الهواء مباشرة ولأوّل مرة ارتكاب جريمة إبادة جماعية كان يتم نقل صورها آنيا عبر القنوات التلفزية، قد لا يدرك الناس أنهم لا يشاهدون صراعا دينيا. وبدلا عن ذلك كانوا يشاهدون حركة تهجير تكمن وراءها دوافع اقتصادية هدفها السيطرة على مزيد من مخزون النفط والغاز. في الأثناء ردّد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو كلمات تثنية 25 : 17 عبر تقديم حرب إسرائيل على الفلسطينيين علي أنها تحقيق لنبوءة توراتية تقول : "يجب أن تتذكروا ما فعل عماليق بك" منحازا بذلك الى حملة الإبادة الجماعية التي شنّها الملك شاوول عندما أمر بـ "قتل الرجال والنساء والأطفال والرضّع والماشية والأغنام والابل والحمير".

لكن لشجع الملك بنيامين اليوم غرضا آخر. وقد سبق للوزير لويس فارخان أن قال في خطاب تاريخي له ألقاه يوم 25 فيفري 2007 بمدينة ديترويت ودعا خلاله مسلمي

امريكا الى الوحدة والى عدم الانخراط في الجيش بسبب غزو العراق "ان إسرائيل ترى ثروة نفطية بمليارات الدولارات تحت قطاع غزة" وأنها "تريد بناء قناة أكبر من قناة السويس والاستفادة من تلك الثروة". وطبقا لتقرير صادر عن الأمم المتحدة سنة 2019 بعنوان "التكاليف الاقتصادية لاحتلال إسرائيل فلسطين : الإمكانات غير المستغلّة للنفط والغاز الطبيعي" أكد علماء الجيولوجيا وخبراء اقتصاد الثروات الطبيعية أن أرض فلسطين المحتلة تنام علي مخزونات هائلة من النفط والغاز الطبيعي وأنهم يقدّرون أن لدى الفلسطينيين 1.5 مليار برميل من النفط تقدّر قيمتها بنحو 100 مليار دولار. وبالإضافة الى ذلك يرى تقرير الأمم المتحدة أن سياسة الفصل العنصري الإسرائيلي حرمت الى حدّ الآن الفلسطينيين من 2.57 مليار دولار من ثروات الغاز الطبيعي.

وكان نتنياهو قد صرح في خطاب ألقاه يوم 22 ديسمبر 2023 بالأمم المتحدة أنه يعتزم انشاء "الشرق الأوسط الجديد" عبر بناء ممرّ واسع للسكك الحديدية والطرقات البحرية يربط بين الهند والعربية السعودية والامارات المتحدة والأردن وإسرائيل والاتحاد الأوروبي. ويتضمن المخطط احياء مشروع سنة 1963 لتطوير ما يسميه قناة بن غوريون باعتبارها تحدّيا إسرائيليا لقناة السويس المصرية. ومن شأن الممرّ المائي الذي يبلغ طوله 200 ميل بكلفة 55 مليار دولار أن يربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط بما يمنح إسرائيل السيطرة علي أحد الممرات الرئيسية في العالم للسفن العسكرية وصادرات الحبوب والطاقة وغيرها من السلع. ويمرّ المسار المخطط لقناة بن غوريون عبر قطاع غزة ويرى العديد من الملاحظين الدوليين ان إسرائيل تدمّر قطاع غزة ليس لاجتثاث حركة "حماس" وانما لتمهيد الطريق لبناء القناة الإسرائيلية.

ويرتبط نتنياهو أيضا بشركة غاز ونفط تدعي Genie Energy تسعى لاستغلال الاكتشافات النفطية الأخيرة بهضبة الجولان السورية المحتلة. ويجب هنا النظر الي الحرب التي يشنها الغرب على سوريا منذ سنوات من زاوية هذه الاكتشافات الهائلة التي يقول الإسرائيليون ان من شأنها أن تجعل بلادهم مكتفية ذاتيا من النفط لعدة سنوات قادمة. وقد تم إخفاء كل هذه الدوافع المتعلقة بالوقود الاحفوري والتجارة عن العالم عمدا تحت واجهة "الدين" الزائفة التي تلتحف بها إسرائيل وهي خدعة روّجها نتنياهو ومجموعة من الساسة والإعلاميين المتعاونين معه لمغالطة العالم.

لا يشبهون بعضهم بعضا

والحقيقة هي أن ما يسمى بـ "الأمة اليهودية" كانت دائما موجودة بشكل مشوّه منذ مئات ان لم يكن آلاف السنين. والقرآن الكريم ينبّهنا الى ضرورة التمييز بوضوح بين من يسمّون بـ "أهل الكتاب" ويقول في سورة آل عمران "ليسوا سواء" وأن منهم "صالحين" وآخرون "كفروا" و"أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون". والتوراة (طبعا غير المحرّفة والتي تسمّى التلمود) ليست أقل وضوحا من القرآن في هذا الصدد اذا جاء فيها : "انّي أعرف افتراء الذين يدعون انفسهم يهودا وليس هم بيهود بل هم جماعة كنيس الشيطان... هم كذّابون..." وهكذا نجد تطابقا حقيقيا بين المقاطع الأكثر تجاهلا من أقدس الكتب عند المسيحيين والمسلمين. وعلى مرّ التاريخ ابدى العديد من الاعيان والشخصيات التاريخية، من المسيح الى الفيلسوف اليهودي فيلون مرورا بمارتن لوثر وعديد الباباوات نفس الملاحظة حول طبائع وسلوكات مختلفة تماما لدى فئات من شعب يتبنّى نفس الاسم : اليهود.

ويصر الصهاينة الإسرائيليون اصيلو منطقة القوقاز الذين يؤمنون بالمغالطة القائلة ان الله أجاز عودتهم الي صهيون (كلمة عبرية مرادفة لكلمة القدس) مع انصارهم على ان لأفعالهم ما يبرّرها في عيون العالم وعلى أن هذا الأخير أضفى عليها الشرعية عام 1948 (تاريخ قيام دولة إسرائيل). وقد وجّه باحثون يهود من أمثال Arthur Kœstler وShlomo Sand ضربة قاضية للادعاء القائل ان ليهود القوقاز صلة ما بالعبرانيين في توراة الملك جيمس. فوراثيا هؤلاء اليهود القوقازيين هم غير اليهود الناطقين بالعبرية الذين تبنوا الهوية المقدسة لشعب ضائع ووظفوها لتبرير مؤامراتهم وغزواتهم الاستعمارية الأكثر جرأة. وربّما يعتقد أغلب الإسرائيليون أنهم من نسل هذا الشعب القديم ولكن لا علاقة لهم بالبطاركة العبرانيين.

وعوضا عن ذلك لديهم سجلّ عدلي عمره آلاف السنين ويعود الى ما قبل وعد بلفور الذي عم عام 1917 والى قبل اول مؤتمر صهيوني عام 1897 وهو موغل في العالم العميق والمظلم لتجارة العبيد عبر المحيط الأطلسي. ولا يخطئنّ أحد فطريق الدمار الذي يتبع "أولئك الذين يسمون أنفسهم يهودا وما هم بيهود واسع بالفعل. ففي كتابهم "العلاقة السرية بين السود واليهود" والدراسة التكميلية المصاحبة له بعنوان "اعلان لبيع عبيد من طرف يهود أمريكيين" يوثق علماء وحاخامات بوضوح الدور اليهودي في تدمير الرجل الأسود واستغلال عمله لبناء امبراطورية عبر شركات الشعب اليهودي المنتشرة في جميع اصقاع العالم. وهذه القصة لا جدال فيها وقد سعت رابطة مكافحة التشهير الى مساعدة أمريكا على فهم قيمة الوجود اليهودي في "العالم الجديد" (اسم أمريكا بعد اكتشافها) وذلك عبر نشر كتيب بعنوان "تاريخ يهود أمريكا". ومن خلال تقديم أفضل وجه لهم تسلط الرابطة المذكورة الأضواء على 13 "رائدا" من اليهود الأمريكيين، 10 منهم مرتبطون بشكل قاطع بتجارة العبيد السود. وكان من بينهم تجار العبيد وأصحاب سفن مخصصة لهذه التجارة من أمثال آرون لوبيز وموسى ليندو وعائلة فرانكس الذين تصفهم رابطة مكافحة التشهير بأنهم "رجال أثرياء كانوا يحظون باحترام كبير من طرف جيرانهم" وبأنهم "يفتخرون بميراثهم الديني".

هذا "الميراث الديني" – مع الإبادة الجماعية التي تقوم عليها اسطورة تفوّق العرق الأبيض هو ما نشاهده اليوم في قطاع غزة. ان الدوافع الأكثر منطقية لهؤلاء الصهاينة لا تظهر جليّة إلاّ في ضوء الدور الهائل الذي لعبه اليهود في تجارة السكر والقطن والماس والذهب والنفط والمواد الأولية والصناعات في العالم والتي تربط يهود أمريكا مباشرة بيهود إسرائيل منذ المرحل الأولى لتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي".

وبعدما تعرّضت الى الدور الذي لعبه يهود العالم منذ ما يربو على قرنين للسيطرة على مزارع السكر والقطن وعلى مناجم الذهب والماس بمختلف انحاء العالم كشفت مجموعة البحث "أمة الاسلام" الطرق التي توخّاها هؤلاء لاقامة شركات تحتكر انتاج وتسويق هذه السلع عبر العالم قبل أن تمرّ الى الجزء الأخير من الدراسة الذي أوردته تحت عنوان : "اليهود والنفط".

وكتبت في هذا الصدد : "مع مطلع القرن العشرين، أصبح واضحا لعمالقة الثورة الصناعية أن التدفق الحرّ للنفط عبر العالم سيكون ضروريا لاستمرار نموّ الإمبراطورية الغربية".

ومن هنا تحوّل تركيزهم الى منطقة شمال افريقيا التي أعيدت تسميتها في ما بعد بـ "الشرق الأوسط" لأنها كانت مصدر ومركز نحو 80 ٪ من احتياطيات النفط العالمية. ولضمان امدادات ثابتة من النفط كانت القوى الغربية في حاجة الى وجود طويل الأمد في منطقة القوقاز. ويصنّف

• حفر قناة بن غوريون وراء إبادة الفلسطينيين وتهجيرهم

• لا مكان لفلسطين في خريطة "الشرق الأوسط الجديد" والهدف تحويل إسرائيل الى قطب عالمي لامداد أوروبا بنفط وغاز المنطقة

• الدولة اليهودية تشكلت حول برميل نفط وليس حول التوراة

مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي هذا الاهتمام رقم 1 على أنه "ضمان التدفق الحرّ للنفط من الخليج". ومثلما كانت الحال مع السكر والقطن والماس وجد اليهود انفسهم مرة أخرى يؤدون "رحلة حجّ دينية" الى المكان الذي تتوفر فيه المواد الخام (والمادة الخام في هذه الحالة هي النفط) بأكبر قدر ممكن.

لم يتم رسم حدود "الدولة اليهودية" الجديدة بناء على أي مبدإ مكتوب قديم مثل مبدإ التثنية (34 : 1 – 4). فقد قام البريطانيون الذين لا يؤمن أغلبهم بالأديان ببناء خط أنابيب نفط ينطلق من حقول النفط بالعراق الى ميناء حيفا الفلسطيني على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

كانت خطتهم إقامة بنية تحتية حول صناعة النفط يسيطر عليها الغرب بحيث تصبح حيفا مصدر النفط في العالم. وفي الحقيقة "حط أغلب اليهود الذين توافدوا على فلسطين رحالهم بحيفا وليس بصهيون (التسمية العبرية للقدس). ويكشف تعداد عام 1950 ان عدد سكان حيفا كان 205000 نسمة وأن عدد سكان القدس لم يكن يتجاوز انذاك 121.000 نسمة. وقد حدث اول عمل إرهابي ارتكبه اليهود ضد عرب فلسطين سنة 1947 وتحديدا في مصفاة النفط بحيفا لمّا القى ارهابيون يهود تابعون لمنظمة الأرغون الإرهابية قنابل على حشد من الفلسطينيين ممّا أدى الى سلسلة من الصدامات والحروب الدموية بين الطرفين لم تتوقف الى يوم الناس هذا. وهكذا يتضح أن الدولة اليهودية تشكلت حول برميل نفط وليس حول التوراة.

وحتى نكون واضحين، فإن نية إسرائيل اليوم من وراء المحرقة التي يرتكبها جيشها في حق سكان غزة تتوافق مع نمط تاريخي يهودي عمره 500 سنة ولا يمكن لأحد إنكاره. فقد اختار اليهود الشيطانيون (وليس كل اليهود طبعا) لأنفسهم عقارات ذات قيمة كبيرة بهدف تحقيق أرباح مالية عبر استغلال مواردها الاستراتيجية. وقبل وقت طويل من رحلتهم الى فلسطين خلال القون العشرين تزامنت رحلات حجّهم الى "القدس الجديدة" المحبوبة و"ارض الميعاد" و"ارض إسرائيل" مع مضارباتهم في تجارة السكر والقطن والماس والذهب والآن جاء الدور على النفط والغاز.

كل هذه الحملات الصليبية "اليهودية" كانت مؤطرة ونفذت تحت غطاء وصايا التوراة لكن العالم يري الآن ان لكل حملاتهم "الدينية" هدفا واحدا: تحقيق أرباح لا حصر لها لاصحاب البنوك الذين طردهم المسيح نفسه من المعبد (متى : 21 : 12 – 17).

لقد حذّر الوزير لويس فاراخان العالم منذ سنة 1984 من معبد الشيطان المتجوّل (تحت عباءة التيه والتجرّد) وأخبرها بالضبط بما نرى اليوم قائلا : "لا يمكن آبدا أن يكون هناك سلام قائم على الظلم والسرقة والكذب والخداع وتوظيف اسم الله بذريعة تحقيق السلام".

«واشنطن بوست» ونظرية المطعم في السياسة الدولية :
”إما أن تأكل أو تؤكل“

أنتوني بلينكن

أنالينا بيربوك

تحت هذا العنوان تناول كاتب العمود في صحيفة ”واشنطن بوست“ أليكس لو مقالا حول تصريح لوزير الخارجية الأمريكي بلينكن مؤخرا قال فيه ”إما أن تكون ضيفا لتناول الطعام أو أن تكون بندا على قائمته“.

المقال نشر بموقع Scmp.com للتدوينات، وجاء فيه:

"ذكر المسؤول الدبلوماسي الرفيع بصوت عال القول المأثور ”إذا لم تكن ضيفا على طاولة الطعام فقد تصبح بندا على قائمته“.

بإمكاننا تسمية ذلك في العلاقات الدولية "نظرية المطعم"، حيث حرص وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن في مؤتمر ميونيخ للأمن على القول : ”إذا لم تجلس إلى طاولة النظام الدولي، فسوف تكون بندا على قائمة الطعام“.

كان بلينكن حينها يرد على سؤال حول التوترات المتزايدة بين الولايات المتحدة والصين، وما تسببت فيه من ”تشرذم أكبر“ في السياسة العالمية.

وقد أشعل هذا التعليق النيران في عالم المدونات الصيني، وأعطته صحيفة ”غلوبال تايمز“ في افتتاحيتها ترجمة صينية بالألوان: ”إذا لم تكن السكين ولوح التقطيع، فستكون السمك واللحم على اللوح“.

وليست هذه ترجمة حرفية تماما، وأكثر إثارة قليلا من النص الأصلي، الذي يبدو أنه المفضل لدى السياسيين الأمريكيين لكن، من يقرر قائمة الضيوف، ويحدد قائمة الطعام؟ أعتقد أننا جميعا نعرف ما تفكر فيه واشنطن في هذا الصدد.

يجدر القول كذلك إن من كان على خشبة المسرح مع بلينكن في المنتدى الأمني، ومن كان يجلس بجواره، هي وزيرة الخارجية الألمانية أنالينا بيربوك، التي غالبا ما تبدو أكثر تشددا عندما يتعلق الأمر بأوكرانيا والصين.

لقد أدى رد فعل ألمانيا على الحرب في أوكرانيا إلى إحداث تغيير ملفت في نظرية المطاعم هذه، حيث من النادر جدا أن يتطوع أحد الضيوف لوضع نفسه على قائمة الطعام. ومع ذلك، وفي ظل سياسة بيربوك وشركائها، فإن هذا بالضبط ما قامت به ألمانيا.

وبعد الأوكرانيين، كان الألمان أكبر الخاسرين في هذه الحرب، ولهذا السبب تخفت الرغبة لدعم أوكرانيا بين السكان، فقد ألحقت الأزمة أضرارا جسيمة باقتصاد ألمانيا القائم على التصدير، ممّا جعله الاقتصاد الأسوأ أداء بين الاقتصادات الأوروبية الكبرى، بل وأسوأ حتى من اقتصاد بريطانيا الراكد.

ولم يستقر التضخم (الكلمة المؤلمة في ألمانيا) بعد، وتوقعات الطاقة وخيمة. وحتى مع استمرار الركود، يطالب قادة البلاد بمواجهة الصين عبر الحد من التجارة معها والتهديد بفرض عقوبات، وبزيادة الإنفاق العسكري الذي لا تستطيع تحمله. مستويات المعيشة هي الأسوأ منذ أكثر من جيل. ولننس دعم الصناعة الألمانية التي كانت تعتمد منذ فترة طويلة على الطاقة الرخيصة من روسيا. ومع ذلك، ومن خلال كل ذلك، ورغم الشعبية المتدهورة لبيربوك وائتلافها الأخضر داخل الحكومة، فإنها تضاعف جهودها في نفس الاتجاه.

أولئك هم نفس الأشخاص الذين لم يهتموا بشكل مرضي بمن فجّر خط أنابيب ”السيل الشمالي“، البنية التحتية الرئيسية للطاقة.

يذكرني ذلك بحادث مروع في مدينة روتنبورغ الألمانية، حينما عرض شخص نفسه لأن يؤكل حيا في إعلان شخصي، ونجح أرمين مايفيس، الذي أطلق عليه في ما بعد ”آكل لحوم البشر من روتنبورغ“، في التقدم للحصول على الوظيفة.

بالتوازي، يمكن التخمين هنا، من هي ألمانيا ومن هي الولايات المتحدة.

إلا أن الأمر لا يقتصر على تأملاتي الخيالية حول نظرية المطعم. ففي دراسة استقصائية للرأي العام أجراها المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، نوفمبر الماضي، وجد المجلس الأوروبي المذكور أن أغلب السكان يريدون أن يأكلوا وفقا لقائمة طعام ”حسب الطلب“ à la carte (وهو تعبيرهم وليست كلماتي)، بدلا من أن يفرض عليهم ما يناسبهم من طعام.

وتقول الدراسة: ”بالنسبة لمعظم الناس في معظم البلدان، بما في ذلك البعض داخل الاتحاد الأوروبي نفسه، فقد دخلنا عالما انتقائيا، يمكنك فيه المزج والتوفيق بين شركائك بشأن مختلف القضايا بدلا من الاشتراك في قائمة محددة من الولاء لجانب أو لآخر“.

فبشأن الأمن، لا يزال كثيرون يعترفون بأنهم يعتمدون على الولايات المتحدة. لكن، وحينما يتعلق الأمر بالتجارة، فإن أغلبهم يفضلون توسيع نطاق الأعمال التجارية مع الصين، بدلا من تقييدها.

ربما يكون بلينكن على حق، فإذا لم تكن هناك لتناول الطعام في أحد المطاعم، سيتم تقديمك على طبق. ولكن، وعلى نحو متزايد، يقوم رواد المطاعم الآن بدعوة أنفسهم إلى الطاولات بدلا من انتظار دعوتهم، لا سيما أن الكثيرين تعلموا بالفعل أن الأمر خطير على نحو خاص إذا تمت دعوتك من قبل المضيف الأمريكي. وكما تعلّم الألمانيون العاديون، فقد ينتهي الأمر بك إلى قائمة الطعام.

تسلّل

مصالح ضبط الأمن بقطاع غزة اتهمت مؤخرا السلطة الفلسطينية الحاكمة بالضفة الغربية بنشر جواسيس في القطاع المحاصر بهدف "بث الفوضى" في صفوف المقاومة في اطار خطة منسقة مع جهاز التجسس الداخلي الإسرائيلي المعروف باسم "شين بيت".

وحسب تصريح أدلى به مسؤول بمصالح ضبط الأمن بقطاع غزة لوسائل اعلام عربية تمت مهمة نشر الجواسيس ليلة 30 مارس المنقضي وشهدت تسلل العديد من أعوان قوات حفظ الأمن بالضفة الغربية الى قطاع غزة عبر معبر رفح الواقع على الحدود مع مصر وذلك عبر مرافقة شاحنات تنقل مساعدات إنسانية تابعة للهلال الأحمر المصري.

من جهته قال مسؤول بوزارة الداخلية بقطاع غزة لتلفزيون "الأقصى" : "قوات الأمن المشتبه فيها التي تسللت الى غزة مع شاحنات الهلال الأحمر المصري نسقت عمليتها مع قوات الاحتلال" مؤكدا نفي القاهرة علمها بالعملية.

وأضاف : "الهدف من العملية خلق حالة من الغموض والبلبلة في صفوف الجبهة الداخلية بغزة في اطار اتفاق تم ابرامه قبل أسبوع بإحدى العواصم العربية".

وحسب موقع The Cradle تمكنت قوات ضبط الأمن بقطاع غزة من إيقاف 10 من الجواسيس المتسللين وتواصل البحث عن عدد غير محدد من المتسللين الآخرين أفلتوا إلى حدّ الآن من القبض عليهم.

الموقع أشار الى أن الجواسيس المتسلّلين قد يكونون تابعين لجهاز المخابرات العامة التابع للسلطة الفلسطينية والى أنه قد يكون تم نشرهم "في اطار مهمة رسمية تحت أوامر مباشرة من رئيس المخابرات العامة بالضفة الغربية، الجنرال ماجد فرج".

ونكّر الموقع بأن اسم ماجد فرج احتل الشهر الماضي صدارة عناوين الصحف لمّا اقترحه وزير الدفاع الإسرائيلي يواف غانت كـ "مرشح لادارة قطاع غزة مؤقتا بعد انتهاء الحرب المعلنة على حكم "حماس"".

فشل

صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية، كشفت أن الطائرات الأمريكية المسيّرة عن بعد التي تنتجها شركات أمريكية ناشئة والتي يتم امداد الجيش الاوكراني بالالاف منها فشلت في الأداء القتالي.

ونقلت الصحيفة عن مسؤولين أوكرانيين تأكيدهم أن الطائرات المسيّرة عن بعد أمريكية الصنع "هشة وعاجزة عن التغلب على التشويش الروسي وتكنولوجيا التعتيم لنظام تحديد المواقع العالمي GPS وأنها لم تتمكن أحيانا حتى من الإقلاع أو إتمام مهامها والعودة الى مكان انطلاقها واشارتهم الي انها غالبا ما تفشل في قطع المسافات المحددة لها أو حمل ذخيرة كبيرة الوزن.

طلب

صحيفة "لوفيغارو" نقلت عن مسؤول فرنسي مطلع على المباحثات الأوكرانية الفرنسية أن كييف طلبت من باريس مساعدة الجيش الأوكراني على الصمود هذا العام حتى تتمكن من التحضير لهجوم مضاد ثان العام المقبل.

ونقلت الصحيفة عن المصدر: "يقول لنا الأوكرانيون ساعدونا على الصمود هذا العام وفي العام المقبل سنكون قادرين على استئناف الهجوم".

وأضاف: "يتطلعون بشكل خاص إلى النظام الأرضي الجوي متوسط المدى (SAMPT) الذي نشرته فرنسا في رومانيا للدفاع الجوي.. هم يحتاجون إلى الصواريخ

أكثر من منصات إطلاقها ورغم الضغوط التي تمارسها الحكومة، لن تتمكن شركة MBDA من توفير المزيد من صواريخ Aster 30 على المدى القصير، رغم أن الجيش الفرنسي يحتاج إليها في مهامه الخاصة أيضا".

وتشير الصحيفة إلى أنه بعد فشل الهجوم المضاد في عام 2023، تراجعت القوات الأوكرانية إلى مواقع دفاعية وسط تقدم القوات الروسية.

وأضافت أن شراسة المعارك تجعل أي هجوم شاقا ومكلفا في الأرواح وأن هزيمة أوكرانيا أصبحت مطروحة مرة أخرى على الطاولة، بعد مرور عامين على بدء الحرب.

أمين عام «الناتو» القادم

موقع Observateur Continental ذكر أن اسم الأمين العام الجديد لمنظمة الحلف الأطلسي سيعرف على أقصى تقدير خلال قمة دول الحلف التي من المنتظر أن تلتئم من 9 الى 11 جويلية القادم بواشنطن.

الموقع الذي ذكّر بأن ولاية الأمين العام الحالي للناتو جانس ستولتنبرغ تنتهي يوم 1 أكتوبر القادم بعد شغله المنصب على امتداد 10 سنوات أشار الى أن الحسم في اسم الأمين العام الجديد للمنظمة الأطلسية سيتم خلال اجتماع وزراء خارجية دول الحلف ببراغ يومي 30 و31 ماي القادم للاختيار بين مترشحين :

الأول هو رئيس الحكومة الهولندية مارك روت الذي اعتبر الموقع أنه المرشح الأوفر حظا باعتبار تمتعه بدعم 28 دولة من الـ 32 دولة العضوة بالحلف الأطلسي. أما المترشح الثاني فهو الرئيس الروماني كلوس لوهانيس الذي يحظى بدعم تركيا والمجر وسلوفاكيا وطبعا رومانيا وهي دول غير مسرورة بضعف تمثيل دول أوروبا الشرقية في مناصب قيادة "الناتو".

Observateur Continental لاحظ أن تعيين الأمين العام الجديد للحلف الأطلسي لا يتم إلاّ بإجماع كل دول المنظمة الأطلسية مستدركا بأن أصوات 4 دول تعتبر حاسمة في اختيار المترشح الجديد هي الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وانقلترا مشيرا الى ان اختيار هذه الدول تم والى أنها متفقة على التصويت لصالح المترشح الهولندي.

ونقل الموقع عن المرشح للمنصب مارك روت دعوته قادة أوروبا الى الكفّ عن التذمّر من إمكانية عودة دونالد ترامب الى دفة الحكم في أمريكا والتركيز على المساعدات التي يجب تقديمها لأوكرانيا.

وأشار الموقع الى أن واقعية المترشح الهولندي تحظى باعجاب قادة الدول المؤثرة في الحلف الأطلسي خاصا بالذكر المستشار الألماني اولاف شولتز مشيرا الى أنه رفض ترشح أورسولا فون دير لاين بسبب انتقاداتها اللاذعة لموسكو.

تواصل الحرب يخدم نتنياهو

موقع "أكسيوس" قال إنه بعد مرور ستة أشهر على هجوم "حماس" على إسرائيل، أصبحت الحرب في غزة في طي النسيان، معتبرا أن ذلك قد يساعد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو على البقاء في السلطة.

وأضاف أن نتنياهو تعهد بمهاجمة مدينة "رفح" لاجتثاث مسلحي "حماس"، وأنه يتعرض لضغوط متزايدة لعدم القيام بذلك، مؤكدا أنه أحجم عن ذلك حتى الآن، خصوصا بعد الغارة الجوية التي أدت إلى مقتل سبعة من عمال المطبخ المركزي العالمي إضافة الى أنه لا توجد عمليات عسكرية كبيرة تجري في غزة وإلى تخفيض اسرائيل عدد قواتها هناك.

وأشار الموقع الأمريكي إلى أنه لا يوجد أيضا وقف لإطلاق النار في الأفق، على الرغم من الدعوات المتزايدة لذلك من المسؤولين الأمريكيين والعديد من المسؤولين الآخرين في جميع أنحاء العالم.

وقال إن العديد من المسؤولين الأمريكيين والإسرائيليين الذين يدرسون كل هذا مقتنعون بأن نتنياهو الذي لا يحظى بشعبية كبيرة ويبدو محاصرا يعتقد أن الحرب الطويلة الأمد تزيد من فرص بقائه في السلطة.

ووفق الموقع يفسّر المسؤولون تصرفات نتنياهو على النحو التالي: طالما أن الحرب مستمرة، فإن فرص إجراء انتخابات يمكن أن تطيح به أقل احتمالا. وكلما مر المزيد من الوقت، زادت فرص تعافيه سياسيا.

وذكر الموقع أن معظم الإسرائيليين يريدون من نتنياهو الاستقالة، وأن استطلاعات الرأي الأخيرة تشير إلى أن حزب الليكود الذي يتزعمه، والذي يقود الحكومة الإسرائيلية، سيخسر ما يقرب من نصف مقاعده في الكنيست إذا أجريت الانتخابات اليوم الى جانب عدم وجود مسار فوري لإجراء انتخابات جديدة في إسرائيل

من يجب أن تموت صناعته أولا هو السبب الرئيسي للصدام الأمريكي – الصيني

• الأنغلوساكسونيون حضارة قراصنة قامت هيمنتها على السيف والنار والسرقة ولن يغادروا بسلام إلى العالم الآخر

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

خلال زيارة وزيرة الخزانة الأمريكية جانيت يلين إلى الصين، قبل اسبوع، كانت قضية "القدرة الإنتاجية الفائضة" على رأس أولوية المحادثات. إنها المرة الأولى التي يحدد فيها الأمريكيون المشكلة العالمية الرئيسية حقا خلال العقدين الماضيين والعقد المقبل أيضا.

لم يحالفنا جميعا الحظ بأن نعيش في وقت تتزامن فيه عدة أزمات، إلا أنه، وعلى المدى القصير والمتوسط، فإن أكثر هذه الأزمات إيلاما هي أزمة فائض الإنتاج العالمية. هناك بالفعل طاقة إنتاجية فائضة حول العالم، وقد نشأ هذا الفائض، وتعززت استدامته من خلال الطلب الناتج عن القروض، لكن الهرم الائتماني ينهار الآن، والطلب المصطنع يختفي، ويجب أن تموت الصناعة الفائضة في العالم. والخلاف حول من يجب أن تموت صناعته هو السبب الرئيسي للصدام بين الصين والولايات المتحدة.

وبينما يتأخر حل هذه القضية، فإن الولايات المتحدة والصين تلتهمان الصناعة الأوروبية ببطء، لكن آسيا والصين تنموان بسرعة كبيرة، وسوف تستحوذان على الحصة الأوروبية قريبا، إلا أن هذا أيضا لن يكون كافيا لتجنب الصدام بين الدولتين اللتين تمثلان مركزين اقتصاديين رئيسيين.

وأثناء زيارة يلين، أثارت الولايات المتحدة، بوقاحة، القضية مع الصين، وقالت إنه يتعين على الأخيرة أن تتخلى طوعا عن حصتها في السوق (وهو ما من شأنه أن يدفع على الفور نحو أزمة اقتصادية وسياسية داخلية في الصين).

وكانت الصين لا تزال تحافظ على دور اللاعب المسالم، وكانت راضية عن التوسع الاقتصادي السلمي وغير الملحوظ، وتفضل ترك كل شيء كما هو حتى تنهار الولايات المتحدة نفسها من الداخل نتيجة للهزيمة الاقتصادية، ليعترف العالم كله بعد ذلك بالصين زعيما بلا منازع، وبلا طلقة واحدة من جانبها. لكن الأمور لن تسير على هذا النحو.

فالأنغلوساكسونيين حضارة قراصنة، حضارة مفترسة حقا، قامت هيمنتها على السيف والنار والسرقة، ولن يغادروا بسلام إلى العالم الآخر.

وكل الحديث حول الصدام بين الديمقراطية والاستبداد ليس سوى غطاء دعائي. أما القضية الحقيقية، وجوهر هذه اللحظة، فهو التدافع على الأسواق. وهو نفس السبب الذي أدى إلى الحربين العالميتين السابقتين. وحقيقة أن الولايات المتحدة قد كشفت أخيرا عن هذه المشكلة تشير إلى انه لم يعد هناك أي وقت أو فرصة لتأجيلها.

وزيارة يلين للصين هي تقريبا نفس الزيارة التي قام بها رئيس وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ويليام بيرنز إلى موسكو في أوائل نوفمبر 2021، قبل شهر واحد من إصدار روسيا إنذارها الأخير للولايات المتحدة وحلف "الناتو"، مرفقا بطلب نقل حدود "الناتو" بعيدا عن حدود روسيا.

وهو الإنذار الذي تجاهلته الولايات المتحدة و"الناتو"، وبعدها بثلاثة أشهر اندلعت الحرب في أوكرانيا. وعليه، كان بيرنز قد وجه إنذارا نهائيا يطالب فيه روسيا بقبول الهزيمة والموافقة على توسع "الناتو" في أوكرانيا.إن لدى الصين أسلوبها وقدراتها الخاصة، وأعتقد أنها سوف تحاول تجنب الصراع حتى النهاية، في محاولة لتليين الموقف الأمريكي بتقديم تنازلات صغيرة.

في هذه الحالة، ستكون المبادرة دائما إلى جانب الأنغلوساكسونيين، الذين قد لا يبدؤون الصراع بمشاركتهم المباشرة، لكنهم، وبالتأكيد، سيشنون هجوما بأنفسهم و/أو بالوكالة.

وبطريقة أو بأخرى سيتم إثارة الصراع، في رأيي المتواضع، نهاية عام 2024 أو في عام 2025.

بطبيعة الحال، فإن الحرب التي طال أمدها في أوكرانيا، والصراع المشتعل في الشرق الأوسط يعرقلان حركة الولايات المتحدة إلى حد كبير. ومع ذلك فإنه من غير المرجح أن تتجاوز في المرحلة الأولى الإجراءات ضد الصين حد العقوبات، بالتالي فإن وجود صراعات أخرى غير مكتملة لن يمنع بداية تصعيد المواجهة بين الغرب والصين.

ومع ذلك، لا يزال بإمكان نتنياهو أن يحدث مفاجأة بإثارته حربا واسعة النطاق مع إيران، والتي من المرجح أن تضطر الولايات المتحدة إلى التورط فيها، ما قد يؤدي إلى إبطاء تطور الصراع مع الصين. من هنا، بالمناسبة، يمكن استنتاج أن لم يتبق لإسرائيل سوى القليل من الوقت للتصعيد. فبعد بدء الصراع المفتوح بين الولايات المتحدة والصين، سيتعين على إسرائيل محاربة إيران وحدها (وهو الأمر الأكثر خطورة على العالم، نظرا لأن إسرائيل تمتلك سلاحا نوويا).

تتحول أوكرانيا في هذا المشهد بالنسبة للولايات المتحدة نحو الهامش بسرعة متزايدة، ومع ذلك، فإن الأوروبيين يبدون استعدادا لاستكمال عملية تدمير أوروبا بمفردهم، ممّا يمنح الولايات المتحدة الفرصة للتركيز على الصين.نظريا، قد يحاول بايدن اللعب بالورقة الصينية في الانتخابات، ثم سنرى الخطوات الأولى على سلم التصعيد في الصيف المقبل. في المقابل، فإذا، أو لنقل حينما يفوز ترامب سنشهد تصعيدا سريعا للصراع في عام 2025. لأنه يمكن لترامب توظيف قضية الحرب مع الصين، إضافة إلى أهمية تلك القضية بالنسبة للولايات المتحدة لتوحيد الأمة، ومحاولة تجنب الحرب الأهلية.

وليس لدي أي شك في أن بكين سترفض مطالب وزيرة الخزانة الأمريكية يلين، حتى لو تم تخفيف هذا الرفض من خلال تنازلات بسيطة. نحن بحاجة الآن إلى مراقبة تصريحات يلين وكبار المسؤولين الأمريكيين في الأسابيع المقبلة، وسوف تخبرنا لهجتهم بمدى السرعة التي سيبدأ بها الصراع الأمريكي مع الصين في التصاعد.

الشارع الثقافي

العدد 402 - من الثلاثاء 16 إلى الاثنين 22 أفريل 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

مثقفون يتحدّثون لـ«الشارع الثقافي» :

مثقّف اليوم خاسرٌ، جائع، مهمّش، ومُنكَّل به.. ومن حقّه أن يحيا حياة كريمة

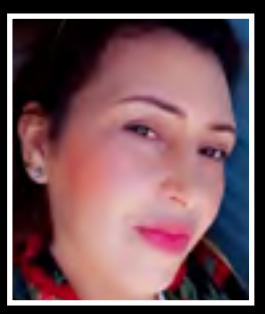

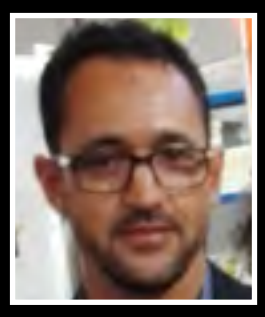

مسرح

مسرحية «عجاف» :

أفكار نيّرة وصور موغلة في الرمزية

بقلم : د. هالة فريوي

وقفة

نحو استراتيجيّة ثقافيّة بديلة

بقلم : فتحي التريكي

سينما

76 فيلمًا في الدورة الثامنة لمهرجان أسوان لأفلام المرأة والسينما التونسية ضيفة شرف

وقفة

نحو استراتيجيّة ثقافيّة بديلة

بقلم : فتحي التريكي

لا يمكن لثقافة وطنيّة أن تتطوّر حسب طموحات الشعب إذا لم تكن لدينا استراتيجيّة ثقافيّة واضحة تحدّد منطلقاتها في المخزون الثقافي وتتوجّه نحو التغيير اعتمادا على العلوم والتكنولوجيات الجديدة. فلابد من الوعي بهذه الضرورة القصوى وتنظيم السياسة الثّقافية حسب قاعدتين أساسيتين: القاعدة الأولى هي بناء ثقافة متعقّلة ذات موارد فكرية متعدّدة لا محالة ولكنها كلّها تتخذ من العقل والحرّية منارتين في ضوئهما تتحدّد منهجية التثقيف المجتمعي. أما القاعدة الثانية فهي محاولة بناء ثقافة نقدية حرة تهذّب الذوق لا محالة ولكنّها توجّه الشباب وكل أفراد المجتمع نحو التعويل على النفس وتفجير القدرات والإبداعات مع تكريس العيش المشترك المبني على الاحترام والكرامة. نعم عقل وحرية مبدآن أساسيان لمستقبل الثقافة في تونس مهما كانت توجّهات النظام السياسية، إذا ما أرادت أن تبني مجتمعا مسالما وسيادة وطنية يحترمها الجميع.

للأسف الشديد وزارة الثقافة منذ الثورة لم تستطع بناء مشروعها الثقافي إلا في بعض المحاولات التي تعود إلى إرادات شخصيّة لبعض الوزراء. فهي مازالت تعتقد أن الثقافة شأن يجب تصريفه وتدبيره كما ندبّر شؤوننا العادية، دون نظرة مستقبلية ودون فلسفة واضحة.

بغياب هذه الاستراتيجية حصلت قطيعة بين الوزارة والشباب التونسي. فقاطرة الابداع يقودها دائما الشباب الذي يتحلى دائما بالجرأة في أعماله وثقافته وإبداعه وأحلامه. فالوزارة عادة ما تكرّس ما هو موجود في المجتمع وتُثبت ما هو ثابت وتشجّع من تمّ تشجيعه المرّات العددية خوفا من الجديد والمحدث والإبداع الذي لا يدخل ضمن قوالبها السياسية.

لذلك توجه بعض شبابنا إلى السفارات الأجنبية أو إلى المؤسسات الخارجية والمنظمات العالمية للتنشيط الفكري والثقافي بما في ذلك الحصول على الدعم بل أصبحت بعض السفارات تنظّم ما لم تستطع الوزارة تنظيمه مثل «ليالي رمضان» التي نشّطتها هذه السنة الهيئة الثقافية لسفارة فرنسا داخل بناياتها.

لقد أصبحنا نعيش في تونس ثقافة مزدوجة : ثقافة غلبت عليها صبغة تراثية حسب قاعدة المعاودة والتكرار تدعمها وزارة تصريف الشؤون الثقافية، وثقافة مستقبلية غلبت عليها صبغة التجديد ولكنها تخدم أجندات ثقافية أجنبية وطموحات استعمارية مفضوحة.

فأمام هذا الوضع السيئ، لا يجد الشاب التونسي أمامه إلا منهجين اثنين : إما أن يترك الساحة الثقافية التونسية ويهجرها نحو ثقافات أخرى تكون تارة أوربية وتارة شرقية وأخرى متطرفة تبثّها قنوات تلفزية أجنبيّة وبرامج إعلامية تافهة وغيرها. وإما أن ينشط داخل ما هو موجود إمّا عن طريق النّضال المتواصل لفرض إبداعاته أو عن طريق قبول السائد الرّكيك.

ودون إغراق أكاديمي لابدّ من تفكيك دلالات مصطلح الثقافة. فماذا نعني بالثّقافة؟ وما هي قيمة هذه الفرضيّة الإستراتيجيّة؟

علينا قبل كل شيء أن نميّز بين ثلاث تصوّرات ممكنة للثّقافة. فالتصوّر الأوّل، ذو طابع أنثربولوجي، والثّاني ذو طابع روحاني وعقلاني، وأمّا الثّالث فهو ذو طابع سياسي. يشير الأوّل إلى مجموعة من القيم والأفعال والممارسات مركّبة تتضمّن المعارف والعقائد الدّينية والفنّ والأخلاق والحقّ والعادات وكلّ القدرات والتّقاليد التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع معيّن، ما نعبّر عنه بالمخزون الثقافي لشعب ما. أمّا التّصوّر الثّاني فيشير، على عكس ذلك، إلى التّفكير الفردي والحرّ، أي إلى القدرة الكامنة في كلّ فرد على الخلق والتّأويل، وعلى الإعجاب والحكم والتفكير وعلى نقد الأنساق الجماعيّة من الاعتقادات أو تجديدها إذا لزم الأمر. أمّا الثالث، فيستعيد معطيات الأوّل ووسائل الثّاني كي ينظّمها رسميّا، ويجمع المعرفة والإبداعات داخل هدف محدّد سياسيّا أو إيديولوجيّا. يسعى الفهم الأوّل إلى تركيز الهوية على قيم وأفعال محددة إقحاما للفرد داخل جماعة معيّنة، و يعمل التصور الثّاني وهو نقديّ بالأساس من أجل تحيين المكتسبات المعرفية والعلمية نظرا وممارسة وتحرير الفرد من الثّقل الاجتماعي؛ أما التصور الثالث فهو الذي يقحم الثقافة بفهميها الأول والثاني في مؤسسات اقتصادية أو سياسيّة فيكون غالبا تحت سيطرة الإيديولوجيا المهيمنة.

هذا التمييز بين التعريفات الثلاثة لمفهوم الثقافة ذو أهمية قصوى لأنه يمكّننا من فهم العلاقة الشائكة بين الثّقافة ومؤسّسة الدولة التي عليها أن تحدث توازنا بينها ليكون المخزون الثقافي الوطني موضوعا دائما للبحث والنقد والتحرّر وتكون سياسة الدولة في خدمة هذا المخزون طبعا ولكن وأيضا في خدمة الإبداع الحر.

والخطر هنا يكمن في الشرخ الذي قد يصيب السياسة الثقافيّة للدولة والمتمثّل في استبعاد نوع من هذه المقاربات كأن تتحوّل هذه السياسة إلى الدفاع عن التراث مثلا دون أي اعتبار للنقد والإبداع أو أن تصبح هذه السياسة دفاعا عن الإدارة والهياكل التي يتمّ إفراغها من مضمونها لتدور في حلقة مفرغة، تلك السّياسة التي تمنح لكلّ أنشطة الخلق الثّقافي سجنا لا تخرج عن حدوده، وتخصّص لها وظائف وتؤطّرها داخل خيار إيديولوجي دغمائي.

في رأيي يمكننا تجاوز هذا الشرخ وإعادة ترتيب عناصر استراتيجيّة ثقافيّة بديلة تقوم على قيم الإبداع والتعقّل والحرّية ويكون ذلك حسب النقط التالية :

الاحتفاظ بالتوجّه الذوقي والإبداعي والجمالي في الفعل الثقافي عامة ونعني الحذق وتحسين المستوى والتربية على الذّوق السليم بالنسبة للأفراد والمجتمع. فالإنسان المثقّف هو الذي تحصّل بواسطة التربية والتعليم أو بواسطة العلاقات الاجتماعية والمهنيّة وبالممارسة اليوميّة المتعدّدة للإبداع وبالاستعمال الجيّد للعقل، على مجموعة من المعلومات والفنون التي بها يصقل مواهبه وينمّي قدراته ويحسّن ذوقه ويهذب أخلاقياته في كنف الحرية والكرامة.

ذلك يتطلّب دون شكّ أن تكون لوزارة الثقافة استراتيجيّة واضحة لتكريس هذه القيم. ويكون ذلك بمحاولة إقامة توازن صلب داخل هياكل الوزارة بين مسارات ثلاثة هي الفكر والإبداع والفرجة. فلا يمكن لسياسة ثقافيّة أن تنجح إذا تخلّت عن مسار من هذه المسارات.

العجيب أنّ بعد الثورة قلّصت الوزارة دور الفكر في مجال عملها وحدّدت المجال الأكبر ضمنه في المحافظة على التراث. هذا المسار يضم التشجيع على الكتاب تأليفا وصناعة وقراءة بواسطة تكوين مؤسسات وإدارات ومراكز وغيرها تعمل من أجل ذلك. كما يضمّ هذا المسار كل تفكير وصفي وتشخيصي ونقدي يهمّ ثقافتنا في نمط تكوّنها ونمط عملها. لا ننسى أنّ هذا المسار قد كان نشيطا في أوائل تكوين وزارة الثقافة بداية من تأسيس المكتبات الجهويّة ودور الثقافة ومؤسسات التراث إلى تأسيس بيت الحكمة. بل أكاد أجزم أن هذا المسار كان في هذه الاستراتيجيّة عصرذاك هو الأهمّ. الآن تحنّط الفكر في وزارة الثقافة وذبُل حدّ الإختناق لولا تكوين مركز الفنون والثقافة والآداب الذي ما زال إلى يومنا في مخاض الولادة جرّاء الأفكار السيّئة التي وجدناها عند بعض أصحاب القرار تجسّدت أخيرا عندما حاولت الوزيرة السابقة غلقه وتعويضه بمركز التراث اللامادي وهكذا سيبقى تفكيرنا راسخا في ماضينا لا ننظر لا إلى الحاضر ولا إلى المستقبل.

تشجيع المجتمع المدني في عمله الثقافي الذي يستطيع خلق حركيّة متواصلة داخل كل الفئات الاجتماعية وفي كل البقاع والجهات النائية ضرورة ملحّة. لأن المثقف لم يعد يتحدّد من خلال أعماله الأدبية ولإبداعاته والفكريّة فقط بل وأيضا من خلال الدور الذي يلعبه داخل التشكيلة الاجتماعية على شاكلة التقني والعلماء والاقتصاديين والقانونيين المرتبطين عضويا بالحياة الاقتصادية للبلاد. لذلك تقوم ثقافة المجتمع المدني (المنظمات غير الحكوميّة) على مفهوم «القدرات» (أمارتيا سان) الذي يتحكم في تطوير الحياة بصفة عامّة، والذي يعني الإمكانات الرّاسخة لدى الفرد لاختيار أفعاله وأعماله من بين تنوّعات عديدة وتشكّلات مختلفة للأفعال. معنى ذلك أن للفرد في العمل الثقافي المدني إمكانية تفعيل الحرية التي يتمتع بها أصلا وحقيقة. ثقافة المجتمع المدني تقوم إذن على القدرات والحرّيات.

يذهب البعض إلى القول بعدم ضرورة مأسسة الثقافة وينادون بالاستغناء عن وزارة الثقافة. لا أشاطر هذا الرأي لأسباب عديدة أذكر منها «تسويق الثقافة». فقد تدخّل اليوم في الساحة الثقافية رجل الأعمال والمال ليخلق سوقا ثقافية تعتمد الربح السهل على غرار ما نجده في برامج التلفزات الحرّة التي تنشر التفاهة والابتذال وهي أسواق لا تؤمن لا بالوطن ولا بالثورة ولا بالعقل ولا بالأخلاق، بل بالمال فقط وكأن القيمة الوحيدة الممكنة للثقافة هي قيمة المبادلات والتبادل والبيع والشراء

هكذا ستكون الاستراتيجيّة الدينميّة للثقافة الوطنيّة بجميع مساراتها ووظائفها وأهدافها نموذجا لثقافة متجذّرة ومفتوحة تعتمد التعقل والحرية والإبداع وتنظر إلى المستقبل وتشجع الشباب على تفعيل قدراتهم وتنأى بالثقافة عن التفاهة والتسويق والتعصّب والأدلجة.

مثقفون يتحدّثون لـ«الشارع الثقافي» :

مثقّف اليوم خاسرٌ، جائع، مهمّش، ومُنكَّل به.. ومن حقّه أن يحيا حياة كريمة

عواطف البلدي

«كيف يبدع المثقّف وهو جائع ومهمّش؟.. وكيف يحيا في وطن يسلبه أبسط حقوقه وهو العيش بكرامة..؟» سؤال طرحته في احدى تدويناتي على صفحتي الخاصة بـ«فايسبوك» ولم أكن أعلم أنه سيجد تفاعلا لدى عدد من المثقفين الذين دعوني الى فتح ملف حوله لما يثيره من تساؤلات حول العلاقة بين الظروف الاقتصادية والاجتماعية وبين الإبداع والفن. ويمكن أن ننظر إلى هذا الموضوع من منظورين رئيسيين: الأول هو النظرة العامة إلى التحديات والصعوبات التي يواجهها المثقفون «المفقّرون»، والثاني هو النظرة إلى كيفية استخدام هذه التحديات كمصدر للإلهام والإبداع.

من الواضح أن أغلب المثقفين يعانون مثل بقية أفراد الشعب من ضغوطات وتحديات يومية، بدءًا من الحاجات الأساسية مثل الغذاء والمأوى والعلاج وصولاً إلى التعليم والفرص الثقافية. ومع ذلك، يمكن أن تفتح مثل هذه الظروف «القاسية» آفاقًا جديدة للتعبير الفني والإبداع. فقد يجد المثقف نفسه مجبرا على تمثّل تجاربه ومعاناته وتطويعها حتى تصير مصدر إلهام وتعبير عن الواقع الاجتماعي بطرق جديدة ومبتكرة.

في هذا الملف الفكري الثقافي، سنتبيّن كيف يمكن للمثقف المفقر والمهمش والجائع أن يبدع رغم ظروفه الصعبة. وقبل تقديم المشاركات التي تولّت بدورها تسليط الضوء على فنانين وكتاب ومثقفين تمكنوا من تحقيق إبداعات رائعة رغم التحديات التي واجهتهم لابد من تحديد ملامح المبدع المفقر وكيف يتم تفقيره ومن يكون..

نعني بالمبدع هنا صاحب القلم والفكر وصاحب الحس الفني المرهف. فهو الكاتب والشاعر والمفكّر والفنان ولمَ لا الإعلامي الذي لا يتوانى لحظة واحدة في تقديم الإضافة للمشهد الثقافي باعتبار انه هو ايضا يعاني من ضغوطات اجتماعية بعضها يتصل بالرفض الاجتماعي او بعدم وجود الاهتمام الكافي من جانب المجتمع بما يقدمه ويبدعه. وقد يأخذ هذا الرفض الذي يتعرّض له المثقف اشكالا متنوعة بدءا من ابداء عدم الحماس لعمله او تجاهل اعماله مرورا بإبداء مختلف صور السخرية والاستهجان وانتهاء بمحاولات تضييق الخناق على نشر اعماله وحجب المكافآت والمنح الفنية واجازات التفرغ ومنع وسائل الترويج للعمل الابداعي وأحيانا أخرى تصل الى العزل ومنع الرواتب مثلما حدث مع الشاعرين خالد الهداجي وأمامة الزاير، ولعل المثال الابرز على تجاهل المجتمع للمبدعين ما حدث مع الاديب فرانز كافكا الذي اوصى صديقه ماكس برود بحرق اعماله بعد وفاته لكنه تجاهل وصيته ونشرها فأصبح كافكا من أشهر كتاب العالم والامر صحيح بالنسبة لأدباء كثيرين لم يحظوا بالشهرة والتقدير اللائقين بهم في حياتهم او بعد مماتهم ونذكر مثلا محمد شكري ومحمد الراوي وعلي الدوعاجي الشهير بعبارة «عاش يتمنى في عنبة مات علّقولو عنقود» ويضاف الى ما سبق ما يعانيه كثير من ادباء ومبدعي اليوم من ضغوطات مادية وصعوبات مالية تنعكس بنحو سيء على مواصلة ابداعهم او حتى قدرتهم على رعاية انفسهم او أسرهم صحيا واجتماعيا والامثلة كثيرة يصعب حصرها في ملف اليوم ..

لسعد حسين / كاتب
الجوع صديق الكاتب الحقيقي

أعتقد أن الكتابة ليست ترفا أو وجاهة يبحث عنها رجل ميسور أو أستاذ / دكتور أنهى بناء الطابق الأول من فيلته واطمأن على مستقبل أبنائه.. الكتابة نابعة من جرح، من وجع .. أفضل النصوص العالمية كتبت من جوع وفقر، يكفي ذكر أسماء كجورج أرويل، ادغار آلن بو، غابريال غارسيا ماركيز، حنا مينه محمد شكري، الدوعاجي، رضا الجلالي، اولاد احمد.. والكاتب الحقيقي لا ينتظر شيئا من السلطة، فالسلطة لها خدمها من الكتّاب ومن الاتحادات الذين كلما تحسّنت ظروفهم وتكوّرت بطونهم كتبوا أدبا رديئا، وتلاهثوا على مناصب سياسية أو جمعياتية حتى يحقّقوا وجاهة تعجز نصوصهم على منحها إياهم..

والكاتب المرفّه يتحول إلى موظّف عند السيدة الكتابة يكتب بأوقات محددة، وبمسطرة تهندس نصوصه على قياس جوائز تمنح كيفما اتفق محليا واقليميا..

والكتابة موقف، والمرفّه الشبعان لديه ما يخسر لذلك لن ينخرط في فكرة أو موقف عدا التطبيل للرؤساء والأمراء والملوك..

لكن الكاتب الحقيقي، الفقير الا من نصّه لا يخجل من الوقوف مع الحق ولا عن التعبير عن أوجاع شعبه، ويبصق على كل الاغراءات.. الأدب الحقيقي خرج من المقاهي والحانات الشعبية والأزقة الخلفية للمدن الكبيرة.. ورحم الله البسطامي اذ اجاب حينما سئل: بم وجدت هذه المعرفة؟ «برجل عارية وبطن خاوية» .

نسرين المسعودي - شاعرة
لا عزاء للعصابات ولا للمافيات الثقافية التي تجعل من التجويع عقوبة مدبّرة

اكره ما يوصف بالتهميش والفقر وعادة ما اتجنب الخوض في مسائلهما، غير ان الوضع يختلف تماما حينما يصير الخوض في الألم وسيلة اخرى للمقاومة.

المبدع الحق زاهد بالأساس ومترفع عن كل فرص الوليمة ومظاهر الترف و«رغد الحياة». وقد يختلف معي البعض ممن أجبرتهم الحاجة الى التنازل المكشوف عن هذا الرهان غير أنني لا اجد لبعضهم حجة للتسول الظاهر أو الخفي وكثيرا ما ينتابني الشعور بالنفور.

وذلك ما يجعلني أرى دائما بأن التعايش مع الحرمان والاقصاء الممنهج في بلاد تتفنن في سلب مثقفيها ابسط حقوقهم هي لعنة من المفترض ان يحولها الكاتب والفنان عموما إلى طريقة حياة مشعة بموهبتة واختلافه وتحديه للفرص

الاجتماعية التي تحوله الى ضيف في مادبة أو صانع مآدب وحارس في سوق الكتاب من مراهنات ومسابقات وجوائز. الخ.. الخ..

بل إن لعنة كهذه يرى فيها المبصر الحق ميزة ونعمة. وعليه الحفاظ على مقوماتها الخفية كحصانة صائبة تقوده بلا تعب الى انتصاره وتفرده العفيف. ربما أجدني أؤمن باشياء تبدو سخيفة في مثل هذا الزمن الاستهلاكي الخاضع للبهرج الزائف لكنني أراهن دائما على إشباع آخر وثابت، روحي وفكري يحفظ المروءة والكرامة.

فلا عزاء للعصابات ولا للمافيات الثقافية التي تجعل من التجويع عقوبة مدبرة، ولا أدل على ذلك المنح والاجور المذلة التي يتقاضاها من يحتاج ولا يحتاج، وتساهم في ترسيخ طباع سيئة مهلكة للنص وصاحبه..

أما القلة الضالة التي لا تطمع في شيء فيكفيها التعويل على ضوئها الخاص الذي لا يهمه كثيرا أين ومتى يشع..

مراد ساسي كاتب وناقد :

شواهد كثيرة من حياة العباقرة في الادب والفنون تؤكد أنهم عانوا الفقر والجوع

يقول الروائي الانقليزي وليم ثاكري «الادب ليس تجارة ولا مهنة ولكنه الحظ الانكد ».

كيف للمثقف المبدع أن يبدع ويحقّق ذاته ويؤثر في مجتمعه في ظل التهميش والتضييق والحرمان والفقر؟

شواهد كثيرة من حياة العباقرة في الادب والفنون تؤكد أنهم عانوا الفقر والجوع والحرمان ومنهم من لم يتقبل الأمر فأنهى حياته بالانتحار .هؤلاء أثرياء الفكر والإبداع والأحلام وأساطين الشهرة، ولكنهم في الحقيقة فقراء، بلا مال، بجيوب مثقوبة وبطون خاوية وهم في حالة من البؤس والحرمان. فهل ثمة علاقة بين الفقر والاشتغال بالأدب !؟

كان المهمشون يلقبون الاديب المغربي الكبير محمد شكري صاحب الرواية الحدث « الخبز الحافي» بـ»رسول المتعيشين على الخبز الحاف» . وقد عرف بمقولته الحزينة المؤثرة « أنا إنسان عاش التشرد، وأكل من القمامة، فهل ينتظرون مني أن أكتب لهم عن الفراشات ؟».

في مدينة طنجة. عملَ كصبي مقهى وهو طفل، ثم حمّالاً، فبائع جرائد وماسح أحذية ثم بائعًا للسجائر المهربة. شوهد يتجول بين القمامة ليلتقط ما يسد به جوعه وأحيانا يبيت على الطوى. مات معدما رغم انه مبدع من طينة الكبار ومتحصل على جائزة «كتارا» للرواية العربية .اما الاديب البشير خريف (أب الرواية التونسية) صاحب « الدقلة في عراجينها» والعديد من الابداعات الادبية كان يعتبر الكتابة تسلية وشغف. فمارس صناعة صناديق الحلقوم وصناعة الشّاشية ثم عمل مدرّسا وركن الى الوظيفة وجاب البلاد بالطول والعرض ليضمن قوته وقوت عائلته. والروائي فيدورديستوفسكي، صاحب الرواية الشهيرة «الجريمة والعقاب»، كان يبيع إبداعه بـ»الكيلو» للناشر كي يسدد ديونه ويستمر في الحياة.

للأسف الكثيرين من الأدباء والمثقفين ينشغلون بالكتابة في زمن لم تعد فيه الكتابة مصدر رزق يمكن الاعتماد عليه، وحين يحتاجون من يقف معهم لا يجدون أحدا.

واختم بقول المتنبي :

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خازِنًا ويَدًا
أَنا الغَنِيُّ وأَموالي المَواعِيدُ

صلاح بن عياد- كاتب ومترجم

المبدع عاملٌ يوميّ خاسرٌ لا علم للنّاس بأنّه يحتاج إلى غذاء مُتوازنٍ مثل الآخرين

يبدو أنّ الإبداع يظلّ فعلًا مجهولًا لدى جُلّ شرائح المجتمع. غامضًا وغير مفهوم في أفضل الأحوال. وقد يشمل هذا الأمرُ العالم برمّته. لكنّه قد يزدادُ سوءًا في عالمنا العربي، وهو الأسوأ في تونس. إلى اليوم، لا أزالُ أجد صعوبةً في أنْ أجعل مُحيطي الضّيق يدركُ معنى أنْ أكون كاتبًا. رحل أبي دون أنْ يفهم فعليَ الملعونَ هذا وما تزالُ أمّي لا تفهمه. جاري الّذي يعرف كلّ كبيرةٍ وصغيرةٍ تخصّ حياتي لا علم له بأنّي كاتبٌ ومترجمٌ نشر عشرات الأعمال. أمّا مُحيطي العمليّ وبرغم العشرين سنةً ونيّفٍ الّتي قضيتها بيْنَهُ فلمْ يُعاملني يومًا على أنّي ذلك المبدع، دائم الشّرود، الّذي قد يسهو عن قول «صباح الخير» عن حُسن نيّةٍ. ما أزالُ عاجزًا على إقناع إدارتي بأنّي أحتاجُ أيّامًا للكتابة، أو يومَيْنِ لأنّ خاتمة إحدى الرّوايات استعصتْ عليّ، أو يومًا لأنّي ذاهبٌ في لقاءٍ تابعٍ لإحدى مؤسّسات وزارة الثّقافة الّتي لنْ تدفع لي مُستحقّاتي. المبدع عاملٌ يوميّ خاسرٌ. لا علم للنّاس بأنّه يحتاج إلى غذاء مُتوازنٍ مثل الآخرين. حتّى الوزارة لا تأخذ ذلك على محملٍ من الجدّ. إنّها تعتقد أنّها تُشرف على قطاع لا يأكلُ أهلُهُ ولا يشربون ولا يمشون في الأسواق. دليلي على ذلك، كلّ الأعمال الّتي نقومُ بها لصالح هذه الوزارة العمياء والّتي تظلّ بلا أجر إلى أجلٍ غير مُسمّى. إنّنا نمارس «الإبداع» لأنّنا نبجّله على كلّ شيء آخر بكلّ بساطة. نؤجّله على الأكل والشّرب وعائلاتنا نفسها. إنّه بمثابة أوكسيجينٍ تتنفّسُ منه رئةٌ سريّةٌ لا يملكها غيرُنَا. نفقد النَّفَس إن لمْ نكتب. وأتحدّث عن شخصي على الأقلّ.

إنّني في مرحلةٍ أدركُ فيها تمامًا ما صنع في جسمي وروحي العملُ الثّقافيّ. أعرف تماما أثر ليالي البحث والكتابة والترجمة على جسمي الّذي يزدادُ ضآلةً مع كلّ سطرٍ جديدٍ. لقد أخذ العملُ الإبداعيّ من حياتي الكثير. أخذ من ساعات نومي وهيماتي وسرقني من حياةٍ هادئةٍ لا شقاء فيها ومن دفء عائليّ ضروريّ ومن صداقاتٍ فرّطتُ فيها. ولأنّنا لا نعملُ في القطاع الثّقافيّ،-مع أنّي أظنّ أنّ وزارة الثّقافة وزارةٌ لا بالمُنتمين إليها بل بالغرباء عنها- فإنّنا ندفع الثّمن أضعافًا. لا صياغة قانونيّة قد تنظر إلينا بعيْنِ الرّفق. الرّفق بالمبدعين الّذين يحملون على كتافهم همًّا فرّطتْ فيه جلُّ شرائح المُجتمع. شرائح المجتمع الّذي افتكّته محتوياتُ «نظام التفاهة» العالميّ الجديد. إنّنا أولئك الّذين تُوكل إليهم مهمّة شدّ الكفّة الثّانية من الميزان، وإنّ تلك الكفّة صارتْ أثقلَ كما لمْ تكن من قبلُ. نحنُ نعملُ في أركاننا القصيّة، مُهدّدين بالجوع وبالمرض المفاجئ، بالسّكتة الدّماغيّة أو القلبيّة أو الإبداعيّة في نهاية المطاف. كُثر هم أولئك الّذين فرّطوا في مشاريعهم الإبداعيّة على أهمّيتها. كُثر من رحلوا وفي قلوبهم هذا الكلام الّذي أنا بصدد قوله.

ميساء العرفاوي - مترجمة واستاذة بالمعهد العالي للغات بنابل

انعدام أسباب العيش الكريم يخلق بالضرورة ناتجا ابداعيا مشوّها

لا شكّ أنّ كلّ فعل إنسانيّ يتطلّب شروطا أساسية لقيامه، وحدا أدنى من الظروف المساعدة، ومن العوامل المحفزة، بما يكفل للفعل إمكانية التحقق والإفادة. وينسحب هذا المبدأ على أنشطة كثيرة من وجودنا، فالمواطنة فعل والعمل فعل والدراسة كذلك. وإذا كان هذا الفعل مرتبطا بالابداع وبما هو انتاج فني في مجالات مختلفة فإنه يتطلب من الشروط ما هو أهم ومن الظروف الملائمة ما من شأنه أن يجعل المتحقق رسالة ذات جدوى وذلك أن الناتج الإبداعي يتميز على غيره بالشمولية وبالتأثير الذي يتجاوز شخص المبدع إلى المتلقين ويتجاوز الراهن إلى المستقبل. ومن هنا تكمن الخطورة في أن يكون المبدع مفتقرا إلى المتطلبات الإنسانية الدنيا في معاشه وفريسة لكل ما يسم واقعه من وضعيات مزرية في الإقتصاد والسياسة والاجتماع.. فالضيق بالواقع وانعدام أسباب العيش الكريم سيخلقان بالضرورة ناتجا ابداعيا مشوها، وسيؤديان إلى عدم السعي إلى التطوير في واقع مفلس من كل شيء لا يمنح المبدع ما به يغذي جسده ورؤيته وافقه الفني، ويؤول الأمر اما إلى الابتذال أو إلى الانسحاب. غير أن العلاقة ليست ميكانيكية بين العوز والتضييق وبين ضمور التجربة الفنية وتراجع قيمتها فمن المبدعين من نحتوا في الصخر وابدعوا رغم

المنغصات التي جعلتهم اقوى وعززت في أنفسهم التحدي والنماذج كثيرة على سبيل المثال في قطاع الكتابة الأدبية. وفي المقابل فالرفاهية المجتمعية لا تؤدي بشكل آلي إلى فن عظيم. المشكلة الأخطر تتمثل في حد المبدع، وتعريفه فقد اختلط اليوم الحابل بالنابل والمنتفعون بالمعنى المادي من الابداع وملتقياته ومهرجاناته ولجانه انتهازيون دخلوا عوالم الابداع للانتفاع فحسب. لابد من أطر منظمة ومن استراتيجيات تكفل للمبدعين الحقيقيين ما اسميناه بالحد الأدنى غير أن وضعنا في تونس عام فالمبدع الذي يعيش محنة كونه مبدعا مهمشا ومنسيا هو نفسه موظف بائس يعيش محنة اخرى في قطاعه المهني ليكون اله مضاعفا. على سبيل الخلاصة يظل المبدع الحقيقي اذا كانت الوضعية قادرا على الخلق وبيده وحده أن يغير وأن يمثل بابداعه سلطة اقتراح وسلطة تنوير فلا يجب أن يتحول المبدع في المقابل إلى بكّاء يستجدي السلطة أو يطالبها بتمييزه وتدليله.

بلقيس خليفة - كاتبة

المثقف المطارد بغلاء الأسعار سوف يفقد الشغف في اقتطاع جزء من عمره من أجل فعل ثقافي

عندما بدأت الكتابة في سنّ مبكّرة كنت أظن أنّ الأدب هو أقلّ الفنون تكلفة لأنه لن يحتاج من الكاتب سوى أن تكون لديه القدرة على التخييل مهما كانت أحواله المادية سيّئة، وفي السّياق ذاته فهمت عبارة المسعدي «الأدب مأساة أو لا يكون» بمعنى أن الأديب ينبغي أن يكابد ألم الفقر وبؤس الحال حتى ينتج نصوصا عظيمة... حتى كبرت وفهمت أن انتاج الأدب قد لا يكون مكلّفا ماديا ولكن الأديب يحتاج أن يؤمّن أبسط احتياجاته حتى يبدع لأن الكتابة تصبح شكلا من أشكال الترف عندما يكون الكاتب مفقّرا ومهمّشا، مثلما فهمت أن المأساة التي تحدث عنها المسعدي في الأدب قصد بها النص لا صاحبه...

فالأديب الغارق في مآسيه لن يجد أفقا للتخييل... والمثقف المهزوم المهزوز المطارد باليومي وغلاء الأسعار، فضلا عن مصادرة الأفكار سوف يفقد الشغف في اقتطاع جزء من عمره من أجل فعل ثقافي، لن يسدّ جوعه أو يطعم أبناءه أو يمكنه من دفع فواتيره...

لهذا شحّت قرائح كثيرة وجفت بعد أن بشّرت بنصوص جيّدة وذلك نتيجة الفقر والتهميش والأمر هنا لا يتعلّق بمسألة القدرة على النشر الورقي والتعريف بالمبدع فحسب فذاك أمر تولّى فايسبوك حلّه بتشريع الأبواب أمام كل النصوص غثها وسمينها (مما ساهم بشكل أو بآخر في مزيد تهميش المثقف الحقيقي) وإنما يتعلّق بفقدان المعنى وانعدام الجدوى والشعور بالإحباط لدى الكاتب في غياب اعتراف رسمي بمجهود المثقف وتثمين الفعل الثقافي الجيّد وايلائه القيمة التي يستحق بعيدا عن الولاءات مع منحه مساحة من الحرّية تسمح بتخطي الحواجز السياسية والايديولوجية وحتى العقائدية في زمن يفترض أنه يؤسّس لتشكّل وعي ديمقراطي حرّ بعد الإطاحة بدكتاتورية عملت على تسطيح الثقافة طيلة عقود.

محمّد شوشانْ - شاعر

الإبداع يحتاج إلى كرامة إنسانية وهذه الأخيرة لا تكون اذا لم يتمتّع المبدع بمستوى معين من العيش

في بيئة لا تعطي للمبدع والمثّقف أية أهميّة، كيف يمكن للمثقف أن يبدع وهو مهمّش ومقفرّ؟ هل حينما يكون الانسان في ضنك العيش وشغله الشاغل أن يضمن استمراره في الحياة، يستطيع أن يكتب أو أن يرسم أو ان يقوم بأي فعل ثقافي آخر يتطلب جهدا وذهناً صافياً وحضور البديهة .

الإبداع يحتاج إلى كرامة إنسانية وهذه الأخيرة لا تكون اذا لم يتحصل المبدع على مستوى معين من العيش ومستوى معين من الحقوق والحرية. كيف لمبدع يتقاضى مبلغ زهيد لا يغطي حتى قوته اليومي وفي ظل مناخ سياسي تحاول فيه السلطة جرّنا إلى صراطها المستقيم بإسكات كل صوت مختلف وحر. في زمن يقف فيه المبدع مع غيره من المواطنين لساعات في طوابير للحصول على قطع خبز ما جدوى إصدار كتاب تكلفته تفوق أجرة سنة أو أنتاج أي عمل ثقافي آخر. وأبدأ من نفسي في حوزتي مخطوطان جاهزان للطباعة ولم أقدر على ذلك، بل عندما أتحدث مع أحد ما عن رغبتي في إصدار مجموعة شعرية، يبتسم ساخرا « اش من شعر يا صاحبي « !

منذر العيني - كاتب وناقد

مسكين هذا المبدع، أكله الشرُّ من كلّ جهةٍ وجانب في بيئةٍ متصحّرة منْ رأسهَا إلى ساسها

هل يمكن أن يبدع الكاتب في ظلّ التّهميش؟ الإعدام الّذي تمارسه الدّولة ويمارسه الدّين وتمارسه دوائر رأس المال المأجورة والجواسيس. نعم يمكن أن يمارس المقاومة ضدّ حركة التّعليب والتّنميط والتّسطيح، تصبح الكتابة، الثّقافة البديلة الأصيلة فعل تحدّي ومقاومة.

ما رأيناه طيلة السّنوات بعد «الغَورة المافيوزيّة» لعَمالة التّجسّس التّي استغلّت انتفاضة الشّرفاء ضدّ التسلّط والرّأي الواحد، لا يمكن إلاّ أن يُنشئَ حالةً من التّذبذب والانحطاط. مفارقات عديدة هيّأت لذلك، صعود دوغمائيّات الإخوانجيّة السّلفيّة حتّى أصبحنا نشهد الكتاتيب العشوائيّة وروضات النّكاح البيدوفيلي... فكان لزاما على الكاتب الحرّ أن ينتهج سبيل المقاومة لإعادة تنوير شعبه وتوعيته بالمخاطر التّي تبرزها الضّحالة التّلفزيّة من برامج تَتْفيهيّة للثّقافة وللمعرفة وللعلوم.

هل مازلنا نعيش هذه الحالة؟ نعم مازلنا نعيشها في ظلّ القحط الثّقافي الّذي يعلي من شأن ثقافة البوزْ العرائي، والعهر البلاستيكي المفضوح، وصيحات النّدبة والمناحاتِ والإجرام من هنا وهناك تثمّن وتطبّع مع السّلوكات المنحرفة... كأن يجعل من شخص لم يقرأ كتاباً واحدً في حياته يتحدّث عن بورقيبة فيتهكّم عليه ويقول «بونْقيبة نسوي رّكّب النساء ع الرّجال» في تعدّي صارخ على الرّموز أو يباشرنا بقولة «شكري ماوهواشْ شهيد» أو «في بالكم الّي المرا تشدّ دارها خِيرْ» وإلخ.... والمنشّط يتجاسر بالضّحك ويردُّ عليك» يطلع منّك ها الوَحيّدْ مِتْـثَـــقّــفْ وما في بالنَاشْ؟».

ماذا سيندبُ الكاتبُ المبدعُ المثّقفُ عموما بتقدّميته أو ببرنامجه الإصلاحي؟ المجتمع خرافيّ متخلّف متنمّر مفسد مبذّر عائق... والمدرسة لم تعد المصعد الاجتماعي المعرفي التوظيفي والتثّقيفي.. والكُونْطرةْ بوها كلبْ....

لابدّ من يد مُصْلِحة حقيقيّة تصدّ جشاعة الدُّوغمائيّات الدّينيّة الخرافيّة وتنتهج سبل الحداثة الاقتصاديّة التّوعويّة التّثقيفيّة. مسكين هذا الكاتب هذا المبدع هذا المثّقف، أكله الشرُّ من كلّ جهةٍ وجانبٍ في بيئةٍ متصحّرة من رأسها إلى ساسها، ونحنُ لا نسمعُ إلاّ «على الإطلاق»..

رياض الشرايطي - شاعر

اخترت أن أكون مع المشرّدين والكادحين فهم من جلدي وكرامتي من كرامتهم...

سؤال وضع فوق طاولتي، ذاكرتي التى تحتفظ إلى اليوم بما عانيت واعاني كمثقف، إن جاز تصنيف نفسي هكذا، جرّاء طردي من شغلي كمدرس في قطاع التعليم الابتدائي سنة 1985 من اجل نشاط نقابي وما نتج عنه من تشرد وتهميش وملاحقة أمنية ومحاصرة لقوت يومي وكان انيسي ورفيقي وسندي، قلمي وأوراقي، فهي التي جعلتني لا اسقط ولا اركع وبها كنت اسمع وقع خطواتي على أرض هذا الوطن واتنفّس هواءه عميقا، وعاودت السفر وكانت وجهتي الجزائر أين أكملت دراستي والعودة ثانية للبلاد والحصول على وظيفة في القطاع العمومي وسنة 1996 وقع طردي من الشّغل مرّة أخرى والسبب نشاط ثقافي وأحلت على التهميش والتفقير ولم اعاقب هذه المرة وحدي فنال أطفالي وزوجتي ما نلت، وكالعادة وجدت ورقي وأدواتي خير مآزر ورئتي الثالثة التى لم يستطع النظام خنقها حتى لا ادون صراخي وغضبي وفرحي وحزني، وهي التى بها لم يستطيعوا نزع كرامتي، فبرغم التجويع

والتفقير والتشريد لم اركع ابدا ولم اتمسّح بعتبات السلطة، بل العكس تماما، الجوع والفقر والتشرد صقلت حروفي وجعلتها صوت أمثالي وما اكثرهم في بلادي، وإلى اليوم أخوض الصراع لأجل رفع تلك المظالم التي عشتها واعيش وقعها إلى الآن، وسلاحي صوت حبري وصراخ ورقي، ودائما اقول لابنتي وابني، لا إرث سأترك لكما سوى دواويني التي ستبقى ويضمحلّ ظالمي، وسأترك لكما ملف تاريخي الزاخر بالمظالم التي تعرّضت لها، اوّلا جرّاء لقبي وثانيا جرّاء وقوفي الدائم، فعلا وكتابة، في صفّ الحقّ والفقراء وكل من لا صوت له ، وثالثا عدم الرضوخ والانخراط في اي قطيع، فأنا سيّد نفسي وكما يقول الشاعر الحر سليم دولة « لا رئيس لي سوى رأسي »، فأنا رئيس ورقي والحروف جيشي والقصائد شعبي، فأنا اخترت ألا أكون من قبيلة الكتبة الكسبة، الابواق الواضعة حبرها في خدمة البلاط وأصحاب المال ومخادع السلطة، واخترت أن أكون مع المشردين والفقراء والكادحين والعاطلين، فهم من جلدي وحلمهم حلمي وكرامتي من كرامتهم ...

رؤوف سعيد - كاتب

يُدفع المثقف إلى حياة الفاقة والكفاف ضمن رؤية مثالية بائسة تستنكر الرفاه عنه

يطرح المثقف فردا وجماعة اشكاليات في التعريف والأدوار والتصنيف الاجتماعي .عرّفهم غرامشي «بكل من يُكسبه نشاطه الفكري مكانة ووظيفة ضمن علاقات اجتماعية، سواء كان كاتبا أو فنانا أو معلما أو طبيبا أو سياسيا أو إداريا وغير ذلك من ذوي النشاط الفكري» فالدوائر المالية والنفعية تتعامل مع المثقفين صنّاع الأفكار والمعارف والحقائق، على أنهم «قطاع غير منتج» وخارج علاقات الإنتاج وبالمعنى الاقتصادي لا ينتجون «فائض القيمة» الذي يمكن ابتزازه منهم . وينزع النظام العالمي للتفاهة إلى الاستعاضة عن المثقف بالخبير والتكنوقراط المفرغ من أفكار الحق والواجب والحوافز الأخلاقية والنضالية.

يُدفع المثقف إلى حياة الفاقة والكفاف ضمن رؤية مثالية بائسة تستنكر الرفاه عن المثقف كما لو أن الرفاهية خيانة منه . ولعل سيرة الروائي محمد شكري من افصح الشواهد عما عاناه في «حي الطرنكات» حيث اضطر إلى السرقة والتسول والصعلكة من أجل أن يحيا. كما تجسدت أوضاع المثقف في الدراما التونسية في شخصية «سعيد الفاهم» في مسلسل «حسابات وعقابات» مثقفا معدما، تدور أيامه حول البحث عن الخبز والمأوى لتكون صورته أكثر واقعية من الواقع وتنزع عن الفقر اية فضيلة فالبطون الخاوية لا تفكر.

خالد هدّاجي - شاعر

التنكيل بالمبدع والمثقف لا يمنع الإبداع وإنما يعفّن المشهد الثقافي ككل

عادة لا يرتبط الإبداع بالظروف الاجتماعية والاقتصادية للمبدع او المثقف فأعظم الإبداعات الأدبية العالمية سواء شعرية أو روائية كتبت وتم إنتاجها والمبدع يعيش ظروفا اجتماعية مأساوية وفي اغلب الاحيان لم ينل التكريم او الشهرة الا بعد رحيله.. لكن إذا تناولنا المسألة من جانب اخر فالتجويع والتنكيل المتعمد للمبدع والمثقف نجده نتيجة لعدم خضوعه لابتزازات المؤسسة او لتناقضه مع السلطة القائمة.. يقول ادوارد سعيد «على المثقف ان يكون مزعجا للسلطة « .

من دور المؤسسات الثقافية العمومية هو دعم الإنتاج والإبداع الثقافي لكن في غالب الأحيان يتم توظيف هذا الدعم ضمن ممارسات يحكمها الفساد فالدعم يقدم بالولاءات والمحسوبية واغلبه يذهب لغير مستحقيه ولا يذهب للابداع ..ليس هذا فحسب بل يتم استعمال الدعم لشراء المواقف والذمم لبعض الموجودين الذين بالمقابل يعملون على تنظيف صورة المسؤولين والمشرفين على تسيير المؤسسات كوزارة الثقافة وهذا ما حدث مع وزارة الثقافة في السنوات الأخيرة وخاصة مع وزيرة الثقافة السابقة حيث هيمنت هذه الممارسات بشكل كارثي أدى إلى شلل كلي في المشهد الثقافي لمسته من خلال إلغاء ايام قرطاج الشعرية وإلغاء ايام قرطاج السينمائية وتهميش ايام قرطاج المسرحية ومحاولة إلغاء معرض الكتاب .. كل هذا كان نتيجة لتغيير المثقف والمبدع الحقيقي عن المشهد الثقافي وتعويضه ببعض المأجورين والمتعمشين العاجزين عن أي فعل ثقافي حيث تحولت وزارة الثقافة الى مؤسسة قمعية تنكل بكل من انتقد اداء الوزيرة وكل من قال لا في وجهها .. من المضحك المبكي مثلا ان تتم احالة الشاعرة امامة الزاير على مجلس التأديب وعزلها من عملها بسبب نشرها لقصص نقدية ساخرة وقصيدة لمظفر النواب ..

ومن الأمثلة الواضحة الفاضحة لهذا السلوك ان الشعراء والكتاب المغضوب عليهم لم يتم استدعاءهم لأية تظاهرة او نشاط ثقافي طيلة سنتين ونصف ..من قبل كل دور الثقافة والمكتبات العمومية وكل مؤسسات التنين الثقافي التي تعد بالمرات ناهيك عن بيت الشعر وبيت الرواية وهذا كله يعود أما لتعليمات واضحة من الوزيرة ورئيس ديوانها وبعض المتنفذين ..او نتيجة خوف المشرفين من غضب الوزيرة وان تطالهم الاعفاءات والاقالات.. الخلاصة ان التنكيل بالمبدع والمثقف لا يمنع من الإبداع.. إنما يعفن المشهد الثقافي ككل .. ويمكن للإبداع ان يستمر حتى تحت الجدران وفي الهامش..

عندما يجوع المثقف يُجبر على مواجهة الواقع بشكل مباشر وصادق. هذا الواقع القاسي يثير تساؤلات عميقة حول العدالة الاجتماعية والمسائل الإنسانية. بالتالي، لن يكون إبداع الفرد مجرد عمل فني، بل يصبح أيضًا سؤالًا وجوديًا ووسيلة للتعبير عن الغضب والمعاناة والأمل في تحقيق التغيير. من جانب آخر، يمكن أن يكون الفقر حافزًا للمثقف الباحث عن معاني أعمق للحياة وللوجود، مما ينعكس في أعماله الفنية والأدبية بشكل ملحوظ. في النهاية، ينتج المثقف المفقر والمهمش نوعًا جديدًا من الإبداع، حيث يندرج بين التعبير عن الحاجة والغضب والأمل وبين البحث عن الجمال في ظل الظروف القاسية. لكنها تبقى ديناميات معقدة وغنية تستحق النظر بعمق وتحليل مستفيض لفهم كيفية تأثير الفقر والتهميش على الإبداع والفن والعمل الاعلامي والثقافة بشكل عام .

نافذة لأراك
(Fenster um dich zu sehen)

كمال العيادي (الكينغ)
Kamal Ayadi - KING

(4)

وَلَقدْ ابْتَلَى اللهُ عبده الصّالح أيّوبَ، حتّى أنّ الدّودة كانت تسقطُ من قُرُوحِ جسدِهِ، فيلتقطها ويُعيدها لمكانهَا قائلاً: (عُودِي وكُلِي مِمّا رزقكِ اللهُ)... ووااللهِ ما سمعتُ عن نبيٍّ أو عبدٍ صالحٍ، أحبّهُ اللهُ، ولمْ يختبرهُ، ببلاءٍ وابتلاءٍ عظيمٍ، ليُباهِي بصبرِهِ الملائكة والخلق في السّمَاءِ...

Gott quälte (Ayyub) so sehr, dass ein Wurm aus den Wunden an seinem Körper fiel, sodass er ihn aufhob und an seinen Platz zurückbrachte und sagte: (Geh zurück und iss von dem, was Gott für dich bereitgestellt hat.) ... Bei Gott, ich habe noch nie von einem Propheten oder einem gerechten Diener gehört, den Gott liebte und der ihn nicht mit großer Prüfung und Bedrängnis auf die Probe stellte, um mit seiner Geduld zu prahlen.

شعريّة الوصف شعريّة الاعتناء في «الغابة ليست ملكا لأحد» لرضا العبيدي

منذر العيني

الشّعر تجربة وجودٍ متحوّلةٍ لا تخضعُ لتراتُبٍ معلومٍ يفرضُ نمطيّةً معيّنةً داخلهُ عندَ الإنشاءِ منذ «هل غادرَ الشّعراء» في تكراريّتها المتنوّعة المختلفة إلى اليوم. مازالت التّجربةُ تتغايرُ رغمَ ما يُؤَلّفها من عناصرَ أو من مشتركاتٍ تكادُ تقعُ على بعضها البعض، إذْ حَسْبُنا أن نتذاكرَ حلقة «جماعةَ شعر» حتّى ننهض بأسئلةٍ مفتوحةٍ عن الإضافة النّثريّة إلى يومنا هذا. فماالّذي يشدُّنا إلى تحرير نثريّ حتّى يتصاعد في تفاعله الجُوّانّي ليهتكَ أو ليبنيَ نسقًا يعلو بنفسه ويجعلنا نتابعُ أو نتشوّفُ ما سيجرى بعد الملاحقة أو بعد التقفّي في القراءة ونحن من قصٍّ إلى آخر ومن موشورٍ إلى مرآةٍ أخرى، ومن ظلّ إلى آخر. هل حقّا حينَ تروي الذّاتُ ذاتها تجدُ لها لذّةً أخرى تسهّلُ على اللّغةِ تدفّقها في الأنساق؟ لا يهمُّ الجنسُ الذّي تندمجُ فيهِ المهمّ أن نمسكَ بطرف الحكّوتة المخصوصة في الأثناء. تخطيطاتٌ وتكتيكاتٌ عديدةٌ ينتهجها العديد من الشّعراء وهم يدخلون عمارة النّثر حتّى يغدوَ شعرًا يبتعدون أو يقتربون من الوزن، وليس لهم من هاجسٍ غير البرهنة على أنّ إنشاءاتهم تحدّثنا نحنُ، أو تحدّثنا عنهم، فالشّعر فلسفةٌ أخرى مغايرةٌ لا ترتضي غير المناصرةِ عبر مجرياتها المتعالية حينا والمجاورة أحيانا أخرى، تقرّبنا العلامةُ في دلالتها عن الوحدة أو عن التّكاثر، تصحَبنا الذّاتُ مرّة أخرى بخصوصيّتها في الأداء بين الرّافد وبين الوافد أو بين القراءة والكتابة. الكتابةُ وهي تلحق بالسّابق أو وهي تسبق اللاّحق في جدليّة لا تنتهي، تمنح المعنَى معنىً ثاويًا محتملاً تحت طائلة الدَّيْن، نلاحق تجربةً واضحةً غامضةً تتمنّعُ تارةً وتقتربُ أخرى تنزاح إلى الممكن في التّعبيرة النّثريّة الشّعريّة حتّى تعتدَّ بنفسها غير موقنة ولا مستسلمة في الغابة الّتي تنأى بنفسها على أن يملكها أحد، ولن يملكها أحد.

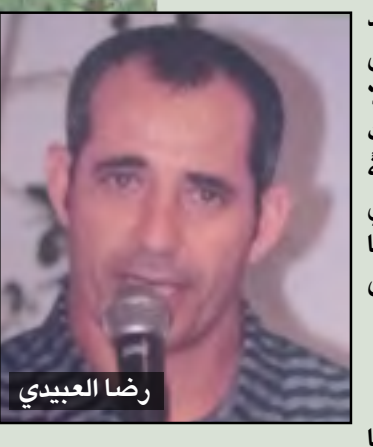
رضا العبيدي

تقديم

أهمُّ ما نخبرُ به عن صديقنا الشّاعر رضا العبيدي نيلهُ جائزة معرض تونس الدّولي للكتاب عن إصداره» فوق رصيفٍ باردٍ» سنة 2017، بعد مسيرةٍ دراسيّة نال إثرها الأستاذيّة في اللّغة العربيّة وآدابها، منتجًا مجموعته الشّعريّة البكر « الوردة ملء اللّيل» عن دار سنابل القاهرة سنة 2006. قد حَفِلَ الرّجلُ بكلّ متناولات الإبداع الأدبيّ منذ تسعينات القرن الماضي متأثّرا بمختلف التّعبيرات الفنيّة المساوقة من مسرح وتشكيلٍ وسينما كوّن بها روافده الأوليّة بالتّوازي مع ماكانَ يرغبّه من مطالعات من الرّصيد الأدبي الفرنسي والعالمي بكلّ جداوله الأدبيّة وهو هناك في أروبا يصوغ عيشه ومعيشته مع الكتابة والوجود. عالمه الإنزياحي المتفرّد قد جعل منه صورة مغايرة للتّونسيّ المعاصر المتاخم على تماسِ الأحداث والمجريات ولكنّه فيها، منها وإليها يرى نفسه في مرآته الأخرى إلى مختلف الإنتاجات يتصفّحُها يتعّهدها بالمتابعة. متابعةٌ حتّمت عليه أن يساير أو أن يغاير نسقيّاته الكتابيّة في اختباره حول قصيدة النّثر طريقةً في الإعلاء في رصد خوالجه متّبعا نهجهُ الخاصّ في تولّيه شؤون إيقاعاته الدّاخليّة عبر انفجاراتٍ فجُئيّة مثّلت بؤرةَ أعماله السّابقة غير أنّه شكّل خيوطًا أخرى للّعبة سنفصح عنها ضمن هذا الإصدار الموسوم بعنوان « الغابة ليست ملكًا لأحدٍ» نتقفّى إمكاناته الأخرى في الإتيان وهو ينضّد تعريفاتِه أوصافه للعالم يسمّيه من قريبٍ أو من بعيدٍ، يعدّدُ خصال عزلته المأهولة وهو ينكتبُ مرّاتٍ ومرّاتٍ يصف ذاتهُ تتعالى أو تتجاور عبر ضمير الأنا. هل حقّا مازالت منعرِجَةُ الوصف منذ أبي تمّام تخلقنا ولا مفرّ منها وهي تحدثُ ضجيجنا عبر الوقوف رغم المراوغة؟ كيف للنصّ أن يشحن نفسه وزنا أو نثرًا حتّى يباشرنا بالفضح نكتبه ويكتبنا؟ ألم يقلْ كبيرنا درويش «من يكتب حكايته يرثْ أرضَ الكلام ويملك المعنى تماما»، فمن هذه المنطلقات ندخل غابته عبر سرديّة تصرّحُ تارةً وتحجم أخرى ضمن سِتّين نثريّةٍ أو تفوقها بواحدةٍ.

الغابةُ ليست ملكًا لأحدٍ: شعريّة الوصف شعريّة الاعتناء

يشرعُ الشّاعر منذ بدايةِ نصوصهِ الأولى في إبرام عقده مع الكتابةِ بوصفها ملجأً ثانيًا يرتعُ فوق مسرحهِ يبدؤهُ بالوصف وهو يعاكسُ نفسهُ أو يعتني بها حتّى يظلّ واقفًا لا يهمّهُ من شيءٍ إلاّ دُرْبتهُ اليوميّةَ في استرجاعهِ لكينونته الأصيلة تنفتحُ على الممكناتِ على الحالاتِ، والتّدويرُ في فجأتهِ لا يفوتُ من أمره شيءٌ، مخترقًا كلّ نميمةٍ حول الشّعريّةِ النّثريّة مقتصرًا على « فقط» يقولُ «لا أكتبُ شيئًا / فقط أكسرُ القلمَ/ وأكتفي بالألمِ الحادِّ في أصابعي»».

تبدأ التجلّياتُ حول مسوّغات هذه التّجربة وهيَ تتردّدُ في المحاولةِ دائمًا ولا تعبأُ بالوزنيّات المتكررّة أو بالرّومنطقيّات المتوارثة في إبعادها المتنامي أو في ترددها المعكوس والمتواتر، هو ينحني للأنا تجابهُ أناه يلتقطها أو يلتقط بها أنفاسهُ في ملامحَ قليلاً ما نراها في شعريّاتٍ معاصرةٍ وهوَ يرصدُ المفاجئَ أيضًا من فواعل زمانيّةٍ مكانيّةٍ تؤثّثُ مناسبتهُ للكتابةِ وهيَ تنكرُ أو تمَضي على حضورٍ، على غيابِ أناه الرّاصدة في قناعها المتجدّدَ» رسمتْ ملامحهُ في زقاقٍ خلفيٍّ من المدينةِ العتيقةِ» أوفي «بسقوطِ جسرٍ في بحيرةٍ تعجُّ بالتّماسيح/ برصاصةٍ تخترقُ على وجهِ الخطإ»...طريقٌ أخرى يسلكها بعد تلكَ المتناوباتِ المفزعة المضحكة في خطوطه الأولى، هاهو الآن يمنحها شرعيّةً كتابيّةً داخليّةً تقول مظهرها وتقوله في إرسالٍ متبادلٍ لوقوفه أمام علاماتٍ مألوفةٍ غريبةٍ، أليسَ التنّاقض المفارق من يصنعُ الدّخان؟ من يزيدُ في حرارة اللّقاء؟ من يبيح عن المستور من يتركُ للتّأويل الباب المشرّعَ دائما في بياناتٍ جديدةٍ عن قراءاتٍ من عالم بريشتْ في جدواه التّساؤليّة المبهمة أو من عالم بيكيتْ في بداهته المسرحيّة المقلقة عند انتظاره شيئًا ما، أومن تأطيرات إيفْ بونْفَوا في مدعاته للتّلاشي وبحثه هن سعادةٍ ليست مقدّرة رغم حقيقة الأفول تتناثر من هنا وهناك، يدافع بها العبيدي عن جمهرة شعراء النّثريّة يفقهون في التّلاقيح الانفعاليّة بسيطةً ومضنيةً يقول « جئنا بأجسادٍ آهلةٍ بجيناتٍ آباءٍ لم يلدونا دمًا ولحمًا»، وهو كذلك يصل بنا إلى العتبة الأولى من عنوانه الغابة.. حتّى يضيء شيئًا من تصريحه المفخّخ أنّ الشّعر لا يقتصر على نوعيّة من كتابةٍ واحدةٍ محكومةٍ ومدرجةٍ في قوالب بعينها، أنّ الشّعر تعبيرةٌ متجاوزةٌ تخترقُ كلّ الأجناس كلّ المرميّات على الطّريق ألم يدوّنها الجاحظُ في بيانه «المعاني مطروحةٌ في الطّريق»، ألم يفصح عنها عالم الشعريّات هنري موشينيك في حركته التّعريفيّة للإيقاع، للأمواج تتجدّدُ في كلّ حينٍ؟

لا يكادُ رضا يتحرّجُ من موضوعٍ حتّى يدمجهُ في آخر من شتاتِ أفكارهِ حول الموتِ حول الرّفقَةِ والرّفاق، حول التّجارب الوجوديّة تتحاور داخل منظومة أفكاره وهي تُكتبُ بوعيِ ماضٍ نحو سردِ ذاته، أي نعم ذاتِه في محيطاتها المخصوصة المفعمةِ بالسُّوسْبانس، بالواقعيّة تتصاعدُ وتنكفئُ تراميى وتقتربُ» لأنّي اليومَ أو غدًا بطريقةٍ أو بأخرى سأموت/ تمشي في جنازتي طريقٌ مسدودةٌ» أو يمجّدُ حالهُ حينَ بتناظر في الكاريكاتور يبني بها استعارته الأخرى، يَشِي بنفسه لنفسهِ وهو يَرى ما لا يُرى «لمحناهُ يتثاءبُ يبصقُ في الهواء/ سمعنا ارتطام البصقةِ بالرّصيف».

يقربُ في تنغيماته جدلَهُ مع وجههِ وهوَ يحاولُ الانفجار بما أوتيَ من طاقةٍ للتّعبير عن إشاراته يفكّر في أفكاره كيف لها أن تدخل طاقة المتلقّي في مدحيّاتها الهزليّة من خيوطٍ واهية أو في مرثيّاته أيضا ينضّدُ مثل هذه التّعريفات» في الصّيف النّهارُ لا يتزحزحُ»، عليه أن يهمّشَ الجدَّ أن يُقلّب أطرافهُ يقلبهُ وكأنّه يُسرّ هل ثمّة فيه ما يجعلنا نتفّسُ، نجابه موتنا الآت. بهكذا أنساقٍ داخليّة تعود الكتابة مفكّرةً متفلسفةً لا تحتكم إلى المنطق بقدرِ ما تنساق وراء حدوسها تغنم لحظاته الغارقة الفارقة في التّناظر، يشطبُ ويمحو وهو يواجه إحداثيّاته على الشّبكة مكانًا أو زمانا بين الحدائق العامّة وبين محلاّته أمام مرآته أو إلى قرب الصّوت والموسيقات في رحلة البحث الّتي لا تنتهي في حالة الوجود بين وجوهٍ مضت وأخرى ستأتي «كرسيّ الحديقة مكانٌ مناسبٍ للمراقبةِ» مراقبة تتنامى في حالة تصوّفيّة داخليّة قد تُضحي من فنطازيا عجائبيّة أحيانًا تتنازع بين ضميريْ الأنا والهو، والحركة تتصاعد ثانيةً وثالثةً لينفتحَ مجرى آخر في الوصف وفي الاعتناء « في قصائد تأبى أن تنكتب إلاّ بأنفاسي في مرايا لا تراني» « هذه المرّة لم تتسّع الرّؤيا/ لكنّ العبارة ضاقت بأحرفها الشّائكة»» سقط المشهد برمّته في العتمة/ كمفتاحٍ في بالوعةٍ/ وها أنا في لحمي ودمي/ أتخبّطُ بحثًا عن علبةكبريتٍ» وعلى هذه الوتيرة من تجارب في المحاولة للكتابة الشّخصيّة العامّة في آن، تتواتر المقولات في تدوين مابه يشارك قارئه هاجس القلق هاجس المحنة البانية للمعنى يُتلف، يُفلت من دائرة الوصول.

خاتمة

يصرّ رضا العبيدي في مجموعته هذه « الغابة ليست ملكًا لأحد» على وجاهة قصيدة النّثر في إسعافه بالطّريقة الّتي بها ينكتب ويكتب، لا يهمّهُ في ذلك إلاّ ملكيّته المخصوصة في أداءه، متحمّسًا لعيشه في الشّعر الّذي بألفِ وجهٍ، يسير به معه ويعلو.

الاحتفاء بالمكان والمستوى الإخباري في رواية «مرايا الروح» لمحمود حرشاني*

علي لفتة سعيد (العراق)

قد لا يبدو العنوان في هذه الرواية محكومًا بالفهم المسبق، أو أنه عتبة أولى، أو كما أسّميه بوابة الدخول الى مدينة الرواية... فهو عنوانٌ قد يكون ليس من الناحية الجمالية، بل من الناحية الدلالية أمر أريد له أن يكون كذلك، حتى لا يكشف عن أدواته مع البدايات الأولى للدخول الى مدينة الرواية، والدوران في شوارعها وأزقّتها. وهو أمرٌ قد يحسب للمنتج، كونه جعل من العنوان واحدًا من أماكن فكرة الرواية أكثر منه دليل الحكاية.....

وما أن تقرأ الاستهلال وتربطه مع المعرفة الشخصية لعمل المنتج، حتى تكون عملية البحث عن التأويل أقل حدّة... وتحال الانزياحات الى تلك المعرفة، ليكون التأويل أنها رواية سيرةٍ ذاتية لرجل يعمل بالصحافة، ولكن هكذا الأمر سنغادره بعد أن نغادر العنوان واسم المنتج وندخل في أروقة المكان والأسماء التونسية، كالنهج الذي يعني شارع، والنزل الذي يعني فندق. هو الأمر الذي يعني في عملية الربط بين المقدّمة التي وضعها كلوحٍ إعلاني مقدّمًا حتى على الإهداء في ترتيب الصفحات الروائية، حتّى قبل الصفحة الإعلانية لمعلومات دار النشر، وكأن هذه المقدّمة هي المهاد الذي على المتلقّي أن يبقى في حيّزها المكاني الذي يشير بعد ذلك الى كلّ الأمكنة التي ترتبط سواء بالصراع مع الشخصيات أو صراع العمل أو الأماكن التي تسعى وترتبط وتطارد وتلاحق وتنتمي لها ثيمة الرواية وحبكتها. (أدخلتني الصحافة إلى الأدب وفتح الأدب بصيرتي على عوالم جديدة لم يكن من السّهل إدراكها لولا التسلّح بالخلفيّة الصحفيّة التي تجعلك باستمرار قادرا على طرح السؤال). لذا فإن هذه المقدّمة مع أرقام الفصول دون عناوين، ستسير اللعبة التدوينية على وفق أنساقٍ ومستوياتٍ سرديةٍ تحاول الوصول الى العنوان، الذي يقبع في منتصف الحكاية التي تبقى هي الأساسية في غلبتها على الفكرة، من خلال تبويب الصراع المستمر وهو صراع شخصي يشير الى متاعب العمل الذي طرحه على شكل سؤال في مقدّمته.

الاستهلال ومنصات الحكي ..

يلعب الاستهلال لعبة البطل الأوّل في الرواية، في جناحيها المتن الحكائي والمبنى السردي الذي يرتبط بالفكرة، لكنه هنا يرتبط أيضا بالحكاية بدرجةٍ معقولةٍ وأكثر التصاقًا. ولأن الحكاية تعلن عن وجود شخصيةٍ تعمل في الصحافة التي يتبيّن بعدها في بعدها التاريخي، مذ كان طالبًا وقد سعى على أثر هذا الحب الى تأسيس جريدةٍ خاصة به في مدينته، والتي هي خارج العاصمة كما يوضّح لنا الراوي في الاستهلال الذي يتحدّث بصيغة الغائب، وهو راوٍ ينيب عن اثنين في هذا الرواية. فهو ينيب عن الروائي مثلما ينيب عن الشخصية المروي عنه. ليتبيّن أنه هو ذاته، جعل بينهما في عملية الحكي راوٍ ينتصر للأحداث وترتيبها. وهو الأمر الذي جعل الاستهلال المرويّ يبيّن عمليات البدء الأولى في السير نحو إعلان الصراع الذي سيكون في العاصمة، ما يعني تبيان أثر المكان وتعدّده وأسمائه، ليكون هذا الاستهلال في موازاة الصراع بين أشياءٍ عديدةٍ، جعلها أشبه بمنصات الانطلاق نحو ما سيكون وما سيأتي. أوّلًا: صراع الذات التي تريد الإثبات مع التحدّي في الانتقال من مكانٍ غير العاصمة الى العاصمة: (كعادته في كل مرة ينزل فيها إلى العاصمة لقضاء شأن من الشؤون أو لطباعة عدد جديد من المجلة التي يديرها ويرأس تحريرها بالمطبعة العصرية في آخر شارع جون جوراس) ثانيًا: المكان الذي ستنطلق منه الأحداث عبر التواجد في قلب المدينة / العاصمة من خلال نزل/ فندق: (أخذ أنور غرفته المطلة على النهج في نفس ذلك النزل العتيق الذي اعتاد أن يقيم فيه ليستريح قليلا ويزيل ما علق بجسمه من أتعاب السفر الطويل) ثالثًا: كون هذا الاستهلال سيعطي المعلومة الحكائية التي تسير بالذاكرة المرتبطة بالحالة السيرية التي ستكون هي المتوافقة والمرافقة والتابعة للأحداث ليست القادمة، بل الماضوية لأن السؤال والاستهلال يفضحان الزمن الذي بدأت بها الحكاية: (كان يفكر وهو مستلق على الفراش ويتساءل بينه وبين نفسه :إلى متى ستتواصل هذه الرحلة المضنية التي بدأت قبل أكثر من ربع قرن من الآن ومازالت مستمرة إلى اليوم ؟)

رابعًا: إن هذا الاستهلال نبع من اللحظة الوجودية التي يفضحها استمرار الأسئلة التي جعلها رابيةً مرّة، أو أنها منطقة الصراع أو حتى لحظة الخوف من القادم الذي سيرويه، وليس الذي سيكون لأنه كشف أن الأمر كان قبل ربع قرن: (يغمض عينيه، ثم يفتحهما ويعيد طرح السؤال على نفسه. هل فعلا البلاد في حاجة إلى خدماته التي يقدمها من خلال إصداره مجلته الشهرية التي أخذت منه كل حياته ؟.. مرارا عديدة راودته فكرة الانقطاع عن مواصلة هذه الرحلة المضنية)

محمود الحرشاني

الواقع والمستوى الاخباري

لأن الرواية كما نكتشف بعد ذلك هي الأقرب الى السيرية، وكان الحكي فيها يعتمد على خزين الذاكرة وأن البطل (أنور) هو الراوي محمود. لذا كان المستوى الإخباري هو الذي تسيّد السرد، من أجل منح اللغة المحكية قدرتها على تصنيف الصراع والتحدّي الذي يواجهه البطل. إن هذا المستوى تحكّم باللعبة التدوينية وتنقّلات البطل في العاصمة وأماكنها المختلفة ورؤساء التحرير والمنتديات الثقافية وحتى اتحاد الأدباء وسيرة الأحداث التي مرّت بها تونس خلال سنوات عمله في الصحافة، حتى أنه يذكر أسماء الأدباء والمثقفين التوانسة بأسمائهم الصريحة لكي تكون الواقعية حاضرة في المتن الحكائي. إن هذه الواقعية فرضت عليه أن يكون أكثر دقّةٍ حتى في الواقع السياسي المتّصل بضرورة المضي بمشروعه الصحفي الذي يوصله الى الرئاسات، وتكون ذروة الواقعية هي التكريم الذي حصل عليه بوسام لإثبات صحّة الطريق الذي سلكه. وهنا تكون الفكرة التي انبنت عليها فعاليات المبنى السردي هي في تصاعدية الحدث الذي انفرش على سجادة 26 فصلًا، جميعها كانت بصيغة الراوي العليم والمتحدّث بطريقة الراوي الغائب.

إن علو كعب المستوى الإخباري، مع وجود قليلٍ للمستوى التصويري إلّا بما هو متّصل بالمكان والزمان يأتي لاعتبارات عديدة : أوّلًا: إنه ناقل الخبر والفعاليات التي تدعم قرارات البطل وحيثيات اندفاعه لاستكمال مشروعه. لذا هو يريد إعطاء التكافل النصّي مكانته في الإخبار للوصول الى دليل المحتوى العام الذي تتّكئ عليه الحكاية: (استفاق من اغفاءاته القصيرة، وتذكر أن لديه موعدا مهما مع أحد المسؤولين وموعدا آخر مع مسؤول مالي عن شركة اقتصادية لمحاولة إقناعه بنشر الإعلانات والبلاغات التي تصدرها مؤسسته بمجلته لتخفيف الأعباء المالية التي تواجهها كل شهر) ص9. ثانيًا: إنه المحرّك لعمليات الروي التي ينقلها الراوي من أجل عدم تبيان من هو الراوي وعلاقاته بالبطل، ولذا احتاج الى كميةٍ كبيرةٍ من عمليات الإخبار المتعلّقة بالعمل، وشبكة العلاقات التي لابد من وجودها. (عاد أنور إلى غرفته في النزل، بعد أن قضى كامل اليوم في المطبعة، عاد مرهقا لا يكاد يقوى على حمل نفسه.. كان في حاجة أكيدة إلى الراحة وإلى أن يتمدد على السرير ويغمض عينيه.. ولا يفكر في شيء، حتى الهاتف أغلقه..) ص31. ثالثًا: إنه يمنحه حرية الانتقال لسرد الأحداث بحكاياتٍ أخرى، متّصلةً بالعمل، ومثلما هي متّصلة لاستكشاف العلاقات غير الشرعية مثلا إن صح التعبير، والتي تحفل بها بعض الأمكان. والتي يكون أحد طرفيها المرأة التي تكون هي الضحية في بعض الأحيان، وتكون هي المسبّبة في أحيانٍ أخرى: (لم يكن أمام نورهان من خيار سوى الرضوخ والاستجابة إلى رغبة عدنان رجل الأمن المتقاعد الذي طلب منها الانضمام إلى شبكة من المخبرين يعتمد عليهم في جمع ما يريده من معلومات عن شخصيات رسمية وأجانب.) ص99. رابعًا: إنه المستوى الذي يجعله متمكّنًا من وصف المكان ووصف الحالة التي وصل اليها ، وخاصةً تلك المتعلّقة بالقصر الحكومي. حتى أنه يتحوّل صيغة الروي الى المخاطب في بداية الفصل الخاص بهذه الجزئية من الحكاية او السيرة : (ها أنت الآن يا أنور في قصر قرطاج.. في موكب مهيب.. مدعوا ليقلدك رئيس الجمهورية وساما رفيعا.. ما أجمل أن تعترف لك الدولة بقيمة ما بذلت من جهد، وأن يكون التكريم من قبل رئيس الجمهورية شخصيا..) ص 75 خامسًا: أنه يجعله متمكّنًا من إعطاء التوصيف للمكان، وكأنه يستكشفه لأوّل مرّةٍ، ثم يكون جزءًا منه، وهو المكان الذي يكون حاضرًا في الأحداث، سواء على مستوى البلاد أو المستوى الشخصي : (كان على موعد مع أحد الأصدقاء في مقهى تونس المطل على شارع قرطاج من اليمين وعلى شارع الحبيب بورقيبة من اليسار.. ومقهى تونس في الصباح يكون قبلة المثقفين ورجال الاعلام، وعدد كبير من الشخصيات وإطارات الدولة،) ص14. سادسًا: إنه يمكّنه من كشف القاع وما يحصل بسبب القمة، أو استغلال القمّة للقاع، من خلال عين الراوي الراصدة للأحدث، يحتاج الى رويٍ إخباريّ، يأخذ المستوى القصدي الذي يكون متواجدًا في مثل هذه الحالات بطريقةٍ مباشرة عبر ذات الصيغة في روي الغائب: (كان كثيرا ما يتساءل بينه وبين نفسه، هل هؤلاء العاهرات هن ضحايا.. ما الذي يدفع بهن إلى طريق الرذيلة.. ألم يجدن عملا شريفا يكفل لهن العيش الكريم.. أفضل من بيع أجسادهن للعابرين) ص39. سابعًا: إنه مستوى يجعل من الواقع محسوسًا وملموسًا للمتلقّي، حين يضعه المنتج بطريقة الواقع وهي أقرب الى الطريقة الصحفية، باعتبار أن البطل يمتهن الصحافة، حتى لو كان ذلك عن طريق التورية التي لا يراد أن تكون مباشرة، لكنها مفهومة الدلالة: (قال في قرارة نفسه علي أن أتأكد من قدوم المسمار، فله خبرة في القفز على الأسوار، ينط كالقطط داخل المنازل المغلقة ولا يترك أي أثر إن له قدرة عجيبة على القفز والتخفي) ص113. ثامنًا: إنه المستوى الذي يمكّنه من جمع تفاصيل أخرى، يكشفها ويكتشفها لربط العلاقات الاجتماعية من جهةٍ، وربط المسكوت عنه الذي تمكّن من الوصول له من جهةٍ ثانية. ولهذا فإن اللغة الإخبارية هي مساوقة المكشوف مع الواقع : (عندما همّ بالخروج من باب المكتبة، لم يكن أبدا ينتظر أن تضع الصدفة في طريقه زميلته «أحلام» التي لم يرها منذ زمان.. ربما مرّ على آخر لقاء جمعهما أكثر من ثلاث سنوات.. عندما جمعهما سفر إلى إحدى دول الخليج.. تسمرت أحلام في مكانها) ص23 إنها رواية الواقع الذي حمل الإخبار عن كلّ شيء، من خلال عين صحافي يريد تحقيق أحلامه، ولذا فإن البناء الواقعي لم يكن كلاسيكيًا، بل بدأه بسؤالٍ عن الفائدة المرجوّة من كلّ هذا الذي عمله البطل، الذي كان هو محور الحكاية وصراعها.

---

* محمود حرشاني كاتب وروائي وصحفي تونسي صدرت له عديد الاعمال في مجال البحث والمقالة الصحفية وكتب الرحلات . اتجه مؤخرا الى كتابة الرواية وصدرت قبل رواية مرايا الروح روايات حدث في تلك الليلة وولد الموجيره وطريق الحرية ومنتج ومغد ومقدم برامج اذاعية وتلفزية ومتوج بعديد الجوائز العربية والتونسية والوسام الوطني للثقافة التونسي الدرجتان الثالثة والثانية.

قراءة في كتاب

«حفيد كورصو» لعبد الوهاب الملوح

قراءة جديدة لشخصية مراد الثالث

صدر مؤخرا للكاتب والشاعر عبد الوهاب الملوح رواية ثالثة بعنوان «حفيد كورصو» عن دار «زينب» للنشر . وهي قراءة أخرى لشخصية مراد الثالث؛ الباي الحادي عشر والأخير للدولة المرادية التي أسسها جاك سانتي أو موراتو كورصو سنة 1628 وزال حكمها سنة 1702 باغتيال آخر أحفاد كورصو؛ هذا الفتى المراهق الذي ولد سنة 1680 وتولي الحكم على أثر تمرد قاده ضد عمه رمضان باي سنة 1699 فحكم تونس لما يقارب الثلاث سنوات إلى أن قتله إبراهيم الشريف أحد آغات جيشه وقد تمت معالجة هذه الشخصية مسرحيا ودراميا عدة مرات في تونس وتأتي هذه الرواية لتقدم قراءة أخرى مختلفة لها .

ولعل من أهم الأسباب للاهتمام بهذه الشخصية هو ما أثارته من جدل حول طبيعتها الإشكالية وما أحاط بها من غموض في ما يتعلق بممارسته للسلطة خاصة وقد علق في ذهن العامة انها شخصية متعطشة للدم متسلطة قاهرة وهو ما جعل المؤرخ ابن أبي الدينار يسميه «بو باله» فذهب هذا النعت كنية له وأصبح يسمى مراد بوباله.

عبد الوهاب الملوح

غير أن هذه الرواية لا تتوقف فقط عند فترة حكم مراد الثالث لتتعقب سيرته منذ ولادته إلى حين اغتياله وهو متوجه لحربه الثانية مع الجزائر. تبدأ الرواية بهروب مراد من سوسة حيث حبسه عمه رمضان باي بعد

أن أمر بسمل عينيه وخلال فترة هروبه يتذكر مراد ما مر به من ويلات مستعيدا نشأته البائسة و سنوات يتمه يتكفل به عمه الأول بعد أن قتل اباه ثم عند عمه الثاني رمضان قبل أن يأمر بحبسه و التنكيل به؛ ويلجأ خلال هروبه لجبل وسلات يطلب المساعدة من قبائل وسلات الذين يهبون لنصرته فيتمكن فعلا من قتل رمضان باي وتتم مبايعته بايا جديدا لتونس وما أن يتولى الحكم يقوم بتصفية أعدائه لكن يعمل أيضا على تركيز سلطته والاستقلال بحكمه عن السلطة المركزية التي كانت بيد العثمانيين في الاستانه كما لم يُفوت الفرصة لإعادة النظر في عقود التجارة مع الفرنسيس والانقليز وفي نفس الوقت يتجه لمحاربة الجزائر في مسعى منه لاستقلال تونس عن أي سلطة خارجية ولئن تطرقت الرواية بشكل سردي لطريقة ممارسة مراد باي للحكم فهي لم تغفل عن تحليل هذه الشخصية من خلال تكوينها النفسي واحتياجاتها العاطفية فهي تستعرض الاضطرابات النفسية الحادة التي كان يعاني منها هذا الفتى المراهق وفي نفس الوقت تسرد علاقته الغرامية مع قريبته فاطمة والتي عاش متألما متفجعا من جراء فقدها وعدم اللقاء بها ومن هنا تنفتح قصة اخرى هي قصة فاطمة معشوقة مراد والتي عانت بدورها التشرد و الهروب من مكان إلى آخر.تتقاطع مصائر الشخصيات :جرَّاب، فاطمة، مراد الثالث؛ وفي هذا التقاطع يهتز وضع البلاد التونسية التي عانت من ويلات الحرب الأهلية بين الأخوة المراديين ليظل مصيرها مفتوحا على المجهول بحسب الاطماع الذاتية لحكامها بما سيفتح الباب عريضا فيما بعد لاستعمار جديد يخلف الاستعمار العثماني.

صورة تتحدّث

الكوشة

الكوش كانت الميسرة متاعهم قبل الاعياد في رمضان وفي العيد الكبير ...في رمضان كي كانت الحرايز تتفنن في تخضير حلو العيد الغريبة درع وحمصية وفاربنة باشكالها الحوتة والعبود والنجمة والهلال والشمس ....وكانت البقلاوة تتحل في صواني من صينية صاع لصاعين لاربعة صيعان والقصان تحبلو يديات متع فنانة مش الي يجي يقص ...تسبق الصينية للكوشة ويخلط بعدها الشحور باش تتشحر وترجع للكوشة ...تشرب شحورها سخونة ....كان اللواح الي يدبر راسو كل مرة يخدم خدمة ...في رمضان تلقاه يوصل ويحيب الاطبقة والصواني للديار والاجرة هات ماكتب الرايس والا الحراق بلوغة الخبازة كان كل طبق يودوه بذواقة ومايجي العيد الا مايروح لدارو بتشكيلة من كل نوع غريبة على بشكوتو على كعك ورقة على صمصة على مقروض مكوش ...والحضبة قدام الكوشة كل واحد خايف على طبق متاعو لا يتصهد ....بالله تفقد اك الطبق يا عم الكواش راك عمناول صهدتو ....وخر لتالي لا تعفس في طبق الناس وانت هز يدك من الطبق لا تتحرق ....كل حكاية وكيفها وكل حكاية والشارم متاعها وجوها ...في العيد الكبير الناس تهز المصلي للكوشة وتحضر الخبز دياري سميد وفاربنة والا خبز الشعير الي هو في الاغلب اختصاص الصفاقسية ....تسكرة فوق الخبزة فيها اسم مولات الخبزة باش ما يتخلطوش...

توة فيتاسات اخرى في وقت السرعة ....شريان الحلو حاضر وحتى الي ما يشريش حاضر عندو كوشة في الدار يصنف وينوع وجوو في دارو

البساطة متع ايام زمان فقدناها وكل شيء كان عندو طعم وبنة وجو متاعو ان شاء الله ما يجيش نهار نوليو نتحصرو على الي عايشينو توة

النص بين النقد وغيابه :
الرداءة تطفو على السطح

اسمهان الماجري

كلما وقع تسميّة مرضا ما نتعرف عليه ككينونة عامة ذلك ما يمكن أن أشبهه بكتابة الشعر ،لكن عندما تكون طبيبا تعالج ذلك المرض ذلك ما أحب أن أنعته بالنقد.

إن المسافة ما بين الكتابة والنقد لخصتها في الجملة السابقة، مريض ما لكن المرض هنا تيمة معنوية ولغوية إيجابية، وطبيب يُعالج ما بجسد النّص من علات وثغرات، فالنّص جسد يقيني كما سماه القدماء، هذا الجسد يجب أن يُوضع على طاولة التشريح النّقدي. ومثلما هنّاك أمراض بسيطة تُصيب الجسد ويمكن أن تُعالج ببعض الأدوية وأخرى قاتلة، نفس الشيء بالنسبة للنّص هناك أمراض صغيرة وضئيلة يمكن أن تُعالج في قسم جراحة النقد ولا يزيدها النقد إلا قيمة وتوهجا وتسليط ضوء على نقاطها الفنية والجمالية وآليات كتابتها فإذا بها نجم حقيقي في سماء الإبداع، وهناك نصوص أخرى وكأنها مُصابة بأمراض قاتلة في مرحلتها الأخيرة ولا يمكن مُعالجتها، بل ينبغي أن تُدفن في مقبرة الذائقة، لعدم امتلاكها الحد الأدنى من جماليات وآليات الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه وإلا الذي تدعي انتمائها إليه في حين تغيب زمرة حبره الأدبية عنها. هذا ما يجعلنّا أمام أسئلة يجب أن تُطرح يوميا منها هل كتابة قصيد أمر سهل؟بل هل قراءة قصيد أمر سهل؟ قراءة القصائد تحتاج خلفية معرفيّة موسوعيّة وكذلك الكتابة تحتاج هذه الخلفية، الشعرُ ليس قصيدة البوح المحترقة كما يُسميها كل مختص في الأدب مع اعتبارها قصيدة ميتة ،فحتى قصيدة العواطف والمشاعر الجيدة كنص لها عوالم من الخلفيات الأدبية والثقافية،القصيد الجيد هو بناء قائم على صنعة ذكية وخيال شاسع ولغة سحرية ومعرفة ولو قليلة بالآليات التنظيرية على الأقل كي تُصبح حقيقة تطبيقية داخل القصيد ،يقول الناقد بسام قطوس في كتابه،تمنع النصّ متعة التّلقي،قراءة ما فوق النّص :»إن الشعر الحقيقي هو الشعر الذّي ما أن نلمسه حتّى يفرّ منّا ويبقى عصيّا على التدجين أو الإمساك، وعبثا نُحاول نصب فخ أو أفخاخ لاصطياد معناه» أي أن الشعر معنى، معنى بري غير مدجن كما يحلو لي نعته يحتاجُ بعض المعرفة والثقافة. لا نستطيع أن نتحدث عن شاعر لا يقرأ، وليس أي قراءة، على الشاعر أن يكون ممتلئا تنظيريا بقواعد النص الذّي يكتبه سواء كان قصيدة عمودية أو قصيدة حرة أو ما تسمى أيضا بقصيدة التفعيلة أو قصيدة نثر ،ومن المؤسف أن أسمع الكثير من الشعراء المبتدئين والذين يصرون رغم ذلك على أنهم ليسوا كذلك يسمون قصيدة النثر بالقصيدة الحُرة دون وعي أن القصيدة الحُرة هي تسمية لقصيدة التفعيلة التي تعود بداية لبدر شاكر السياب حسب مجموعة من النّقاد وإلى أسبقية نازك الملائكة حسب مجموعة أخرى، وليست قصيدة النثر، و إضافة إلى الظهور الغير عادل ما بين نصوص جيدة وأخرى رديئة

يقول منير الإدريسي :

«توجد قصائد جيّدة لكنها كجُزر معزولة في شمال جليدي بارد إذ لا تُوجد حركة نقدية حقيقية بوعي مختلف لتقرأ وتكشف عن هذه الجزر. ولا قدرة لها حتى على الاقتراب، لعجزها الكامل عن إدراك المساحات الجديدة التي تقترحها هذه النصوص،الشّعر اليوم ليس بحاجة إلى نُقاد تخرجوا من درس الأدب فقط، بل بحاجة أكثر إلى من أتوا من تأملات النقد الثقافي وأسئلة الفكر وفلسفة الجمال.»

نعم هذه أكبر مشكلة تُواجه الحركة الشعرية اليوم، نصوص جيدة قد لا تكون موجودة بكثافة بالمُقابل نصوص رديئة تحوم يوميا في الملتقيات والأمسيات ويُقدم الكتاب نفسه عديد المرات أحيانا في نفس المدينة وهذا إن دل على شيء فهو يدل ربما على فقر جماهيري لبعض النصوص التي تُحاول جاهدة أن تطفو على السطح،ومنها الذي لا يكون لها إلا صدى محلي بسيط ولا تتجاوز المدينة أو الولاية الصغيرة ولعل الغاية من ذلك هي غاية إبداعية وهمية تعمل على الظهور المكثف ولو في رقعة جغرافية صغيرة أكثر مما تعمل على الانتشار الجغرافي الموسع والحقيقي للنّص، حيث امتلآت الساحة الشعرية اليوم بأسماء تكاد تكون محلية أكثر منها وطنية.والمشكل الأسوأ وهم لقبُ الشاعر على حساب نص جيد حتى أننا نكاد نقول تكاد بعض الأسماء من أجل أن يسطع نجمها تشتري النص لو استطاعت ذلك ،بل تكاد تدعو نفسها للملتقيات والتظاهرات بغاية الظهور في حين أن الملتقيات الجيدة والتي تحترم الشاعر لا تكون مكتظة غالبا، فالكيف غايتها لا الكم، أصبحنا وسط «بطحاء ثقافية»كما يسميها الشاعر يوسف خديم الله،بطحاء عوض أن يكون الشاعر ضيفها الدسم،صارت بعض الأسماء التي ترغب في صناعة نفسها بأي طريقة تدفع أحيانا معلوم إقامتها وتنقلها لأجل أن تقف أمام مصدح وتنال لقب الشاعر في حين هناك غياب تام لنّص حقيقي.أما عن دور النشر فغالبا ما توافق على نشر النص الرديء دون لجنة قراءة ولو من شخص واحد إذا ما توفر ثمن طباعة الكتاب كاملا، وهو ما يطرح سؤالا خطيرا وموجعا :هل الشعر أصبح توفر ثمن طباعة لا نص حقيقي؟

وهو ما يطرح سؤالا أكثر خطورة :الذين لا يُطالعون كثيرا وخبرتهم في النصوص ضئيلة ومازالوا في بداية قراءاتهم هل سيعتقدون أن ذلك الكتاب الرديء مثلا والذي كان أول ما قرؤوه هو الشعر فعلا؟أكيد نعم لأنه سبق وأن كرهت الشعر تحديدا سنوات الإعدادي لأنه ولسوء حظي وقعت بيدي دواوين شعر رديئة وظننت أنها الشعر فعلا وهي كل الشعر في العالم، فكرهته والتهمت الرواية أكثر إلى أن توسعت معرفتي بعدها وعرفت الشعر الحقيقي بعد أن قرأت الكثير من غيره وظننت أنه كل الشعر.

شذرات أدبية

رسالة الغفران والانقْليز

مالك بن فرحات

عندما تمضي عيناك أشواطا في قراءة رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، ستقعان على قصيدة نظمها المعري في ثنايا القص على لسان شخصية التقى بها ابن القارح ، و هذه الشخصية من الجنّ الذين أسلموا بعد سماع آي القرآن ، و يحكي المعري في هذه القصيدة السينية عن الجني قصة إسلامه بعد سماع الدعوة ممهدا لحدث إسلامه بمقطع يصف فيه حاله و بني جنسه من الجن قبل الإسلام ، و مطلع القصيدة :

مكة أقوَتْ من بني الدردبيس
فما لجِني بها من حسيس
و كُسرت أصنامُها عنوة
فكلّ جبت بنصيل رديس
و قام في الصفوة من هاشم
أزهر لا يُغفِل حقّ الجليسْ
يُسْمِع ما أنزل من ربه ال
قدوس وحيا مثل قرع الطسيس

ويخصص المعري الذي نطق بلسان الجني هذا المطلع لوصف حدث بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ثم يتخلص إلى وصف ما كان عليه الجني و قومه قبل الإسلام و ما صدر عنهم من أعمال ، كإتيانهم النساء في في جنح الليل و هن نائمات في الخدر أو ماشيات بين الجواري و التباسهم بهنّ :

وأسلك الغادة محجوبَةً
في الخدر أو بينَ جوارٍ تَميس
لا أنتهي عن غرضي بالرقى
إذا انتهى الضيغم دونَ الفريس

وكازدرائهم للأديان و تفاخرهم بمحاربة الله جنودا لإبليس:

لا مُجَّسٌ نحْنُ و لا هُوّدٌ
ولا نصارى يبْتغون الكنيس
نحارب الله جنودا لإب
ليس أخي الرأي الغبينْ النجيس

وكل ذلك تمهيد لحديث الجني عن إسلامه و توبته و مجاهدته في سبيل الله بعد كل ما جناه :

ثمّت آمنْتُ و من يرزق ال
إيمان يظفرْ بالخطير النفيسْ
جاهدتُ في بدْر و حاميتُ في
أحد وفي الخندق رعت الرئيس

وأنت تقرأ ذلك كله سيلفت انتباهك بيت في المقطع الذي مهد به الجني لحدث إسلامه و هو الآتي

ونخدع القسيس في فصحه
من بعد ما مُلئ بالأنقليس

وما يجعلك تنتبه إليه الكلمة الأخيرة التي ختم بها البيت « الأنقليس « فيعتريك الفضول لمعرفة معناها كما اعتراني فتسارع إلى البحث عنه في المعاجم لتجد أن الأنقليس نوع من الأسماك النحيفة الطويلة التي يدعوها البعض بثعبان البحر ، فلا تقتنع بأن المقصود بالكلمة (التي أتى بها المعري لموافقة الروي) هو هذا المعنى، فهل يستقيم أن نقول إن عيد الفصح ممتلئ بأسماك تشبه الثعابين؟ و عدم اقتناعك هذا سيقودك كما قادني إلى فرضية أخرى يستقيم بها المعنى مفادها أن الكلمة أعجمية نقلت إلى العربية كما هي مع تعديل صوتي، و هذه الكلمة ليست غريبة عنا ، فأنقليس هي نفسها English التي ننقلها حديثا فنقول انكليز أو انجليز ، و English في اللغة الانجليزية اسم نسبة من England , و بها يستقيم معنى البيت ، فقول المعري إن الفصح ملئ بالإنجليز ليس غريبا لأنّ الانجليز من النصارى ، و لكن السؤال الأساسي الذي يعترينا بذهابنا إلى هذا المعنى هو : ما عَرّف أبا العلاء المعري بالانجليز إن صح معنى الكلمة ؟

قبل أن نجيب عن هذا السؤال ، لا بد أن نشير إلى أن مملكة انجلترا كان لها حضور بارز في العصر الوسيط باعتبارها إحدى أشهر الممالك الأوروبية بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية ، و لا شك أن الانكليز كانوا شهودا على عصر الإسلام الذهبي ، بل يوجد من الأدلة التاريخية ما يثبت وجود علاقات بين الدولة العباسية و مملكة انجلترا، و لعل أبرزها تواصل أوفا ريكس ملك مرسيا الموجودة بانجلترا مع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور و طلب الدعم السياسي و الاقتصادي منه و صكه لعملة تحمل عبارة التوحيد « لا إله الله وحده لا شريك له . محمد رسول الله « ، و لا نستبعد بوجود هذه العلاقات أن زار بعض الانجليز البلاد الإسلامية و استوطنوها إذ كان الروم عامة ينظرون إلى الشرق كما ينظر إلى أرض الأحلام و الثراء . و قد عاش أبو العلاء المعري

في العصر العباسي الثاني بمعرة النعمان التابعة لأعمال حلب ببلاد الشام ، و نحن نعلم أن الشام من أكثر المناطق العربية التي يوجد بها النصارى، و حسبها أنّ فيها الأرض المقدسة التي تضم كنيسة القيامة التي يحجون إليها من كل حدب و صوب ، و من المؤكد أن المعري اتصل بهم نظرا لمعرفته الواسعة بالنصرانية و بغيرها من الديانات و خبر طوائفهم و أجناسهم و الممالك الأروبية التي انحدر منها بعض نصارى الشام و التي من بينها انجلترا التي ستكون ضميمة للممالك المسيحية في حملاتها الصليبية التي ستشنها على المسلمين في وقت لاحق ، خاصة الحملة الصليبية الثالثة التي قادها ملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد لاسترداد القدس من صلاح الدين .

صورة تتحدّث

القسّامه

من العادات الطيبه أيام زمان أيام الخير والبركة والبساطة والنوايا الحسنه والصادقه أو اللحميّه خاصه قبل حلول شهر رمضان المبارك هي: القسّامه أو يسمونها أيضا : الوزيعه أو اللحميّه وهي القيام بذبح الأضحيه وتقسيمها بالتوازي ثم يتم اهدؤها للعائلات الفقيره بالقريه أولا ثم الجيران والبعض منها للأقارب..

وربي يثبت الأجر

عن فاطمة ماطري

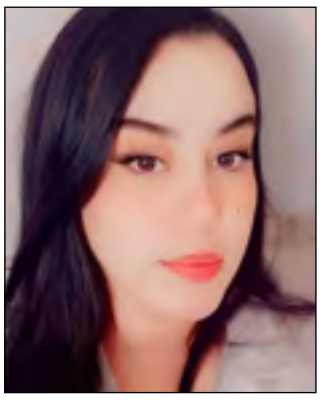

«السيلانية» سردية من سرديات الحداثة

كيف تصير الحداثة سائلة مع أنها تطلب الصلابة؟

سناء عليبات

لم تحمل لحظة تأسيس الحداثة وخروجها من العصور الوسطى معها الالتباس فحسب، بل ظلّت مسكونة به خاصة عند بلوغ أزمتها، فلقد درجت لردح غير يسير من الزمن تصورات تزعم باستقرار الحداثة وعَمَلِ سيرورتها وفق نموذج خطي صاعد يحكمه التقدم والتطور: هذه ‹الرومنطيقيات الحالمة، التي ثوت العقل البشري، لم تتمكّن من إدراك مجرى الأحوال والأشياء على أرض الواقع. ولقد كان ذلك سببا كافيا لشيوع أجواء تشاؤمية خيمت على مفهوم الحداثة، أجواء تتكهّن بـ«موت الإنسان» «ونهاية التاريخ» «وموت الاستطيقا»، «وأفول العقل»، وحتّى بـ«نهاية الفلسفة»، ميتات ونهايات مهّدت لظهور تيارات ما بعد حداثوية تنذر بموت الحداثة نفسها وتجاوزها. ولعلّ هذا ممّا يلزم بالاشتغال على مفهوم ‹الحداثة، نظرا لأنه مفهوم مبهَم حاول الكثيرون الإلمام به من زوايا التقدم، الأنسنة، الدنينة..إلخ، غير أن هذه المقاربات لم تبدد الضبابية التي تكتنفه، فالالتباس سائد في صميم هذا المفهوم. وربّما يعود الإبهام إلى ولادة هذا المفهوم من رحم حالة نفسية مدفوعة بالقلق من هجران الماضي والتوق إلى معانقة المستقبل المجهول.

ما يدفعنا إلى العمل على هذه المسألة هو تحديدا هذا الالتباس الذي ارتبط بمفهوم الحداثة منذ لحظة التأسيس، وهو ما يستدعي تحديد تركيبة الحداثة وآليات اشتغالها وحدودها بعيدا عن التوظيفات ‹الأيديولوجية، التي تختزل الحداثة في السيرورة الزمنية الراهنة. علينا إذن إعادة النظر في مضامين الحداثة وإبراز مفاعيلها ورهاناتها في ظل صيحات تتعالى بأزمتها وفشلها وظهور اتجاهات تزعم مجاوزتها: وهذا ما يتطلب الحيطة في التعامل مع التناول ‹الدغمائي، المتضمّن في فلسفات «ما بعد الحداثة» على اعتبار أنها المرحلة الراهنة حتى داخل الأوساط الفكرية والفلسفية.

1_الحداثة الصلبة

أولا فهم الحداثة الصلبة هو مفهوم يشير إلى مرحلة سيادة العقل على كل شيء، ولقد اختار باومان مجاز الصلابة ليعبر عن سعي إنسان الحداثة الغربية إلى خلق نظام محكم قائم على المكننة». وكان من بين الأيقونات الأساسية لتلك الحداثة المصنع الفوردي. حيث تقوم الحداثة على خطاب ثقافي يقطع خمع كل السلطات التعالوية، بمعنى أن هذا النظام «فك السحر» حسب عبارة ماكس فيبر عن العالم بغية تأسيس عالم مبني على الدنينة، هذا ما جعل هذا النظام يرتبط بالتحديث الذي سيتحول في المرحلة اللاحقة، نعني مرحلة الحداثة السائلة، إلى «هوس»1 ومرض.

على مدار القرون الأربعة الماضية وحتى اليوم درجت تصورات تشي باستقرار الحداثة في شكل تيارات ومنازع منسجمة وموحدة، تقوم في الأساس على مبدأ التطور والتقدم دوما نحو «الأفضل البشري». مع هذه التصورات الدارجة بدت الحداثة على أنها « حالة صلابة « دائمة لا تحيل إلاّ الى نفسها (من حيث تقطع مع كل مرجعية تتعداها ومن حيث ما تنفك تمعن ايضا في الدنينة قاطعة بهذا مع كل أشكال التعالي السماوية كما الدنيوية).

لكن سنرى مع باومان أن هذه التصورات الدارجة للحداثة « المكينة « لم تعد تستجيب تاريخيا لأقل مقومات التشخيص النقدي للأزمنة الحديثة. ذلك أن باومان يطعن بصريح العبارة في خطاطة « الاستقرار الدائم « أو «الوضع المكين « للحداثة، ويبين على مر كتابه الحداثة السائلة أنها خطاطة متهافتة من حيث غفلت عن ارتباط الحداثة جوهريا بمسارات التحديث.

تاريخيا ثمة « مسافة تفصل الظرف الحياتي الحالي عن نقطة انطلاقه «2 ولا يمكن «فهم الجديد» إلا عبر استيعاب تباعده الوليد عن القديم»3 . وعليه لابد من مساءلة « حالة الصلابة « الظاهرة للحداثة من حيث تتضمن في حد ذاتها ما يوصّفه باومان بأنه «مفارقة « تحت راية وشعار الوصول « إلى الصلابة وترسيخها»4 ولقد نشأت عمليات إذابة وتمييع كبرى هي تحديدا ما يسمى بـ «مسارات التحديث». وبمعنى آخر، بقدر ما تترسّخ الروابط والمنظومات المحدثة «ضد الصدأ والتلف والتآكل 5»، وتبدو على أنها روابط ومنظومات مكينة، تتكون عمليات تفكيك وتسييل، لأن تلك الروابط والمنظومات لم تكن صلبة بما فيه الكفاية.» هو ذا ما يشخّصه باومان على أنه «التحديث الوسواسي القهري الإدماني «، نعني مسارات «صاخبة» مهووسة بتسييل الكيانات الثابتة والمستقرة قصد الوصول إلى صلابة أوثق.

ولكي يعالج باومان هذه المفارقة التاريخية، ينطلق من منظور العلوم الإنسانية أساسا ليصل إلى نمذجة نقدية لصورة «السيولة» هي التي ستتيح له إخراج سردية للحداثة تختلف بالجوهر عن تلك التصورات المتهافتة لحداثة «ظافرة « لا تشوبها شائبة.

2_الحداثة السائلة

بالنسبة إلباومان، الموضوعية التاريخية التي هيخدامة على مرّ الحداثة،هي هذا التشابك المتعيّن بين الصلابة والسيولة. هكذا يشخص باومان الطور التاريخي للحداثة: فبدلا من النموذج المتصلب المكين الذي وعدتنا به في بداياتها، تفهمت الحداثةُ جيدا أنه لابد من كثير من السيلانية بحثا عن صلابة أخرى، فكل الصلابات باتت عرضية، وكل الصلابات باتت تؤول الى الزوال، ومن ثمّ صلابةٌ تنسخ صلابة.

التحديث ههنا محايث للحداثة، فهو الذي ميّعها وسيّلها وحلّها، حيث ينفي ويسلب تلك الصلابة المزعومة. هذا التحديث من فرط كونه يتكرر ويتحدد ويتفعّل، صار يمثّله الإدمان «الوسواسيُّ الهوسيُّ»، ولكنه يتوخى قهريا، عنفا ينفرض على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.» يتحول أفق التحديث إلى نشاط صاخب مضطرب مهوَّس ومَهووس بعمليات الإذابة والتمييع، ومن ثم فإن إزالة خط النهاية أو أي خط من خطوطها من أفق التحديث هي ما تميّز الحداثة في مرحلة السيولة عنها في مرحلة الصلابة»6 بمعنى أن هذا الحلّ والتفكيك، يميّعها قسرا، فكل هذه البنى أصبحت مفككة تقوم على تعارض وتنافر جذريّين.

من هذا المنظور، السيولة هي سردية من سرديات الحداثة. فهي طريقة في سرد نشوء الحداثة وأشكال تطوّرها. هذا التطور يحتمل النفي والنسخ والتغيير الداخليّ. وبالتالي، السيولةُ هي سرديةُ صيرورة بعينها للحداثة.

يقدّم باومان مساءلة نقدية لمفهوم الحداثة وفق تحليل نقدي مجازي للحداثة الغربية، ليشخص وضع الأزمنة الحديثة في مرحلة السيولة، حيث يعمل على تتبع مسار الحداثة وانتقالاتها من مرحلة الصلابة إلى مرحلة السيولة. ولابد أن نقف عند مصطلح السيولة الذي اختاره باومان للتعبير عن الحداثة في الأزمنة الجديدة: «ما قررت أن أسميه بوضوح الحداثة السائلة إنما هو الإيمان المتنامي بأن التغيير هو الثبات الوحيد، وأن اللايقين هو اليقين الوحيد؛ إذا كانت الحداثة في المئة عام الماضية، تعني محاولة الوصول إلى «حالة نهائية من الكمال»، أما الآن فإن الحداثة تعني عملية تحسين وتقدّم لا حد لها، من دون وجود «حالة نهائية» في الأفق، ومن دون رغبة في وجود مثل هذه الحالة»7.

لا يرى باومان الحداثة وما بعد الحداثة على أنهما قطاران متمايزان بل يرى فيهما «القطارَ ذاته»، تأتي الحداثة في أوله والحداثة السائلة في آخره، ولا يمكن لأحدهما أن يمر دون الآخر. و«التمارُّ» هنا هو المرور والتجربة، والتجربة هنا ليست العملية التي تحدث في المخبر بل هي التجربة الحياتية التي تعاش ويخاض غمارها، أي التجربة التي لا دليل فيها، التجربة التي فيها مغامرة وبعض هلاك. بهذا المعنى نفهم أنّ هناك انتقالا من ظروف حياتية تبدو مألوفة ومعلومة الى ظروف مجهولة مفزعة ومعاناة شديدة. فلا ضامن في الانتقال من الطور الذي انتقلنا منه الى الطور الذي انتهينا إليه، الانتقال من معلوم كرهناه والدخول الى شيء غير محدد لا نعلمه: هذه هي التجربة.» وهي بذلك تمثل تحديا باعتبارها تجربة غير مألوفة تعود الى العالم الاستعمالي (ZUHANDEN) الذي صدرت عنه وانحرفت، عالما بلغ من الوضوح ما يجعله غير قابل للملاحظة»8

وفي نفس السياق التحليليّ، يستخدم باومان مفهوم «الطريق» بما هو السبيل والثنية، ومفهوم ‹المرور والتمارّ: هذان المفهومان يجتمعان في مفهوم مركزي وهو مفهوم ‹التجربة، بما تحمله من ركوب للمجهول ومن خوض الغمار ومن شدة التجريب وحتّى من إمكان الهلاك والزيغ والانحراف التاريخي، فحين نقارن نقطة الانطلاق هذه مع ما نعيشه اليوم من دينامية وتغييرات تطرأ في كل لحظ عين، يصاب العقل بالدوار.

ذلك أنّ المشهد الرئيس الذي تتسم به الحداثة منذ النشأة، هو التناقض بين ما وعدت به وبين تركيبتها، فالمطبُّ الأول الذي ستجد نفسها به عبارة عن سلسلة من الكوارث وحروب الابادات العرقية: نعني الحربين العالميّتين، معسكرات السجناء السياسيين، الغولاغ، اوشفيتس، تجارب نووية، أبادت مئات الالاف من المهجَّرين والمنفيّين إلخ. في هذا كلّه، الحداثة تعاملت مع الإنسان على أنه مجرد مادة استعمالية تخضع لمنطق الربح والخسارة، كما اعتبرت هذه الكوارث التاريخية مجرد انحراف وزيغ عن الخط التقدمي الذي رسمته الحداثة لنفسها.

خاتمة

لقد وجد باومان في السيولة أرضية لمفهوم الحداثة حيث خلخل هذه الأرضية وسيّلها، واستخلص أنّ الآن لا تُنفى بل تستحدثُ ويُعاد تشكلها.

وعليه، ثمة سرديتان متداخلتان، سردية الحداثة بما هي مكينة لها أسس ثابتة مستقرة، نقطة بداية ميثيولوجية أسطورية، ما فككنا نمجدها؛ وسردية ثانية، بمنتهًى متغير سائل صيّار، وأزمنة حديثة تقوم على التحديث، وحادث هذا التحديث يقوم على إذابة وتمييع مجموعة من الكيانات الثابتة المستقرة.

ليست السيولة والميوعة ضديدا خارجيًّا للصلابة، بل هما مساران فعليّان: انتقال من أفكار صلبة عاجزة عن الفعل إلى نظام وأفكار صلبة يتفق معها العقل، إذن الحداثة مائعة منذ النشأة ومنذ أن حددت أهدافها. والمفارقة هنا تكمن في التسييل وإعادة التصلّب: كل تسييل يستهدف تصلّبا مغايرا، وفي هذا التصلّب نسخ لما بعد الحداثة.

---

1 – هوس: يقال على كل أشكال الإنسلاب العقلي التي تتسم بحالة من الإثارة الشديدة وأفعال نزوية. أندريه لالاند، موسوعةلالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت_– باريس، ص. 764

2 –زيجمونت باومان: الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01.ص 20

3 – المصدر نفسُه، والصفحة نفسُها

4 –المصدر نفسه، ص.21

5 –المصدر نفسه والصفحة نفسها.

6 –المصدرنفسه، ص. 22

7 – المصدر نفسه، ص. 27

8 –المصدرنفسه، ص. 19

شيخ الأدباء محمد العربي الكبادي

(31 ديسمبر 1880 - 7 فيفري 1961)

الحسناوي الزارعي

هذا النص حول الشيخ الكبادي، شيخ أدباء زمانه، كان الباعث على كتابته حِواراتي مع صديقي علي الخضيري، مؤسّس ومنشط مجلس العربي الكبادي الذي أتشرّف بالإنتماء إليه .أمّا ما أرجوه فهو أن يشكّل إضافةً ما إلى الكتابات السابقة في الغرض.

والحقيقة أن الشيخ مُغْرٍ على عدّة أصعدة، جذّابٌ إنسانا وأديباً وشخصية فاعلة باقتدار في الساحة الثقافية التونسية خلال النصف الأول من القرن العشرين، شَغل هذه الساحة راويةً ومجالِسيا من طراز فريد في فترة هامة من تاريخنا، وشاعرا متمكّنا بالفصحى واللهجة الدارجة، إلى جانب بروزه مُدرّسا لامعا وصحفيا قديرا، حتى أنه بات قطبا من أقطاب النهضة التونسية منذ عشرينات القرن الماضي إلى أواخر الخمسينات، مما أهّله سنة 1936 إلى حيازة لقب شيخ الأدباء عن جدارة.

جوانب من حياة الشيخ

يعود لقب الكبادي إلى أصله الأندلسي، فهو ينحدرمن عائلة مورسكية إشبيلية حلّت بتونس سنة 1613م واستقرّت بالحاضرة منذ ذلك التاريخ، فالشيخ إذن هو أندلسي من جهة الأصل، تونسي ولادةً ومنشأً وقرارا.

أما أبوه فهو الشيخ الشادلي الشبلي الكبادي وكان قاضيا ضليعا تُوُفي وعمر الشيخ العربي 34 سنة . وكان سكنُ العائلة بباب منارة بالمدينة العتيقة، وبالتحديد بنهج المر زنقة أم هاني عدد3 .

تزوّج الشيخ العربي الكبادي مرّات ولم ينجب، وآخر زيجاته كانت سنة 1955من السيدة فاطمة الجعايبي التي كانت بارّة به في شيخوخته ومرضه. وقد كان الشيخ خفيف الظل، محبوبا من الجميع، مُقْبلا على الحياة ، دائمَ الانفتاح على الغير، أنيقَ الهندام، ملازما للباسه التونسي التقليدي، الجُبّة ولوازمها مع العمامة والبرنس، متوشّحا بساعته ومَبسم سجائره الذهبيين .

الكبادي الرّاوية والمجالِسي

اشتهر الشيخ بحافظته الجبّارة ومعرفته الشاسعة بالثقافة العربية الإسلامية، وخاصة في مجال الأدب والتاريخ والأخبار والأنساب إذْ كان راويةً من طراز فريد، موسوعة أدبية ناطقة وخزانة متنقّلة، إضافة إلى شُهرته كسِجِلّ حافل للأنساب أعلاما وقبائلَ، ولِعُيون الأخبار وأمهات الكتب، كالأغاني لأبي الفرج والعقد الفريد ونحوهما .

أما الشيخ الكبادي المَجالِسي فكان واسعَ الشهرة في زمانه، وفي هذا الصدد يقول عنه الأديب الأستاذ محمد الحليوي (1907-1978)صديق الشابي :» كان في مجالس الأنس روحَها الخفّاق وزينتها الفاخرة، يُسبغ عليها رونق الأدب ويُكسبها بهجة الظرف والكياسة « . وقد كان مجلس الشيخ ينعقد بمقهى تحت الدربوز الذائع الصيت بباب منارة ،و الكائن حتى اليوم قبالة وزارة الدفاع بالقصبة، وهو أول مقهى ثقافي حديث بتونس ،وقد التأمت مجالسه من سنة 1928 إلى سنة 1938، ومنه انطلقت الكوكبة اللامعة التي ستؤسس سنة 1929 جماعة تحت السور الشهيرة (الدوعاجي، كرباكة، العبيدي ...) بربض باب سويقة، في حركة احتجاجية على ما رأوا فيه خطًّا كلاسيكيا غالبا على مجالس الشيخ الكبادي، علما أن بيرم التونسي (1893-1961) كان من رواد هذه المجالس منذ حلوله بتونس قادما من المنفى الفرنسي سنة 1932 للمرة الثانية، بعد إقامته الأولى القصيرة بتونس بين سنة 1919 و1920، وإن كانت علاقته وثيقة أكثر بجماعة تحت السور لقربه من توجهاتهم فنيا وفكريا.

والملاحظ أن الإقبال على مجالس الشيخ كان كبيرا وخاصة في ثلاثينات القرن العشرين، وهي عشرية مفصلية في تاريخ تونس عرفت البلاد خلالها تحولات جذرية وحركات تجديد تاريخية في كل المجالات . كما كان لهذه المجالس الأثر الكبير في شباب ذلك الزمان ، وخاصة دورها الهام في توطيد مكانة اللغة العربية بحكم اسلوب الشيخ الشيق في استخدامه العربية في جميع الظروف : المجالس، التدريس وحتى الحياة اليومية ... ويؤكّد مواكبو مجالس الشيخ الكبادي بانه لم يكن يتحدّث أبدا على شخصه وإنتاجه الأدبي أو نشاطه الثقافي ، بل كان في حديثه دائمَ التركيز على الأدب والفن عموما تاريخا وأغراضا ومواطن جمال وتفرُّد، مع التعريج باستمرار على فضائل بعض الشيوخ اللامعين بجامع الزيتونة، وخاصة الشيخين المصلحين وعالَمي الدين البارزَين، أستاذه بالزيتونه العلامة الشيخ سالم بوحاجب (1827 1924-) والعالم الأستاذ الشيخ محمود قبادو(-1815 1871) وكلاهما من روّاد الإصلاح الكبار وكانا يتبوّآن عنده أعلى مكانة . دون أن ننسى حضور الشيخ الكبادي المتميّز في عدة مقاه بالمدينة العتيقة، إلى جانب مجلسه القار، على غرار مقهى الهناء بباب الجديد ومقهى العياري بنهج المر...

توفيق بكّار/كبيرنا الذي علّمنا الحرف

مشروع كتابة لرسم ملامح هذا الجبل

فوزي الديماسي

هو خزّاف يداعب الحرف، كما داعب أبو هريرة برودة الرمل ذات فجر في محراب الرقص - رقص الفتاة والفتى عاريين إلّا من عشق الحياة على الكثيب(1)

رجل تعلّق بالكلمات، وتعلّقت الكلمات به، وعاشا معا متلازمين كحالة عشقية سرمديّة، أو كما الحبّ العذريّ المتيّم بالصباح واللقاء تفاعلهما، يتبادلان في فلك القول طقوس الفناء والغناء حبا بحب .

أتته اللغة المغناج طوعا، فركب صهوتها ركوب الفرسان في عمق الفلاة، بحثا عن أعلى درجات الصفاء في رحابها، وما به تكون حياتها -اللغة- حياة على ضفّة الكلم الزّلال.

كان حاله مع النّصوص كحال المجذوبين في حلقات الذكر، أو كحال المسافر في متون الكتب وثمارها، يراقص هذا، ويحاور ذاك محاورة الرفيق لرفيقه في وحشة الطريق .

منهجه حفر في صخور الحرف، وبناء دؤوب لحصون المداد «عبارة فوق عبارة»(2).

هو حالة من الجنون النصّي، فريدة، يتقن فنّ الغناء على الغناء، ولا يحمل بيمينه مشرط النقد، ولا يحدث في الأجساد النصية أوجاعا، وإنّما يحملك معه على جناح المتعة إلى أقاصي مدائن الذوق واللذّة .

هو رأس مدرسة في النقد، لا تشبهها مدرسة، يأخذ من كلّ شيء بطرف، حداثيّ، ملمّ بمدارس الإفرنجة النقديّة، ومدرك لحدّها وحدودها. متأصّل، متجذّر في بيئته، محيط بالدرس النقديّ العربي القديم ومتمثّل له.

إنّه «عبد العزيز العروي النقدي»، يحبّب لك الأدب وأهله، والنقد ورهطه، بأسلوب يراوح مكانه بين الإنفتاح والتأصيل، يلامس تفاصيل النصوص ومفاصلها بلغة قدّت من بهاء الأفق وشفيف الخيال وأريج الكلمات.

إفرنجيّ الهوى في ساحات النقد في غير إسراف، عربيّ العشق في غير تقديس، يخرج عليك من بين أنامل

النصوص لغة متدفّقة، مخاتلة، شموسا، « زعبانة «، شاملة، محيطة بالمسرح وطقوسه، ومدركة لعالم الرواية ونواميسها، وعارفة بأرض الشعر وصلواته وصولاته، واقفة على أرض صلبة من حجر السرد «الصوّان».

لغته مسافرة مع الريح، تداعب هذا المتن، وتزكّي بالنصح والملاحظة ذاك، كما، تتعاطى مع النصوص بحالة عشقيّة عالية الحس الفني، متفرّدة، تأخذ بيدك مترفّقة، وكأنّها تهدهدك، أو تدندن لك أغنية تونسية صميمة «كحلة الأهذاب».

لغة لا عنتريات حداثوية فيها، ولابكاء على الأطلال والدّمن يطوق جيدها. تحمل بين جنبيها الأب بملامحه الأولى، وكذا ترعى نطفة الحداثة وأمشاجها في أرحام النصوص، رعاية اليم لموسى ... وأرجع البصر مرّة أخرى، فلن ترى الإ الحرف سويّ الخلق، لا يشوبه تشويه.

هو رجل :

نواسيّ (أبو نواس) في منادمته للكلمات، إذ يعرف المقامات، ولا يذكر إلا ما يناسبها من المقالات، معريّ المنهاج (أبو العلاء المعري) تقوم معاشرته للمتون على الشكّ والسخرية والبناء والمساءلة والمجادلة بالتي هي أجمل.

كما «بهلوان السيرك» يمشي على حبل النقد، إفرنجيّ الخطوات، عربيّ الوله واثق اللغة، «يمشي ملكا»، لا إفراط في قوله ولا تفريط، إذ جعل من نصّه / نقده في عالم النصوص منهجا وسطا، يبشّر بمدرسة في النقد مبتدعة، عالية في إنشائيتها، واثقة في منهجها، راقية في معاقرتها لفصوص النصوص شاهقة، تطاول السماء علو همة.

فمن النصّ ينطلق، وإليه يعود، كفتى جاهلي سيرته في دنيا المداد، خبر الدنان والندمان، وعاشر دق الطبول، وعرف آهات المعازف، فكان بذلك في كتاباته زير كلمات ومجنون صور، وعاشق استعارات، ومن مريدي الزق والقينة في كون الأدب والأسلوب والصياغات

****

الهوامش :

1 - رواية «حدّث أبوهريرة قال» لمحمود المسعدي

- 2 مقدمة توفيق بكار لرواية «السدّ» لمحمود المسعدي.

شرارة

مُشتقّات المرأة... العقد غير المكتوب

وفاء البوعيسي - كاتبة من ليبيا

نكاد لا نجد كائنًا أكثر صمتًا من المرأة، على الرّغم من الاعتقاد بأنّها أكثر كلامًا من الرجل، ونكاد لا نرى كائنًا حيًّا يتجلّى حضوره في غيابه مثلها. ولقرونٍ عدّة، ولأسبابٍ تاريخيّة، تأخَّرت المرأة عنّ موعدها بالكلامِ عن نفسها. وكان الرجال خلال ذلك، يفكّرون في كيف يجب أن يبدو عليه حضورها. كانوا يتساءلون حول طبيعتها، فهل هي ذاتًا من الذوات العاقلة ولها كيان مستقلّ مثلهم، أم إنّها مجرّد كائنٍ بيولوجيّ غايته الترفيه عنهم وتكثير نَسلهم؟ وحين استقرّ الرأي لديهم على أنّها كائن بيولوجي، استبعدوا منه كلّ ما يُعتقد أنّه يخصّ الرجال، كالعضلات والعقل والقوّة والتعبير، حتّى أنّهم أسرفوا في تعميق ما قرَّروا أنّه جذّاب، للحصول على أنوثة خالصة النقاوة دائمة الجاذبيّة والشباب.

هذه الأفكار الأوّليّة حول المرأة، تحوّلت في ما بعد، إلى عقدٍ اجتماعيٍّ غير مكتوب، تَوَافَق عليه زعماء المجاميع الذكوريّة عبر التاريخ، من رؤساء القبائل، وكَهنة العَابِد، وأرباب المِهن، ومُلّاك الأراض، ومكدّسي الثروات. وقد صَمَدَ هذا العقْد عبر التاريخ، في وجه الحضارة والتقدُّم الذي شهدته الإنسانيّة، لكنّه خَضَعَ لتعديلاتٍ مُتعاقِبة هنا وهناك، وهي تعديلاتٌ سايَرت أذواقَ الرجال، بحسب كلّ ثقافة ومناخاتها، لكنْ من طرفٍ واحدٍ على الدوام، وذلك لتنْقِيَةِ الأنوثة ممّا يُعتقد أنّها شوائب تُشينُها.

في آسيا، وتحديدًا في الصين القديمة، كانت كواحل الفتيات الصغيرات تُشَدّ إلى عمود البيت، لثَني الساقَيْن ومَنْحِ مَشيتهنّ تمايُلاً وغنجاً يفتن الرجال. وفي اليابان، جرى حشر أقدام الطفلات في أحذيةٍ ضيّقة لسنواتٍ متوالية، حتّى تنبعج القدم وتتقلّص، وبذا تحتفظ الأنثى بقياسٍ صغير، مهما تقدَّمت في العمر، هذا لأنّ الثقافة السائدة وقتها، كانت تعتقد أنّ المرأة اليابانيّة ليست بحاجةٍ لأن تمشي مسافاتٍ طويلة بعيدًا من بيتها، وبما يكفل خدمة زوجها وأولادها فقط.

وفي بورما وتايلاند، تُجبر صغار الفتيات على وضع حلقاتٍ نحاسيّة حول رقابهنّ لتستطيل أعناقُهنّ، عبر ضغْط ثقل الحلقات وصلابتها على عظام الترقوة حتّى تغور للأسفل، ويشرئبّ العنق للأعلى. وتظلّ الرقبة مُحاطةً بالحلقات على مدى العمر، لا يُمكن نزْعها حتّى لا تموت صاحبته. وفي العالَم العربي، في موريتانيا بالتحديد، تُجبر النساء على تناوُل كميّاتٍ كبيرة من الطعام المشبّع بالدهون، بغرض تسمينهنّ للعريس قسرًا، دونما اكتراث لعواقب ذلك على صحّة المرأة، جرّاء تراكُم الشحوم وزيادة الكوليسترول.

وفي الثقافة الحسّانيّة في المغرب الأقصى، تتناول الشابّات كميّاتٍ محسوبة من علف الماشية، لتكبير أجزاء معيّنة في أجسادهنّ، ولاسيّما الصدر. وفي السودان، سَرَت ثقافة ضرورة استرداد العذريّة بين النساء عقب كل ولادة تخضع لها المرأة، عن طريق تضييق قناة عنق الرحم، وخياطة مدخل المهبل في شكلٍ مشوَّه ومؤلِم، لعَيش الرجل تفاصيل «ليلة الدخلَة» مرّة أخرى.

أمّا في أوروبا القرون الوسطى، فكانت الفتاة الصغيرة تُجبر على ارتداء مِشدٍّ للخصر ليل نهار، يضغط على أعضاء جسدها من الداخل، حتّى يتراكم بعضه على بعض، ليأخذ قوامُها مع الزمن شكلَ ثمرة الكمثري، ولا يهمّ بعد ذلك مقدار الألم الذي ينجم عن ذلك، ولا عواقب الضغط المتوالي على الأمعاء والقفص الصدري. وهكذا ظل العقد غير المكتوب يرتحل عبر الحدود والثقافات، لإرضاء الرجال وأمزجتهم في الجمال الأنثوي.

ومع التطور الهائل في علم الطبّ ووسائل التغذية وعمليات التجميل، تبدَّلت أذواق الرجال فجأة، ضاقوا ذرعًا بالاختلافات بين النساء، بسبب طبيعة الحضارات التي ينحدرن منها، ففكّروا في إلغاء تلك الفوارق، وتوحيد شكلهنّ بإلغاء هويّاتهنّ الخاصّة، التي تعبّر عن نفسها في حجْم الأنف والشفاه، ونوعيّة الشعر، وحجْم الأرداف. مالوا إلى النحافة، واستحداث مقاييس صارِمة للأنف، وارتفاع محسوب بدقّة للخدَّين، وتحديد الملّيمترات التي تفصل الحواجب عن الجفون، ولو اقتضى الأمر إعدام بصيلات الشعر في الحاجب، واستبداله بـ«تاتو» محدَّد الشكل بدقّة متناهية.

أمّا الشفاه، فكان يجب أن تتدلّى مُنتفخة لتبدو وكأنّها على استعداد لنيل قبلة أو منحها. أمّا الخصر فكان يجب نحْته ليبدو كقيثارة، وأسفله تُضخّم الأرداف على نحوٍ لا يتناسق مع النحافة المقصودة. أمّا البشرة، فيجب أن يُحال بينها وبين تكدُّس التجاعيد وترهّلها ولو انطبقت السماء على الأرض، ما يوجِب شدّها أو حقْنها، في رغبةٍ محمومة للقبض على انتباه الرجال لأطول مدىً مُمكن.

دمية المنيكان

رَغِب رجال هذا القرن من البيض، بامرأة نَضِرة، لا تشيخ، لا تمرض، لا تسمن، ملساء، متورّدة، مضيئة مثل دمية المنيكان في محالّ الألبسة والأزياء التجاريّة، وقد نجحوا في ذلك؛ إذ خَرجتْ الدمية تلك من الفيترينا، وهي تتمشّى الآن في كثيرٍ من شوارع العواصم شرقًا وغربًا، متبرقعة بمساحيق وموادّ جماليّة مُستعارة، كالرموش، والأظافر، وخصلات الشعر الصناعي، و«تاتو» بدل الحاجبَين، وعدساتٍ ملوَّنة، وسيليكون في مناطق الصدر، وعقاقير لتكبير الشفاه وطرْد التجاعيد، ومُستحضرات تسمير البشرة أو تشقيرها. لكن وعلى الرّغم من تورُّد الخدود بصورةٍ شبه دائمة، فقد ظلّت الوجوه شاحبةً هزيلة وكأنّها مُصابة بفقر الدم. ومع ذلك، ما زالت هذه الوجوه تلهث خلف ما تتطلّبه آخر صرعات الموضة ودَورات الاستهلاك المحمومة؛ إذ تقدِّر بعض الإحصاءات الأميركيّة حجْم المبيعات العالَميّة من مستحضرات التجميل بما يفوق الـ 210 مليار دولارٍ سنويّاً في مُختلف بلدان العالَم، والأمور مرشَّحةٌ لمزيد من تضاعُف المبيعات على الرّغم من الأزمات الاقتصاديّة التي تمرّ بها أغلب بلدان المعمورة. وبحسب آخر تقريرٍ دَوليّ لصناعة مُستحضرات التجميل، فإنّ مصانع التجميل في أوروبا والولايات المتّحدة ضاعفت من إنتاجها خلال السنوات الأربع المنصرمة، بما يُجاوز الستّين في المئة من بضاعتها المُهيَّئة للتصريف الفوري وبناء على عطشِ السوق العالميّة إليها.

من جهتها كانت شركة الأبحاث الدولية «يورو مونيتور إنترناشيونال» قد أعدَّت دراسةً خاصّة حول استهلاك العالَم العربي لمُستحضرات التجميل، بيَّنت فيها أنّ سوق مُستحضرات التجميل العربيّة، وانتشار عيادات عمليّات التجميل الخاصّة، قد زاد الاستهلاك فيها بنسبة 400 في المئة خلال الأربع سنوات الفائتَة، ما يعني أنّها السوق الاستهلاكيّة الأولى في العالَم، تليها السوق الأميركيّة، فالروسيّة ثمّ الأوروبيّة.

أمّا سوق مُستحضرات التجميل الصينيّة، فهي تكتفي بإنتاجها الذي لا يقلّ جودة عمّا يُنتجه الغربيّون على هذا الصعيد، ولاسيّما في فرنسا. لكنّ المرأة الصينيّة هي الأقلّ هوسًا من نظيراتها في العالَم على صعيد استخدام مُستحضرات التجميل على أنواعها. ما يعني بالنهاية ومنذ قرون، وبإصرارٍ مقصود، تم اشتقاق امرأة أخرى مُستخرَجة من الأولى، تُشبهها في التركيب البنائيّ، لكنها ليست هي بالتأكيد.

كلّ ذلك يدفعني للقول إنّ الهوس بالمكياج، وعمليّات التنحيف والتجميل المُفرط التي نراها لدى كثيرٍ من النساء اليوم، لم تعُد منذ مدّة طويلة، سلوكًا فرديًّا لبعض المُترفات، بل تحوَّلَ إلى ظاهرةٍ وثيقة الصلة بالمتغيّرات الاجتماعيّة والحياتيّة المصنَّعة، وثقافة الاستهلاك التي رافَقت وتُرافق تنامي توحُّش الرأسماليّة العالَميّة، والتي من مهامها تصنيع الجمال النسوي وتسليعه، وتغيير نسيجه الطبيعي، وإخضاعه لسوق العرض والطلب، وفوق ذلك، إنتاج امرأة ضحلة، نمطيّة، مُستنسَخة، بليدة، منفصلة عن واقعها، بجمال مُفبْرَك، لتوظيفها في الإعلان والماركات المسجَّلة، وحتّى في الزواج السريع، وكلّ ذلك يعتمد على الظفر بامرأة مُغرية، مطواعة، انقيادية، حتّى لو تسطَّحت شخصيّتها وأَهملتْ قضاياها الإنسانيّة الملحّة، فالرجل إذّ ذاك سيعوّض غيابها بمزيدٍ من الأكاذيب حول تحرُّرها.

اللـــــه والآلهة تشتـــــرط عدم الالتفات أو النظر

الناصر التومي - كاتب

تحدث ضمن التعليمات الإلهية التي تصدر للبشر بعض الشروط الغريبة لحكمة تجهلها البشرية، وتبقى دون تفسير، وليس من حق أي كان أن يطلب تبريرا لها، فتبقى لغزا محيرا على مدى الأزمان، لأن العقل البشري يعجز عن بلوغ الحكمة، وتضنّ الأقدار بكشف سرها، ولعل حادثة طلب من آل لوط الخروج من المدينة ليلا دون أن يلتفت منهم أحد هي خير دليل على ذلك، ولا نعرف هل إن الالتفات هو لتجنب رؤية ما سيحصل عندما ستدمر المدينة من قبل رسل الله من الملائكة، أم هو امتحان لهم بخصوص تطبيق الأوامر من عدمه، أم هل هو لأمر آخر، وهل إن عقاب الله لزوجة لوط هو من أجل خيانتها له في العقيدة أم هو من أجل الالتفات وعدم انصياعها للأمر الذي هو نتيجة عدم إخلاصها لنبوة زوجها وعقيدته.

لوط في العهد القديم

فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم، فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض، وقال يا سيدي ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما، ثم تبكران وتذهبان في طريقكما، فقالا لا بل في الساحة نبيت، فألح عليهما جدا، فمالا إليه ودخلا بيته، فصنع لهما ضيافة وخبزا وفطيرا، فأكلا، وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ كل الشعب من أقصاها، فنادوا لوطا وقالوا له أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة، أخرجهما إلينا لنعرفهما، فخرج اليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه، وقال لا تفعلوا شرا يا إخوتي، هو ذا لي بنتان لم تعرفا رجلا أخرجهما أليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم، وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفي، فقالوا ابعد إلى هناك، ثم قالوا جاء هذا الانسان ليتغرب وهو يحكم حكما، الآن نفعل بك شرا أكثر منهما، فألحوا على الرجل لوط جدا وتقدموا ليكسروا الباب، فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب، وأما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير فعجزوا أن يجدوا الباب.

وقال الرجلان للوط من لك أيضا ههنا، أصهارك وبنيك وبناتك وكل من لك في المدينة أخرج من المكان، لأننا مهلكان هذا المكان، إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه، فخرج لوط وكلم أصهاره الآخذين بناته وقال قوموا أخرجوا من هذا المكان، لأن الرب مهلك المدينة، فكان كمازح في أعين أصهاره، ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لآلا تهلك بإثم المدينة، ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة، وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال اهرب لحياتك، «لا تنظر إلى ورائك» ولا تقف في كل الدائرة، اهرب إلى الجبل لئلا تهلك، فقال لهما لوط لا يا سيد، هو ذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك وعظمت لطفك الذي صنعت إلي باستبقاء نفسي، وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل، لعل الشر يدركني فأموت، هو ذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهي صغيرة، أهرب إلى هناك، أليست هي صغيرة فتحيا نفسي، فقال له إني قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضا أن لا أقلب المدينة التي تكلمت عنها، أسرع اهرب إلى هناك، لأني لا أستطيع أن أفعل شيئا حتى تجيء إلى هناك، لذلك دعي اسم المدينة صوغر.

وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا من عند الرب من السماء، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض، ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح. (سفر التكوين / الإصحاح التاسع عشر).

التوراة السامرية:

.. ولما ارتفع الدجى ألح الرسولان على لوط قائلين: قم خذ زوجتك وابنتيك الموجودتين كي لا تهلك بوزر المدينة، فتريث، فشد الرسولان بيده ويد زوجته وبيد ابنتيه لرأفة الله عليه، وأخرجاه وأقراه خارج المدينة، وكان عند إخراجهما إياهم خارجا قال: انج بنفسك لا تتأمل وراءك ولا تقم في كل المرج إلى الجبل انج كي لا تهلك..(سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر)

لوط في القرآن الكريم:

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83)(هود).

حديث لوط(1):

حدث وهب قال (بتصرف): غادرت الملائكة إبراهيم وسارت نحو مدائن ـ لوك ـ فوصلوها قبل المساء، ولما رآهم لوط اغتم عليهم خوفا من شر قومه، وأنكرهم كما أنكرهم ابراهيم، ثم قال لهم من أين أقبلتم قالوا من بعيد وقد حللنا بساحتك فهل لك أن تضيفنا في هذه الليلة قال نعم لكني أخاف عليكم من شر هؤلاء القوم الفاسقين، ولما جن الليل سار بهم إلى أن أدخلهم داره وأغلق الباب وراءه، وقال لامرأته ـ فوات ـ يا هذه إنك قد عصيت الله تعالى أربعين سنة وهؤلاء أضيافي قد ملأوا قلبي رعبا فاكتمي علي أمرهم في هذه الليلة لأغفرلك ما مضى فقالت نعم، وكانت خيانة امرأة لوط تتمثل في أنه إذا نزل به الضيف نهارا تدخّن وإذا نزل به الضيف ليلا أوقدت النار فيعلم القوم أن هناك ضيفا، فلما كانت تلك الليلة خرجت وبيدها مصباح تريد أن تشعله فطافت على عدة من القوم فأخبرتهم بالأضياف وجمالهم، وعلم لوط بذلك فأوثق غلق باب داره، فأقبل الفساق إلى الباب فقرعوه، ثم كسروه ودخلوا وهم يقولون ألم ننهك على الناس، فوقف لوط قائلا» هؤلاء بناتي هن أطهر لكم إن كنتم فاعلين» يعني النكاح» فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد « يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر» قالوا « لقد علمت ما لنال في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد» واقتحموا عليه المكان، لكن لوط اعترضهم وهو يردد لا أسلم إليكم أضيافي إلا أن تذهب روحي، فتقدم رجل منهم ولطم وجهه وجذبه لوط وكاد يطرحه أرضا فاجتمعوا عليه ودفعوه عن الباب، فقال لوط عند ذلك» لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد « وهنا رفع لوط رأسه إلى السماء وقال إلهي خذ بحقي من قومي لعنهم الله، فقال له جبريل» يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك « ثم أمر جبريل جناحه على وجوههم فصارت كالغار وانطمست أعينهم، فقال لوط للملائكة بماذا أرسلتم فأخبروه بغضب الله على مدينة سدوم وتنزيل عقابه عليها، و»إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب « ثم قال جبريل « فاسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم»، ولما رأت امرأة لوط أنه تجهز للخروج، قالت إلى أين فأخبرها بالأمر فقالت ألربك قدرة أن يهلك هذه المدائن ومن فيها، فما استتمت كلامها حتى جاءها حجر من حجارة سجيل فكسر رأسها وقيل إنها بقيت ممسوخة حجرا أربعين سنة ثم خسف بها.

1 – بدء الخلق وقصص الأنبياء للكسائي. حيث لوط عليه السلام صفحات 219إلى 224.

أساطير

أوريفيوس في الأسطورة الإغريقية(2).

يصاب «أورفيوس» بعد موت زوجته «يوريديكي» بحالة من اليأس ويمتنع عن عزف الموسيقى المبهجة، وينزوي بعيدا عن الناس يعزف موسيقى ملؤها الحزن والشجن وطاف يبحث عن حبيبته في كل مكان، حيث كان يسأل أين أرض الموت فدلوه على شاطيء نهر «استيكس» أول الأنهار الذي يفصل بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، وظل هناك ينتظر أن يأتيه « خارون» نوتي بحار الجحيم الذي يأخذ الأرواح في قاربه ليعبر بها الى العالم الآخر، وحينما أتى « خارون « رفض في غضب أن ينقله في قاربه لأنه مازال حيا، لكنه حينما عزف على القيثارة لان « خارون» وأخذه معه في قاربه، وحينما هاجت أمواج أنهار الجحيم جعلها « أورفيوس « تهدأ من وقع موسيقاه حتى أن كلب الجحيم البشع ذا الثلاثة الرؤوس «كوربيروس» كف عن النباح حينما سمع ألحان» أوريفيوس» وهدأ وأخذ يلعق بألسنته الثلاثة قدم « أوريفيوس «ولخوف «هاديس « ملك العالم الآخر من أن يحرك « أوريفيوس» بموسيقاه المشاعر في مملكته قرر أن يعيد له « يوريديكي»، حيث سوف تسير وراءه في قارب وتعبر أنهار الجحيم بشرط أن لا ينظر إليها حتى تخرج تماما من مملكة الموت، و ظل « أورفيوس» صبورا حتى النهر الأخير فظن أنها ضلت طريقها، فالتفت وراءه فوجدها فاتحة ذراعيها نحوه، لكنه أخلّ بشرط « هاديس « وبالتالي حوّل القارب طريقه عائدا مرة أخرى الى عالم الموتى وسمع صوت « يوريديكي « وهي تقول له وداعا بصوت تخنقه الدموع. (انظر المقارنة بين النبي داوود وأبولو وأورفيوس فيما يتعلق بالعزف الساحر.

نقاط التشابه:

نلاحظ من خلال هذه القصة أو الحادثة التشابه التام للحادثة التي وقعت للنبي لوط، والتي جاءت في العهد القديم والقرآن والأحاديث المتداولة في هذه القصة، والتي وقعت للموسيقي الإغريقي « أوريفيوس» و تتمثل الحادثة لدى النبي لوط في مغادرة مدينة سدوم دون أن يلتفت أحد من عائلته. ففي العهد القديم حذر جبريل آل لوط من الالتفات أثناء الابتعاد عن المدينة، فمسخت امرأة لوط عمودا من الملح لأنها لم تلتزم بتحذير جبريل. في القرآن حصل التنبيه دون أن نعرف هل عوقبت امرأة لوط من أجل خيانتها لعقيدة زوجها أم لالتفاتها، أما « أوريفيسوس» فبعد أن أقنع إله عالم الموتى بعودة زوجته إلى الحياة أشار إليه « هاديس « بموافقته على أن تسير زوجه وراءه ولا يلتفت إليها حتى يخرج نهائيا من عالم الموتى. لكنه أي « أوريفيسوس» لم يصبر إلى أن يبلغ عالم الشمس، وشك في أنها ربما تاهت في الطريق، فكان منه الالتفات الذي أدى إلى عودتها إلى عالم الأرواح وإلى الأبد.

نلاحظ أن الأمر في كلا الحدثين جاء بعدم الالتفات من لدن الله بالنسبة إلى آل لوط، وجاء من قبل إله عالم الأرواح» هاديس « بالنسبة إلى « أوريفيسوس»، وأن النتيجة الحاصلة في كلتا القصتين عدم أخذ الإنذار مأخذ الجد من الزوجة بالنسبة للوط وأوريفيوس بالنسبة إلى الأسطورة الإغريقية.

وهذا كاف للاستدلال بأن الإغريق القدامى اقتبسوا حادثة الالتفات من قصص الأنبياء لإثراء أساطيرهم.

2 – أساطير اليونان، فصل أورفيوس ويوريديكا من صفحة 317إلى 322.

زيوس يأمر بعدم الالتفات(انظر فصل الطوفان السابق)(3):

إثر طوفان «زيوس» ونجاة « ديوكاليون» ابن «برومثيوس» وزوجته « بيرا» بواسطة صندوق الذي رسا على جبل « برناس» طلب «زيوس» من « ديوكاليون» أن يتمنى عليه فكانت الإجابة أن تعم»ر الأرض من جديد بالبشر فأشار «زيوس» عليه وزوجته أن يجمعا أحجارا كثيرا ويسيرا بها، ودون أن يلتفتا يرميان الأحجار وراءهما، فاستحالت حجارة «ديكاليون» رجالا، وحجارة «بيرا» نسا ء، فعمرت بالجنس البشري من جديد.

أسطورة رومانية في عدم النظر(4):

«فينوس» غيرة منها « لسايكة « أمرت ابنها « كيوبيد» برميها بسهم لتحبّ أقبح رجل، ولكن « كيوبيد « وقع في غرام « سايكة « وزارها ليلا متنكرا وأمرها ألا تنظر إليه، ولكن حب الإستطلاع أصابها فمزقت الوعد وهجرها « كيوبيد « وطافت « سايكة « في العالم تفتش عنه وكانت « فينوس « تضع العراقيل في طريقها وأخيرا منحها « جوبيتر» رئيس الآلهة الخلود واتّحد المحبان « كيوبد» و»سايكة».

أسطورة بابلية مماثلة(5):

انتصر التنين « اليونكاس» على إله الريح، لكن الآلهة « أناراس « أعدت مصيدة للتنين إذ أقامت حفلا وأعدت برميل خمر وبرميل عصير فاكهة ومشروبات أخرى، وساعدها «هوباسياس» حبيبها، وشرب التنين وأبناءه فلم يتمكنوا من العودة إلى كهفهم، وقام «هوباسياس» بربطهم بحبل قوي وذبحهم إله الريح وقامت الآلهة ببناء بيت خاص ل «هوباسياس» وأمرته ألا ينظر من الشباك لرؤية زوجته وأطفاله ولكنه عصى الأوامر ورأى عائلته الفانية فطلب الرجوع إلى الأرض فقتلته « أناراس» .

أسطورة في عدم النظر بإفريقيا(6):

إله قبيلة « لوكبارا « الإله الأعلى وإله السماء والخير، يسكن»أدروا» على سطح الأرض وخاصة قرب الأنهار وهو غير مرئي بالنسبة إلى الناس العاديين، ويظهر للإنسان المشرف على الموت، وهو أبيض طويل وله نصف جسد وعين وأذن واحدة، وذراع واحدة، وساق واحدة، لذا يقفز، وهويلاحق الإنسان في الليل وإذا لم ينظر إليه الإنسان لا يقتل، ولكن عندما ينظر إليه شخص ما يموت ذلك الشخص.

أسطورة أخرى مماثلة في إفريقيا(7):

تعتقد قبيلة « كاوند» في جنوب إفريقيا بأن الإله الأعلى « ليزا» دعا طائر العسل وأعطاه ثلاثا من القرع، وكان على الطائر أن يأخذها إلى البشر الأوائل ويخبرهم بقص اثنتين منهما، تحتويان على بذور وعلى ألا تفتح الثالثة إلا عند مجيء « ليزا» إلى الأرض لإعطاء التعليمات حول محتوياتها. ولكن الطير لم يقدر على مقاومة حب استطلاعه وفتح القرع وكانت اثنتان منهما تحتويان على البذور أما الثالثة فتحمل المرض والموت والحيوانات المفترسة والزواحف ولم يقدر حتى الإله «ليزا» على إعادتها للقرعة لذا كان على البشر بناء دور لحمايتهم.

3 – أساطير اليونان، فصل ديوكاليون وبيرا (الطوفان) ص 152 و153.
4 – قاموس أساطير العالم ص168.
5 – المصدر نفسه.
6 – المصدر نفسه ص 215.
7 – المصدر نفسه ص225.

أسطورة ـ جزر تونغا الأقيانوسية في عدم فتح الطرد(8):

عندما كبر « سسماتيالا « ابن الشمس سافر إلى « ساموا» وأحب فتاة هناك وطلب من أبويه السماح له بالزواج، فقالت له أمّه أن يصعد تلا ويواجه شمس الشروق لطلب موافقة أبيه فأرسل له أبوه طردين هدية، واحد ليفتحه ويحصل على ثروة و ألا يفتح الثاني، وبعد الزفاف قرر» سسماتيالا» العودة إلى «تونغا» مع زوجته، وفي الطريق أقنعته زوجته بفتح الطرد الآخر وأخرجت منه كمية من المتاع بحيث غرق القارب.

أسطورة يابانية في عدم النظر(9):

تزوج « إيزاناغي» من شقيقته « أيزانامي» ولما توفيت « أيزانامي» وذهبت إلى العالم السفلي، سافر زوجها في إثرها إلى أرض « أيوموتسو كوني» للعودة بها لأن عملية الخلق لم تكمل، فطلبت منه الانتظار لكي تهيء الأمور مع آلهة الموت وحذرته من عدم النظر إليها، لكن انتظاره طال فقام بكسر أحد أسنان مشط رأسه واشعله كشعلة ودخل أرض الظلام لكن ما رآه أفزعه، رأى ديدانا وزوجته « إيزانامي « جثة متفسخة ومن خوفه من هذا المنظر للفناء هرب عائدا ولحقه خنزير فرمى لباس رأسه فتحول اللباس إلى عريشة عنب فجلس الخنزير يأكل العنب ولكن لحق به فرمى مشط رأسه فتحول إلى قصب، وعندما توقف الخنزير ركض « إيزاناغي» وعندما عرفت زوجته بهذه الخدع أرسلت خلفه ثمانية من آلهة الرعد مع محاربين أشداء ووصل « إيزاناغي» إلى حافة الموت والحياة ورمى عليهم ثلاثا من ثمار الخوخ وأخيرا جاءت « إيزانامي» فوجدت زوجها أغلق باب عالم الموتى بحجر لا يقدر على إزاحته ألف رجل، وهددته بأنها ستقتل ألف رجل من مملكته كل يوم، وهددها بأنه سيجعل 1500 امرأة تلد في اليوم.

أسطورة إفريقية في عدم اللمس(10):

ملك أوغندا شبه الأسطوري الخالد زار الإله الأعلى « كاتوندا» لإعطائه تفسيرا لما يقوم به في الأرض، وفي إحدى المرات قال له الإله بأن لا يزوره وأعطاه كيسا وقال له: لا تدع أحدا يمسه، لكن» كنتو» سكر يوما ونسي التعليمات وذهب إلى التل تاركا الحقيبة فغضب الإله وحرمه من الخلود وأرسل إلى أوغندا المرض والموت.

نلاحظ من خلال عديد الأساطير أنّ اللغز يكمن في نهي الله في الرسالات السماوية عن النظر لما أشير إليه، وكذلك فعلت الآلهة في عديد أساطير الشعوب، وأرجح أن حادثة لوط كان تسربت إلى أساطير الشعوب.

8 – المصدر نفسه ص 244.
9 – المصدر نفسه ص 106.
10 – المصدر نفسه ص225.

مسرحية «عجاف» :

أفكار نيّرة وصور موغلة في الرمزية

د. هالة فريوي

مسرحية عجاف « لفرقة اللوغوس الفنية» ، تأسست على يد ثلة من شباب البصرة ببلد العراق إخراج «سجاد الجوذري» ومساعد مخرج «علي الساهر» و الكاتب المرحوم، «سعد هدابي» ، قدم هذا العرض في فعاليات «مهرجان سيكافينيريا الدولي لمسرح الشارع بمدينة الكاف بتونس في دورته الخامسة.» فقد كان عرضا مميزا حيث أحرز على جوائز قيمة : نذكر من ذلك، جائزة أفضل ممثل في المهرجان ،تحصل عليها المبدع المتميز « سلام الفرطوسي»، ودرع التميز كأفضل نص مسرحي، بالإضافة إلى ترشحهم لجائزة أفضل أداء جماعي. فعنوان العرض» عجاف» ، مفردة مكتنزة بالمعاني والدلالات الإيحائية، مصطلح يذكرنا بسورة سيدنا «يوسف»، آية 43 « يأكلهن سبع عجاف « ورؤية الملك التي تنبأ لسنوات عجاف يابسات، بعد رغد العيش ومهد الحياة الربيعية و الخصوبة والنماء...العجاف ترتبط بالقحط واليابسة والجفاف وهي إشارة تنبأ بالكوارث وبزمن خالي من الخير والزرع. بمعنى أن الحياة ستكون على حالة من البؤس والجوع واندثار كل مواطن العيش الكريم. مسرحية «عجاف» تحمل بطياتها أفكار نيرة وصور رائعة موغلة في الرمزية ..ويطرح قضية انثربولوجية عميقة، ارتبطت بهموم ومعاناة الشعوب العربية عامة وشعب العراق خاصة والدعوة إلى رفع الظلم وتحقيق العدالة والنصر بعد أن كبلوا باليأس والقنوط وطمست حرياتهم لعهود...لذلك ورد كل من الزمكان في المطلق لنخرج من بوتقة المكان الواحد، من بلد العراق المتنوع....إلى العالم وتحديدا إلى البلدان العربية باختلافاتها وتنوعها، نحو معاناة الفرد يقول الدكتور «مشهور مصطفى» في مقاله، « المسرح العربي والبحث عن صورة الذات في صورة الأخر» «كل بلد في العالم له مسرحه الذي يؤسس للاختلاف والتمايز. غير أن المسرح هو واحد في كل آن ومكان وما

قطار الحياة مثقلا بالأوجاع يحط الرحال على حافة سنوات «عجاف ...يابسات»

مشكلاته سوى الدليل على سماته المشتركة أيضا» . فينطلق العرض المسرحي بالطرح و التساؤل ويضعنا منذ الوهلة الأولى أمام بوابة عميقة يصعب الخروج منها أو فك طلاسمها إنها وقفة الحيرة على الزمن والعبث بكل شيء أو وقفة على الأطلال يتذكر فيها الممثلين عديد الشخصيات التي مرت من هنا وحكمت البلاد وهي الآن توارت تحت التراب ولكن خلفت قحطا وبؤسا وعبث سوداوي مقيت... معتمدين في ذلك على الإيماءات والإيحاءات الرمزية وهم يشكلون صورة جميلة تذكرنا بالقطار وفي كل محطة يسردون حكاية بل الحكايات تداخلت وتشابكت ...فيستحضروا زمن البطولة والفروسية عبر الجياد والواحة ونخيلها والأوتاد فتقام الخيام ويحضر سوق عكاظ والمناسك والذكر والصلوات وكل الأجواء التي تعود إلى حقبة من حقبات بلد العراق. وبغتة يشتد التوتر ويعلن عن رفض قاطع للجور والظلم ولاسيما القتل الحرام مرددا «كل القرابين...وكل الأوراد والمناسك لا تشفع حين يقتل بريء باسم الله» ثم يخبرنا كل ممثل بما يجول بخاطره مرددين على التوالي في نسيج إيقاعي باهر قائلين وكأنهم في سجن فلم يعد لهم شيئا سوى العود إلى الوراء بالذاكرة وما اكتنزته من أحداث غابرة غارقة في الانتهاكات والظلم. « أسمع أصوات الباعة من الأطفال عند الأسواق.... أسمع صوت شيخ يدعو الناس إلى الجهاد.... أسمع آلات حرب... اسمع فقيرا يدعو خالقه أن يقبض روحه... أسمع استغاثة امرأة تصرخ و اغوثاه...اسمع نملة تخبر صاحبتها الخرساء عن زلزال... اسمع الأكاذيب .. والأباطيل و الدجل ....أسمع أبي من داخل قبره وهو ينوح.... أسمع طفلا يبكي في رحم أمه... أسمع وقع خطى الهاربين من جحيم الأرض....أسمع سياط جلاد يقف عند رأس نبي....» ثم تحضر صورة القائد الملقب بجلالته ويشرعون في تعداد توصياته وأوامره ووعوده الزائفة ورسم أحلام واهية لشعبه منمقة بالأكاذيب خاصة وأن سنوات العجاف حلت معه حتى أضحت شعار دورته :» وقد أكد جلالته على ضرورة إقامة نصب تاريخي له يكتب على واجهته أقدار الخلق ....وبناء الملاجئ تحت الأرض ... وزرع نقاط التفتيش أمام كل بيت .. وأقسم جلالته أنه سيقود ركب الفقراء إلى بر الأمان ..كما أنى جلالته على البطون التي صمدت أمام الجوع ولسنوات عجاف...»

لذلك يدعو العرض إلى ترك التشبث بكل ما من شأنه أن يعيق الإنسان بأن يحيا حياة شريفة. ونبذ كل أشكال الذل والهوان... ففي مقدمة كتاب، «الشيخ والمريد» للإنثروبولوجي المغربي «عبد الله ، بترجمة «عبد المجيد جحفة حمودي»، يقول في هذا الصدد.»وخوف النخب العربية الحاكمة من تجاوز التصور التقليدي تجاه الدولة نظرا لأن هذه الأخيرة تشكل ميدانا لتربية النوع الإنساني وترسيخ ثقافة الحرية والديمقراطية وأصول مجتمع مدني يراقب شطط السلطة والاستبداد». فتتعالى أصوات الممثلين وتتداخل مع الجمهور، مدوية بكون الحياة نعيشها مرة واحدة، وهي لا تتكرر... لذلك على الفرد الواعي بوجوده أن يعيشها بكرامة أو أن يقبل بالموت البطيء أو بالموت الجبان..... ولكن هذا البقاء رهبن الفعل والبحث عن الحياة بما تحمله من دلالات رمزية نبيلة.... والتوق إلى تحقيق فعلا حياة بهية، بعيدة عن كل ما من شأنه أن يحول الأمل والبهجة إلى الإحساس بالسوداوية و الحزن واليأس والظلم والوجع بنفوس منكسرة كبلها الضيق والخذلان وتتالي الخيبات التي شوهت ملامحها القيمية بأدران الحياة ...لكن رغم ذلك بدت الذات الإنسانية مكللة بالأمل في البحث عن الأفضل حتى وان كلفها ذلك وجودها من عدمها....وجود الفرحة ونبض الحياة الوردية، التي تبددت بدول عربية عديدة... لذلك انطلقت شخصية البراح» ، مدويا بطلقات متتالية على « البندير» ليعلن عن كل الأخبار المستجدة هنا وهناك فتارة يعلن عن الأحداث اليومية وتارة يقدم الأخبار بلغة مبهمة لا يفهمها الشعب وهو يتابع كل التفاصيل بشغف. وراوح بين الأحكام والشعارات الواهية....وفجأة تتحول بعض الشخصيات إلى كلاب تنبح وتتمرغ في التراب ...ويتعالى النباح في صفوف المتلقي و يتماهى الممثلين في تفاعل وتبادل جماهيري جميل حتى أن هناك من أشرك كلبه في عملية النباح الذي رافقه صدفة لمشاهدة العرض. هكذا تتحول صورة الإنسان الذي يعتبر أرقى كائن في الوجود إلى كلب طيع وراضخ إلى سيده، كالقطيع المطموس والمغيب فيتدخل أحد المتلقين بوضع «كرسي» وهو رمز الجبروت والغطرسة والسلطة القاهرة، وهو دلالة على السبب الرئيسي والمباشر وراء هذه الأوضاع المزرية، فرجل السلطة لا يتحسس الأرضية والواقع المعيشي لشعبه، بقدر ما ينغمس في كل ما من شأنه أن يجعل منه قائدا مدرعا بالأسلحة والذخيرة والمئونة لزمن الحرب ووضع نصب تماثيل تحمل صورته لتظل راسخة في الأذهان على الدوام. لاسيما وأن كل شيء عابر، وإنما ما يتركه لشعبه من انجازات ورقي يحتسب له ولكن هيهات....قلوبا عاشقة للكراسي ونسيت أو تناست أنها «لو دامت لغيرك ما ألت إليك»

تعد الكراسي والمناصب والجشع والطمع من أسباب كل العلل، لكن الذات الواعية يعتريها الحلم ويعاودها مرارا وتكرارا...في غد أفضل.. ينسيها الماضي المرير...والجلاد الذي أدمى جلدها بلا رحمة... والحاضر المقيت الذي عبث بالذات كما يعبث فصل الخريف بأوراق الشجر ولكن بضياء صباحه الممزوج ببصيص من النور... عله يعيد الأمل والفرحة مجددا لتملئ القلوب المتعطشة لمعنى الوجود...حياة مرسومة كالطفل الوديع....بل كسرب الحمام الذي يعلن مجددا عن موطن السلام والاستقرار والطمأنينة.... أربعة ممثلين يرتدون ملابس

حركة العصي ترقص في شجن وتشارك الشعوب المنكوبة علتها

متناغمة تمازجت بين الأسود والأبيض، تعكس صورة جميلة في إنتقاء الأزياء....بين الصورة القاتمة والسوداوية يدخلون في لعبة طرح التساؤلات المميتة عن أسئلة ظلت عالقة وعقيمة...تعكس أغوار الذات البشرية.... أفعمتها حركة العصي رونقا وجمالا.....مسألة البحث عن الحياة الكريمة، كحق طبيعي وتجاوز المكبلات ...بين القنوط والثورة ورفض الاستسلام للسلطة الهادمة للذات ...ولكن هيهات هيهات فقد ظلت الشعوب العربية حاملة لوهم الأمل... ولوهم الفرحة العارمة ...بعد أن كبلت أحلام الأنام وحولتها إلى سراب..ويواصل الممثلين تعداد الأحلام والآمال والانجازات التي ظلت معلقة « و أعدكم باني سأزرع الأرض ورودا .. أعدكم بأني سأستورد لكم الغذاء والدواء والأحلام .. والضحك وكل أنواع الفرح ... وسأرقص كمهرج في الساحات حتى تسعدون أعدكم بأني سأفتح أمامكم القصور والأطيان والمخادع والإنفاق السرية والغرف الوردية ... والخزائن . الجميع : يكذب . ..أعدكم أني سأحول الصحارى القاحلة إلى مدن وناطحات سحاب وسأغزو بكم الفضاء . أفديكم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة .. وسأتخلى عن الجواري وألبس ما تلبسون من أسمال ..واقف معكم في طابور التسول عند إشارات المرور .. وسأشحذ لكم الكرامة ..والعفة ...و الإيثار ..» لكن تتعالى الأصوات بنفس الترديد على إيقاع حاسم يحمل الرفض القطعي بمزيد ترك المجال لأي حاكم بأن يستغفلهم لأنهم ارتووا من حوض الأكاذيب والأمنيات الزائفة وسئموا الأكاذيب «واحد «كاذب... كاذب». فكل ما يرفعه الحاكم من حقوق ووعود تظل على الشفاه عالقة بل تتحول بعد اعتلاء الكرسي إلى كلمات نمق بها خطابه الأجوف ثم يكشر أنيابه ويصبح الحق حلما منشودا ويخلف جراحا وأمواتا ثم يخيم الصمت الرهيب على الجميع وفجأة يعاد الترديد من قبل كافة المتلقين بعد أن انصهروا مع الممثلين»كاذب ...كاذب.... كاذب...»

تمطني الشخصيات الحالمة مركب الأحلام الجميلة لكن شبح الخوف يظل يلاحقهم و يطوقهم فهو ظلمة رهيبة وهم يركبون قارب الموت فيحاولون كسره فيسكنهم كوليد بأحشاء أمه. ويكسرهم مجددا ليشحنهم بالحيرة والقلق الرهيب من الغد بعد سنوات عجاف من الانتظار المقيت هي محطات الفشل وزفرات من الوجع بالصبر بين اليأس والألم والتهميش. فتطرح قضية الهجرة غير الشرعية واستتبعتها الوخيمة التي عبرت عنها تعبيرات الممثلين الجسمانية ولصورة السلطة والحكم الجائر والخضوع والخنوع.. ونستشف من خلال حوار الشخصيات أنه لم يعد للإنسان قيمة فقد استباحت حقوقه الشخصية وحرياته وكرامته لذلك غدا كل شيء مباح أو بالأحرى تجارة تباع وتشترى بأبخس الأثمان :» الهجرة مجانية والنفاق مجاني : كل شيء مجاني ... الضحك ... والبكاء. الألم مجاني ..والغربة مجانية...التملق ...والكذب ..والرياء : كل شيء متاح ومباح على الأرصفة .. الضياع ... والعمر المسفوح على الإسفلت . كل شيء معروض عند أرصفة السوق... الكرامة... وماء الوجه. الأحلام ... والخطى ... وأغاني الأمهات . قوافي الشعر .:الأعضاء البشرية ... وأصناف الدم الجميع «

هكذا امتطت الأرواح الحالمة قارب الموت نحو الأمل والحلم نحو حياة بديعة رسمتها مخيلتهم تاركين ورائهم شبح الخوف ومصيبة حقيقتنا العظمى «الموت». ولكن شغف القلوب في التغيير لم بثنيها عن مواصلة الرحلة، الرحلة نحو المجهول.. ولم تصغي الآذان إلى العواصف والرياح العاتية ولا إلى صفارة الإنذار بالموت.... كيف لم تأبه إلى الخطر ...تحت الرعود والمطر..... والذات جبلت على الاستمرارية والإصرار على مجابهة كل المعوقات والحواجز.....بل إلى موت حقيقي، بعد أن جرف البحر الجثث على ضفافه بدون رحمة ولا شفقة، كاسرا أنيابه الحادة. يقول عالم النفس والفيلسوف الإنساني «إريك فروم « هناك أشياءَ كثيرة أكرهُها في المجتمع المُعاصِر، وأولاً أودُّ أن أعبِّر عن كرهي لحقيقةِ أنّ كلّ شيء وكلّ شخصٍ تقريباً للبيعِ. ...عندما يكون الإنسان للبيعِ، كيف نثق أنّه سيكون غداً هو نفسه الذي نعرِفهُ اليوم؟ كيفَ أعرف من هو؟ أو لِمن سأمنّحُ ثقتي؟ كيف أثِقُ أنّه لن يقتلني أو يسلبني؟»

مركب الأحلام الوردية تحول شغف الشباب الحالم إلى أوهام

الموت يخمد صوت الحق بين هجر الأوطان والعودة في أكفان

كابدت الشخصيات منذ البداية مشقة الرحلة وحملت نفسها أعباء وأخطاء غيرها ولكنها حاولت بشتى السبل الخروج من عنق الزجاجة وهي تضع كل اللوم على نفسها رغم أنها غير مذنبة في شيء أو ربما في صمتها المرتهن ببقائها كما هو حال المأساوي عند «إبسن «لا يقترن بحادثة أو نكبة تقع خارج إرادة الشخصية، ولكن يتولد عن حالة داخلية وعن تطور نفسي ذاتي. على خلاف «أوديب» لسوفوكليس» الذي يظل جاهلا بذنبه إلى آخر لحظات المسرحية، فإن الشخصية «الإبسينية» تعاني منذ البداية من إحساس داخلي بذنب ربما لم تقترفه.» وكل ما يكبل الذات الحرة التواقة إلى الجمال والخير...والتي تعزز مكانتها وتسمو بها إلى المرتبة الإنسانية.»ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن»..... انطفأت كل الشموع المنيرة بالحماس والإرادة للأبد، و تحولت في لمح البصر شعلة أربعة شبان تتقد حياة وأمل رغم ثقلها بالهموم والأشجان...تحمل شعار الحلم في غد أفضل، تحثه بأجداف المركبة التي تحملهم نحو المجهول...نحو السراب والعدم.....لنبصرهم جثثا ملقاة على ضفاف البحر ليس لهم من أنيس سوى خيوط الماء والأمواج التي تكسوهم حينا وتعريهم أحيانا....ذلك حال شعوب العرب كافة و الإنسانية جمعاء... تتخبط بين الحلم والوهم وبين الحقيقة والزيف ....وبين الفعل والركود وبين الأمل والسراب....الأحوال المتردية والوضعيات المعيشية المزرية و البائسة. وهو ما يذكرني بقول حليم بركات، في « الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، « يعيش الشعب كابوساً لا حلماً... إنه محاصر. ودائرة الحصار تضيق باستمرار، فيضطر بفعل اليأس إلى الانشغال بتدبير شؤونه الخاصّة، وتحسين أوضاعه المعيشية الماديّة على حساب كرامته وإنسانيته وطاقاته الإبداعية...

في ظل مثل هذه الأوضاع، قد تشكل الهجرة أفضل الحلول الممكنة، وهذا ما نلحظه عند الكثير من المواطنين في البلدان العربية، وبخاصة من قبل الشبان والشابات». والحال أن الحياة لحظة عابرة... وفيها نحن غابرون مثقلون ،مكبلون ،مشتتون، مكسورون وكاسرون لبعضنا البعض ومبددين لأحلامنا البعض... لينتهي كل شيء في اللامعنى...نحو الاضمحلال ...نحو النهاية المحتومة والحقيقة الكبرى التي جعلت من الإنسان كائن واعي بفنائه... يقول سيغموند فريد»الأشياء الجميلة أحيانا تجعلنا نشعر بالقليل من الحزن وذلك لأن ما يشيرون إليه هو (الإستثناء)، رؤية شيء أكبر .. رؤية لما وراء الأبواب المغلقة، حفرة لنسقط فيها، ولكن بشكل مؤقت.. وأعتقد بنهاية المطاف، أنها مأساة... هذا هو السبب أنه أحيانا أشعر بالحنين على شيء لم أفقده بعد، لأنني أرى زواله! وكيف يواجه المرء هذا ؟». فينبري الممثل ويتحدث: اسمعوني جيدا أيها ... سأبحر بكم أيها الفارون من جحيم أيامكم ...هكذا عراة كما ولدتكم أمهاتكم .. القوا كل شيء في البحر قبل أن نواجه العواصف ..فالقارب لا يحتمل هذه الأوزان (ثم يقوم الجميع بنزع « القينا كل شيء في البحر ...مواعيد الحبيبة ... ودفتر الذكريات وبراءة الأيام ... وصوركم ..والبحر لا يشبع .: القينا مفاتيح البيوت التي تبكي غربتنا .. ومفاتيح علاقتنا بكم .. والبحر لا يقنع .:القينا ضوء العيون .. ونبض القلب... والأوردة ...والبحر يصرخ بشراهة هل من مزيد....» .

الخوف مأدبة الجبناء... هيا... أبكوا... توسلوا ... استغيثوا حتى لا تنهشكم العواصف الجميع : اللهم يا يا رب الرياح... ويا فالق الإصباح . اجلدوا أنفسكم حتى يستجيب الرب... أنزعوا الجلود ..أدموا الوجوه... اقلعوا العيون... وستحدث المعجزة... الرب يعشق القرابين والهبات .. لاشيء بلا ثمن ..»

ثم يبدأ الجميع بجلد أنفسهم على إيقاع منغم وتتحول الأوتاد إلى سياط وتشتد العاصفة ويسقط الجميع أرضا جثثا هامدة تعصف بها الرياح العاتية ...

إن الذات العربية والشعوب بعامة تريد الموت بفخر وعزة لا في هوان وخذلان ....هكذا رحلوا الشباب وتركوا صوتا مكتوما ...وكلمة في الحلق عالقة لم تخرج بعد.. فالإرادة هي قوة الإنسان المبدع في تصوير ونقل الواقع ومشاكله، لكي يكون ما يصبو إليه. ..ويقول جان بول سارتر» الإرادة هي القرار الواعي الذي يلزم الإنسان بتحمل المسؤولية، فالإنسان مسئول عن أفعاله وتلك الأفعال هي ما ستخلق ماهيته و ستكون مصيره»

عرض عجاف خرج من دائرة النمطية الجوفاء وتجاوز كل الحدود الرتيبة نحو فلسفة وجودية عميقة بعمق الإنسان وولج بنا في أعماق وخفايا الذات البشرية في علاقتها بالسلطة وغطرستها وقمعها وشروخا اعتلت النفس ولكن كابدت كل المصاعب بالتوق إلى معانقة الأفضل فركبت أحلاما جميلة لتحلق بكل توهج بعيدا خارج الأوطان بعد أن استوفت كل الحلول للعيش الكريم وظلت الشخصيات تردد وتسرد حكايات سكبت عليها الكثير من الآلام وبقدر هذا الشعور الأليم تزودت بطاقة رهيبة تجدد الهمم بالآمال والنوق إلى تحقيقها وظلت متأرجحة بين الخوف والأمل وبين الحزن والفرح. فهل سيتحقق الحلم بالتجاوز في البحث عن حياة كريمة خارج الأوطان بحثا عن حياة مستقرة بحقيبة من الذكريات المروعة ولكن حب الوطن كان يواري مرارة الهجرة أملا منشودا في رغد من العيش ولكن تظل الحياة بكدرها وثقلها وأمالها المشرقة أينما كنا حربا يقول «فرانز كافكا» في تعريفه للحياةُ «حربٌ .. حربٌ مع نفسك ، حربٌ مع ظروفك حربٌ مع الحمقىٰ اللذين خلقوا تلك الظروف» ....وأنفاس أخمدت وهي تصارع قدرها في حلبة الوغى الذي جثا عليهم جميعا، وأوصد كل الأبواب وأغلق القفل بلا رجعة..... مرده عجاف الضمير وعجاف الحياة...عجاف الأيام والسنين.. عجاف القلوب السوداء والنفوس المريضة ....وعجاف الآمال والأحلام التي طمست وتوارت .....وعجاف الأبصار والبصيرة..»أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وآذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.»سورة الحج الآية 46. وعجاف الفهم وكبت الحقائق وإخفاء مفتاح الخير ولو بالقليل من كثيره....كما وشحت المؤثرات الموسيقية ، كل اللوحات التعبيرية عن الشجن و السوداوية القاتمة....عن تاريخ مرير، يتكرر ويتلون ...عن صورة الطفل السوري الذي رمت به مياه البحر ميتا بعد أن امتطى قارب الفرحة والأمل كما أن الموت هنا غدا صورة بشعة انه موت يجعل الموتى تتقبل عزاءها بنفسها ثم تلفظ أنفاسها في القفار تلك هي أقصى درجات القسوة على الذات وأحلامها تتحول إلى سراب فتتوارى كل الشخصيات جثثا هامدة تلفحها الرياح والأعاصير بصورة رمزية موغلة في العمق وهي أشد لحظات النكبة إنها المأساة المفعمة بالسوداوية..

«حرية الغد» وثائقي استقصائي يحمل تباشير النبوءة

عدنان حسين أحمد (ناقد سينمائي عراقي مقيم في لندن)

قليلة هي الأفلام المُحايدة التي تقف في منتصف المسافة بين الأطراف المتنازعة ولا تنحاز لطرف دون آخر. وفيلم "حرية الغد" الذي أنجزتهُ المُخرجتان الاستقصائيتان البريطانيتان صوفي وجورجيا سكوت هو من هذا النمط الذي يقف على الحياد ويحاول جهد الأمكان أن ينقل الحقيقة كما هي على أرض الواقع ولا يسمح للمشاعر والأحاسيس الداخلية أن تميل لهذا الطرف أو ذاك وإن كانت هذه المحاولة عسيرة وصعبة التحقيق في كثير من الأحيان. يمكن القول بأنّ هذا الفيلم الوثائقي "استفزازي وعميق ومُبتكَر" لكنه ينبع من الواقع ويظل لصيقًا به ومُستنطقًا إيّاه على مدى 97 دقيقة مليئة بالشدّ والترقّب والانتظار. يتمحور فيلم "حرية الغد" على ثيمات مختلفة من بينها السياسة، والسجن، والحرية، وحقوق الإنسان، وما يتعلق بمعاناة الأُسَر الفلسطينية التي أُختطف أبناؤها في وضح النهار. كما يتحرّك الفيلم في الإطارين الذاتي والموضوعي فهو يروي قصة مروان البرغوثي، الزعيم السياسي الفلسطيني المسجون مدى الحياة، لكنّ عزيمته لم تفتر وإرادته لم تنكسر على الرغم من مضي أكثر من عشرين عامًا وهو يقبع خلف قضبان سجن هداريم، سيء الصيت والسمعة، وعدد آخر من السجون الإسرائيلية التي لا تتطابق مع اشتراطات ومعايير السجون الدولية. ومن معطيات نجاح هذا الفيلم أنّ المُخرجتين استطاعتا على مدى خمس سنوات من التصوير والمتابعة الدقيقة لأبرز الأحداث التي عاشها مروان البرغوثي وعائلته الكبيرة وتمكنهما من إجراء مقابلات مهمة اشتملت على 18 شخصية سياسية وإعلامية بينهم جيمي كارتر، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية، ويوسي بيلين، وزير العدل الإسرائيلي، وحنان عشراوي، المتحدثة باسم السلطة الفلسطينية وعدد من الصحفيين الإسرائيليين والأجانب إضافة إلى محاميه إلياس صبّاغ وهناك مقتبسات من أحاديث مسجّلة للزعيم الراحل نيلسون مانديلا تتمحور على القضية الفلسطينية وشعبها المناضل الذي لا يرضى بأقل من

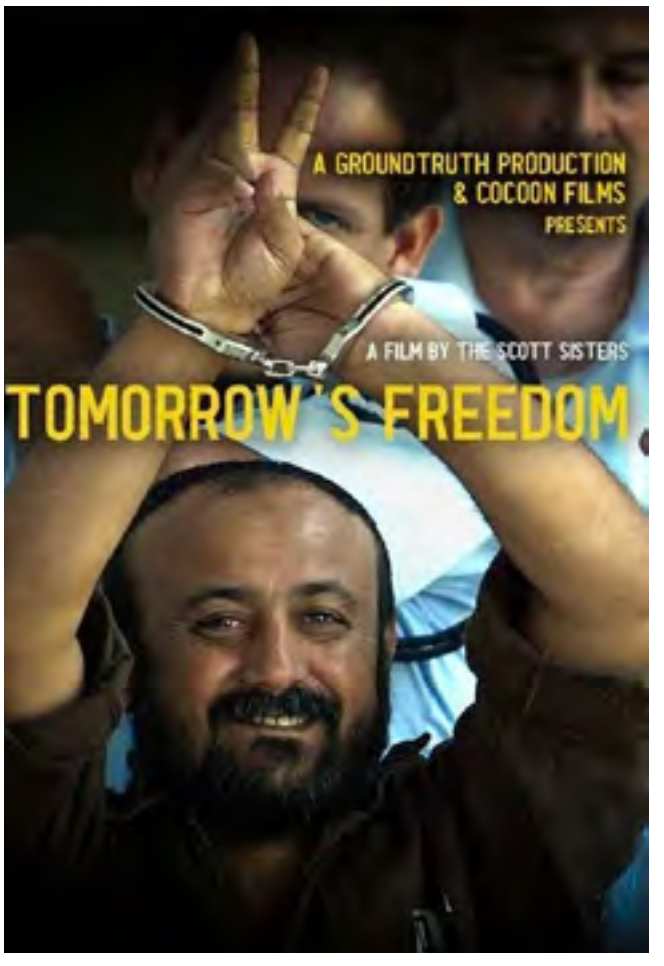

تحرير الأراضي الفلسطينية وطرد المستوطنين الأجانب الذين استباحوا كل شيء في الوطن السليب. الفيلم مطعّم بمقطع من قصيدة "على هذه الأرض" للشاعر الراحل محمود درويش، ومقطع آخر لقصيدة "يا ظلام السجن" التي كتبها الشاعر والصحفي السوري نجيب الريّس ولحّنها محمد عبدالوهاب وغنّتها فيروز. فالفيلم يتنقّل بسلاسة بين الذات والموضوع ولكن تظل قصة سجن مروان البرغوثي هي العمود الفقري وفيه ما يشبه النبوءة بأن هذا الزعيم المرشح للانتخابات الرئاسية القادمة قد يفوز مع أنه يرزح في السجون الإسرائيلية منذ عام 2002 وحتى الوقت الراهن.

تحاول المُخرجتان أن ترويا من خلال الرؤوس المتكلمة قصة مروان البرغوثي وسيرته الحياتية والسياسية، وإن شئتم الفكرية، بالمعنى الأوسع. لم يكن مروان هو الكائن السيري لوحده، فقد تبنّى الأهل والأصدقاء وحتى بعض الساسة والصحفيين هذه المهمة وأخذوا يسردون شذرات من حياته التي توزعت هنا وهناك؛ بين فلسطين والأردن وبعض الدول العربية والأوروبية التي زارها قبل أن يدخل في سجنه المؤبد، فقد وُلد في 6 جويلية 1959 في قرية "كوبر" التابعة لمحافظة "رام الله والبيرة". ومن الذكريات المؤلمة التي علقت في ذاكرته في تلك المضارب الريفية وهو في سن الثانية عشرة أنّ جنود الاحتلال أطلقوا النار على كلبه الذي يحبّه كثيرًا، وأردوه قتيلاً في الحال، وذاكرة الطفولة قوية ولا يتسرّب من منخلها حدث مفجع ترك في روحه جُرحًا غائرًا ربما لم يندمل حتى الآن. تحظى عائلة مروان البرغوثي وزوجته فدوى وأبنائه الأربعة؛ قسّام ورُبى وشرف وعرب بمساحة جيدة تتيح لهم التعبير عن آرائهم الشخصية بمروان ومحبتهم الكبيرة لهذا الكائن اللطيف والدمث الأخلاق الذي أصبح أيقونة محلية وعربية في النضال والإصرار والعزيمة بغية تحرير الوطن المحتل من دنس الأعداء الطامعين بإسرائيل الكبرى الممتدة من النيل إلى الفرات بحسب أدبياتهم السياسية واللاهوتية. كان مروان منذ صباه ويفاعته شخصية ناشطة في الوسط الطلابي وبحسب ابنه الأوسط "أشرف" أنه استمد قصصه القديمة من هذه القرية التي أحبّها وكان يتمنى أن يعود إليها ذات يوم. أمّا زوجته فدوى أو "حارسة أحلامه" فتقول إنها تزوجت من مروان في بيت من بيوت قرية كوبر الذي لم يتواجد فيه كثيرًا فهو إمّا أن يكون مُعتقلاً أو مطلوبًا الأمر الذي يضطره لأن يكون بعيدًا عن البيت وفضائه الحميمي.

قيادة متفردة

تعرّض مروان لمحاولتيّ اغتيال لأن إسرائيل تحمّله مسؤولية الانتفاضة الفلسطينية الثانية

2000 – 2005 خاصة بعد أن أصبح رمزًا للقيادة الفلسطينية. فـحنان عشراوي ترى فيه قائدًا من نوع خاص، وبعد سنتين من السجن الانفرادي يُحاكم مروان في محكمة إسرائيلية مدنية وتوجّه له 26 تهمة قتل، ومحاولة قتل أخرى، كما أُتهم بإعطاء الأوامر لتنفيذ عمليات انتحارية ضدّ المدنيين داخل إسرائيل خلال الانتفاضة الثانية. أدانت محكمة مدنية إسرائيلية البرغوثي بخمس تُهم قتل ومحاولة قتل واحدة وصلت عقوبتها إلى 45 سنة. وبسبب قضائه مدة طويلة جاوزت العشرين عامًا فإنّ أولاده الأربعة تخرجوا من الجامعة، وتزوجوا، وأنجبوا أطفالاً بينما كان والدهم يقبع في السجن الأمر الذي شكّل ضغطًا جديدًا على الأولاد. وعلى الرغم من أنّ أفراد العائلة برمتها قد بذلوا جهودًا كبيرة لمناصرة مروان إلاّ أنّ مؤازرة زوجته فدوى كان لها وقع خاص حيث تنقّلت بين العديد من البلدان وأقامت الكثير من الندوات الفكرية بوصفها محامية وعضوة في المجلس الثوري الفلسطيني ونظّمت حملة شعبية بعد اختطاف زوجها المناضل مروان البرغوثي وأطلقتها من زنزانة الزعيم نيلسون مانديلا التي قبِل المسؤولون عنها لأول مرة بأن يضعوا في الزنزانة صورة المناضل مروان البرغوثي. لا يمكننا الإحاطة بهذا العدد الكبير من الشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية والعالمية لكننا سنركز على أفراد عائلته وبعض الشخصيات الأخرى ذات العلاقة المباشرة بثيمة الفيلم. لعل من أصعب المواقف على مروان البرغوثي أن يرى ابنه قسّام في نفس السجن الذي يقبع فيه. ففي عام 2008 أوقفت القوات الإسرائيلية ابنه الأكبر قسّام بينما كان عائدًا من جامعة القاهرة، وبعد أن تنقّل والده إلى أكثر من سجن وجد قسّام نفسه أمام والده ولم يستطع النظر إليه مباشرة لأنه يعرف أنّ والده كان يحبس دموعه وهو يرى فلذة كبده يقبع في هذا السجن الإسرائيلي المرعب. يتحدث قسّام عن أبيه ويقول بأنه كان يتحرك طوال الليل في 9 أمتار مربعة لساعات طوالاً وسوف يستمر على هذا المنوال لمدة 17 سنة. وبعد أن أمضى قسّام 4 سنوات في السجن بدون إدانة أُخلي سبيله وكانت تلك هي المرة الوحيدة التي يلتقي بها مع والده بعد قرابة عقدين من الزمان. وفي السياق ذاته فإنّ ولديه شرف وعرب قد حصلا على الرخصة من الصليب الأحمر لزيارة والدهما في سجن هداريم، خاصة وأن عرب قد جاء من أمريكا التي كان يدرس فيها ويعمل مع مجموعة من الناشطين الأمريكيين المناصرين للقضية الفلسطينية. وقد شعرا بالسعادة حينما شاهدا والدهما يتمتع بصحة جيدة. كما أن رُبى قد زارت والدها في السجن لكنهم منعوها من إصطحاب ابنتها إلى داخل السجن وسمحوا لها بأن تُدخِل صورتها فقط. وعلى الرغم من المعاناة المضنية التي سببها مروان البرغوثي لعائلته فقد وعد زوجته فدوى إذا ما تحررت فلسطين بأنه سيعيش مع أسرته حياة عادية وما تزال فدوى تنتظر تحقيق هذا الوعد الذي مضى عليه أكثر من 32 سنة.

ينبوع من الأفكار المتدفقة

لابد من الإشارة إلى المقابلة الوحيدة التي نجحت في تحقيقها الإعلامية ليندسي هيلسوم مع البرغوثي ونقلت عنه لازمة يكرّرها مروان غير مرة بأنّ الإسرائيليين نجحوا في اعتقال جسده ولكنهم لم يفلحوا في سجن روحه وعقله وتفكيره، ولم يستطيعوا أن يحطِّموا إرادته في السعي لتحقيق الحرية والاستقلال. كما أخبرها بأنه يقضي ساعات الليل والنهار بقراءة الكتب العربية والإنكليزية والعبرية التي تعلّمها خلال تواجده في السجون الإسرائيلية. لم يكن مروان مقاتلاً فقط وإنما كان يطمح لأن يكون قائدًا ناضجًا ينقذ شعبه وبلده من ربقة الاحتلال الإسرائيلي البغيض. هناك العديد من الثيمات المهمة في هذا الفيلم من بينها ثيمة "الإضراب عن الطعام" حيث كتب في واحدة رسائله لابنه الأكبر قسّام بأنه ينوي الإضراب عن الطعام لينهي الحالة المزرية التي يتعرض لها السجناء في المعتقلات الإسرائيلية. وحينما يشرع في الإضراب ويمضي فيه لمدة 43 يومًا يفقد قرابة 15 كغم.

يؤكد قدّورة فارس، رئيس رابطة السجناء الفلسطينيين بأنّ هناك 7 آلاف أسير بينهم 320 طفلاً يعانون من الأوضاع السيئة داخل السجون الإسرائيلية، وأنّ 95%، بحسب أحصائيات الرابطة، من المُعتقلين يتعرضون للتعذيب بمن فيهم الأطفال. كثيرة هي الآراء الإيجابية للمحامي إلياس في موكله مروان ويكاد يعرف الكثير من هواجسه وخلجاته ولكنه يرى أنّ أهم ما في البرغوثي هي غزارة أفكاره التي تشبه ينبوع ماء لا يتوقف عن التدفق والجريان.

لا تقتصر المعاناة على السجناء فقط وإنما على أهاليهم أيضًا، وقد كانت فدوى تغادر من الساعة الخامسة صباحًا في أثناء الزيارة ولا تعود حتى الثامنة مساء بعد أن تمرّ في العديد من نقاط التفتيش التي تستفز الزائرين وتهرس أعصابهم لكي يستطيعوا في خاتمة المطاف أن يلتقوا بالسجناء لمدة 45 دقيقة لا غير عبر حاجز زجاجي، وأحيانًا لا يستطيعون أن يسمعوا الصوت لأنّ الهاتف عاطل أو معطّل عن قصد.

تركز المخرجتان على إضراب البرغوثي عن الطعام منذ يومه الأول حتى اليوم الثالث والأربعين وخلال هذه المدة الزمنية الطويلة قياسًا للمُضرب عن الطعام تروى أشياء كثيرة عن البرغوثي من بينها أنه رُشح مرتين لنيل جائزة نوبل للسلام، وأنّ أودولفو بيريز، وهو الحاصل على جائزة نوبل للسلام سنة 1980، يعتبره رمزًا للمقاومة، وأنه تعرّض للسجن، والتعذيب، والتهجير القسري، وقاتل من أجل الشعب الفلسطيني ووحدته وحريته، وهذا سبب كافٍ لترشيحه لجائزة نوبل للسلام. فيما يرى بعض المسؤولين الإسرائيليين أنه "قاتل ومنافق كذّب على العالم حينما كتب في النيويورك تايمز بأنه تعرّض للمعاملة السيئة في السجون الإسرائيلية التي لا تخالف القوانين والاشتراطات الدولية وقد قام مروان بهذا التصريح لكي يحصل على مكاسب سياسية ويحل محل أبو مازن".

تختم المخرجتان الفيلم بالجملة المهمة التي تفوّه بها البرغوثي وقال: "لقد نجح الإسرائيليون في اعتقال جسدي ولم يفلحوا في اعتقال عقلي وروحي".

76 فيلمًا في الدورة الثامنة لمهرجان أسوان لأفلام المرأة والسينما التونسية ضيفة شرف

وناس بن يوسف

أعلنت إدارة مهرجان أسوان الدولي لأفلام المرأة عن قائمة الأفلام التي تعرض خلال دورته الثامنة التي تقام في الفترة من 20 إلى 25 أفريل 2024، بمشاركة 76 فيلماً ضمن مختلف برامج المهرجان.

وقالت صفاء مراد مدير المكتب الفني للمهرجان: استقبلنا العديد من الأفلام المميزة بمجرد الإعلان عن فتح باب تقديم الأفلام للمشاركة في دورة هذا العام، حيث تقدم للمشاركة ما يقرب من 300 فيلم طويل و500 فيلم قصير تتسم بتنوع كبير في نوعية الأفلام، ووفقا للائحة لابد أن يكون موضوع الفيلم يتعلق بقضايا تخص المرأة أو من إبداعها على مستوى الإخراج أو الكتابة.

الأفلام الطويلة

يشارك بمسابقة الأفلام الطويلة 10 أفلام، حيث تبدأ العروض في حفل الافتتاح بفيلم «بنات ألفة» الفائز بجائزة سيزار لأفضل فيلم وثائقي، وجائزة جوثام لأفضل فيلم وثائقي والمرشح لأوسكار 2024، وهو سيناريو وإخراج كوثر بن هنية وإنتاج مشترك بين 4 دول هي فرنسا وتونس وألمانيا والسعودية وبطولة النجمة هند صبري.

كما ينافس كذلك علي جوائز المسابقة الفيلم الوثائقي المصري «رسائل الشيخ دراز» في عرضه العالمي الأول، وهو سيناريو وإخراج ماجي مرجان، وفي الفيلم تكتشف نهى الخولي الرسائل والمذكرات والصور التي تركها جدها الأكبر العلاّمة الأزهري الشيخ محمد عبد الله دراز بعد وفاته بعقود من خلال أرشيفه ومتعلقاته الشخصية.

وضمن عروض مسابقة الأفلام الطويلة يشارك أيضا فيلم «بعد الأمطار الغزيرة» سيناريو وإخراج داميان هاوزر، وهو إنتاج مشترك بين كينيا وسويسرا، وفيلم «ألمانيا» في عرضه الأفريقي الأول، سيناريو وإخراج ماريا ثانيتي، وهو إنتاج مشترك بين الأرجنتين وإسبانيا، والفيلم الهندي «أحلام أندرو» في عرضه الأفريقي الأول من إخراج مينا لونجچام، والفيلم الألماني «أرتور وديانا» في عرضه الأفريقي الأول إخراج وسيناريو سارة سوما.

كما يشارك بالمسابقة أيضاً فيلم «كواليس» في عرضه الأفريقي الأول، وهو إخراج عفاف

بن محمود وخليل بنكيران، وهو إنتاج مشترك بين المغرب وتونس وبلجيكا وفرنسا وقطر والنرويج، وفيلم «خطوط النمر» في عرضه الأفريقي الأول، والفيلم حائز على الجائزة الكبرى في أسبوع النقاد بمهرجان كان السينمائي العام الماضي، وهو سيناريو وإخراج أماندا نيل يو، وإنتاج مشترك بين 8 دول هي ماليزيا وتايوان وسنغافورة وفرنسا وألمانيا وهولندا وإندونيسيا وقطر، وفيلم «الجنة تحترق» إخراج ميكا جوستافسون، في عرضه الأفريقي الأول والذي حصد جائزة أفضل إخراج للمبدعين تحت الأربعين في مسابقة آفاق بمهرجان فينيسيا السينمائي، وهو إنتاج مشترك بين 4 دول هي السويد والدنمارك وفنلندا وإيطاليا، ومن النمسا في عرضه الأفريقي الأول يشارك فيلم «وودلاند» إخراج إليزابيث شارانج.

الفيلم القصير

فيما تشهد مسابقة الفيلم القصير مشاركة 20 فيلماً وينافس على جوائزها الفيلم الفرنسي «600 جرام» في عرضه الأفريقي الأول سيناريو وإخراج ناتالي ليفي لانج، والفيلم التونسي «أبيي» سيناريو وإخراج منى بن حامد، وفيلم «تحت أقدام أم» سيناريو وإخراج إلياس سهيل، وهو إنتاج مشترك بين المملكة المتحدة والمغرب.

ومن مصر يعرض فيلمي «شي جابي» في عرضه العالمي الأول سيناريو وإخراج إسلام كمال، وفيلم «بيني وبينك» في عرضه العالمي الأول إخراج عمرو السيوفي، كما يعرض أيضا الفيلم الإسباني «كولورادو» في عرضه الأفريقي الأول إخراج ساندرا جايجو وبيلار جوميث، وفيلم «مبعوثة السماء» سيناريو وإخراج أمينة ماماني عبدولاي، وهو إنتاج مشترك بين النيجر وبوركينا فاسو ورواندا، وتشارك إيطاليا في المسابقة بفيلم «راحة أبدية» في عرضه الأفريقي الأول سيناريو وإخراج جوزيبي سانجيورجي.

كما تشارك إسبانيا بفيلم «ما دمت تحبني، ارحل» في عرضه الأفريقي الأول إخراج صوفيا مونيوث، والفيلم الميكسيكي «حب جليدي» في عرضه الأفريقي الأول إخراج كاتي أريثا، ومن كوسوفو يعرض فيلم «مثل صفرة المرض» في عرضه الأفريقي الأول إخراج نوريكا سيفا، وتشارك المملكة العربية السعودية بفيلم «أنا وعيدروس» في عرضه الأفريقي الأول، وهو سيناريو وإخراج سارة بالغنيم، ومن بولندا يشارك فيلم «صيف متأخر» في عرضه الدولي الأول سيناريو وإخراج ماريا فيدر.

ويعرض من أذربيجان فيلم «حُطام» في عرضه الدولي الأول سيناريو وإخراج سعاد جارا، كما يشارك أيضاً بالمسابقة فيلم «جلد بُني» في عرضه الأفريقي الأول سيناريو وإخراج أندريا نيرمالا ويدجاجانتو، وتشارك إيطاليا بفيلم «لون البشرة» في عرضه الأفريقي الأول إخراج

ألبرتو ماركيوري، وفيلم «بتتذكري» سيناريو وإخراج داليا نمليش، وهو إنتاج فرنسي مصري لبناني، ومن اليابان يعرض فيلم «زومبي قريبًا جدًا» في عرضه الأفريقي الأول إخراج يوكي سايتو، وتنافس فرنسا بفيلم «سوزان» في عرضه الدولي الأول سيناريو وإخراج إميلي دي مونسابير، ويعرض من الولايات المتحدة الأمريكية فيلم «خذيني إلى البيت» في عرضه الأفريقي الأول سيناريو وإخراج ليز سارجنت.

الفيلم المصري

ينظم المهرجان مسابقة للفيلم المصري ويتنافس فيها 4 أفلام، حيث يعرض بها فيلم «رحلة 404» إخراج هاني خليفة، سيناريو محمد رجاء وبطولة منى زكي، محمد فراج، محمد ممدوح، شيرين رضا، كما ينافس علي جوائز المسابقة فيلم «ليلة العيد» إخراج سامح عبد العزيز، سيناريو أحمد عبد الله، وبطولة يسرا، يسرا اللوزي، ريهام عبد الغفور.

ويتنافس بالمسابقة أيضا فيلم «رسائل الشيخ دراز» إخراج ماجي مرجان، و«مقسوم» إخراج كوثر يونس، سيناريو هيثم دبور، وبطولة ليلى علوي، شيرين رضا.

أفلام ذات أثر

يقيم المهرجان مسابقة بعنوان «أفلام ذات أثر» بالتعاون مع وزارة التضامن الاجتماعي يتنافس على جوائزها 10 أفلام، هي: «نور عيني» إخراج مهند دياب، وهو إنتاج مشترك بين مصر وهولندا، «تعليم الكبار» إخراج محمد هشام، «فصلة» إخراج أمير هاني، «نهار داخلي» إخراج رفيق جوزيف، «قلتلك» إخراج ملك الصياد وهو إنتاج مصري أمريكي ألماني، «مجرد رقم» إخراج هاني يسى، «زوجتي الحبيبة جيهان» إخراج محمد فتحي، «نوارة» إخراج راندا ضياء، «ضحكة سعاد» إخراج ميرنا حسام، «امرأة المباراة» إخراج زياد عز العرب.

أفلام الورش

يتضمن برنامج الورش التي يقيمها المهرجان 11 فيلماً ما بين روائي ووثائقي من إبداع فتيات أسوان وشبابها، وهي: «زهرة الجوري» تأليف

وإخراج أسماء إسماعيل، «نور العزلة» تأليف وإخراج مريم عبدالغفار، «العجلة» تأليف وإخراج صفاء متولي، «ثقب في غلاف الأمان» تأليف زمزم محمد، إخراج مروى نصر، «سيرة الدروب» إخراج عمرو مصطفى، «بعث» تأليف وإخراج محمد ربيع، «بنات مارس» تأليف وإخراج منال أبو المكارم، «الغناية» إخراج رندا ضياء، «تعيش انت» تأليف وإخراج محمود حمدي، «لا» تأليف وإخراج سعيد عبدالوهاب، «قطيع » تأليف وإخراج أحمد الأنصاري.

البرنامج التونسي

في إطار اختيار تونس ضيفة شرف المهرجان، ينظم المهرجان قسما خاصا للأفلام التونسية القصيلاة يضم 5 أفلام، وهي «شيطانة» إخراج آمال قلاتي، و«نضال قيقة»، و«إخوان» إخراج مريم جبور، و«رنيم» إخراج ريم نخلي، و«مش معروف» إخراج هبة الذوادي.

البرنامج الفلسطيني

يحتفي المهرجان هذا العام بالسينما الفلسطينية حيث يعرض 6 أفلام فلسطينية تعبر عن واقع المرأة الفلسطينية وهي«أنا من فلسطين» إخراج إيمان ظواهري، و«لو أخذوه» إخراج ليالي كيلاني، و«مستقبل مقطوع» إخراج علياء أرصغلي، و«سَرد» إخراج زينة رمضان، و«خيوط من حرير» إخراج الشهيدة ولاء سعادة، و«محاولة للنجاة» إخراج بشار

البلبيسي.

البرنامج السوداني

ينظم المهرجان هذا العام أيضا برنامج خاص للسينما السودانية يضم 5 أفلام قصيرة هي، «حكاية مآب» إخراج صلاح برق، و«طوبة لهن» إخراج رزان محمد، و«كالوس برؤوت» إخراج هاجر حسن، و«نساء الحرب» إخراج القدال حسن، «وسينامون داليا» إخراج خيري سمير.

برنامج سينما الأطفال

يواصل المهرجان تنظيم برنامج سينما الأطفال بالتعاون مع المجلس القومي للمرأة، ويضم 6 أفلام للأطفال.

يذكر أن مهرجان أسوان الدولي لأفلام المرأة يكرم في دورته الثامنة، النجمة غادة عادل والنجمة الفنلندية ألما بويستي، والمخرجة هالة خليل، والدكتورة مني الصبان ويعقد دورته المقبلة برعاية وزارة الثقافة والمجلس القومي للمرأة ومحافظة أسوان ووزارة السياحة، وشركة مصر للطيران، وبشراكة وزارة التضامن الاجتماعي والاتحاد الأوروبي وهيئة دروسوس ومؤسسة آكت ورد ستار ونقابة السينمائيين والمركز القومي للسينما.

عودة قوية لأهم المخرجين العالميين لـ «كان» هذا العام

وناس بن يوسف

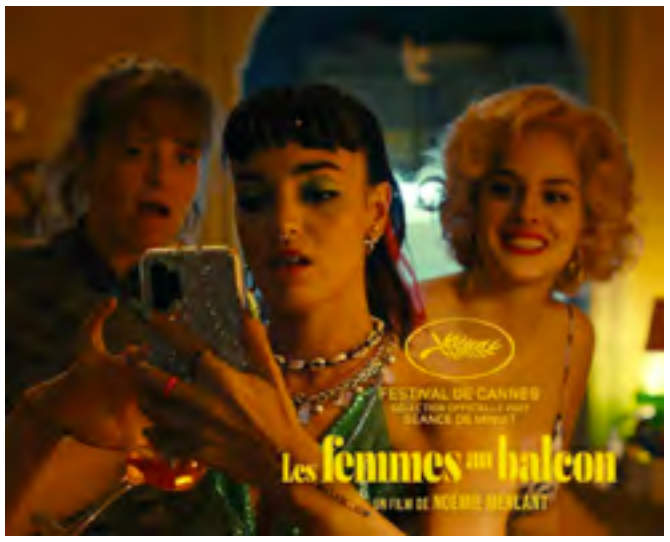

تجمع الدورة السابعة والسبعون لمهرجان كان السينمائي (14_25 ماي 2024) العديد من صانعي الأفلام البارزين، بما في ذلك فرانسيس فورد كوبولا مع فيلم Megalopolis بطولة آدم درايفر، وجورج ميلر مع فيلم Furiosa بطولة أنيا تايلور جوي. بالإضافة إلى جورج لوكاس الذي سيتم تكريمه بالسعفة الذهبية الفخرية. وسيكون كيفن كوستنر أيضًا حاضرًا في الجزء الأول من ملحمته الغربية «Horizon, an American Saga».

وتشمل بعض الأفلام رفيعة المستوى التي تم إعدادها لمسابقة هذا العام فيلم «Kinds of Kindness» للمخرج يورجوس لانثيموس، وهي قصة من ثلاثة أجزاء تجري أحداثها في الوقت الحاضر والتي تجمع من جديد مخرج فيلم «Poor Things» مع إيما ستون ووليم دافو.

وفيلم «أوه كندا» للمخرج بول شريدر مع ريتشارد جير، استنادًا إلى سيناريو للراحل راسل بانكس؛ والميلودراما الموسيقية لجاك أوديار "إميليا بيريز" بطولة زوي سالدانا وسيلينا غوميز؛ «بارثينوب» لباولو سورينتينو مع غاري أولدمان؛ وفيلم The Shrouds للمخرج ديفيد كرونبرغ وبطولة فنسنت كاسيل وديان كروجر. وهناك أيضًا فيلم The Substance للمخرجة كورالي فارجيت، وهو فيلم رعب نسائي من بطولة ديمي مور ومارغريت كوالي.

وتشمل الأفلام العالمية المقرر مشاركتها في مسابقة كان فيلم «موتيل ديستينو» للمخرج كريم عينوز؛ جيا تشانغ كي «عالقة في المد والجزر»؛ «الفتاة ذات الإبرة» لماغنوس فون هورن و«ليمونوف: الأغنية» لكيريل سيريبرينيكوف.

وفي العام الماضي، سجل المهرجان رقما قياسيا من حيث التمثيل النسائي، حيث تمت دعوة سبع مخرجات للمشاركة في المسابقة الرسمية. وفي نهاية المطاف، مُنحت جائزة السعفة الذهبية لجوستين تريت عن فيلم "تشريح السقوط"، وهي المرة الثالثة فقط التي تفوز فيها امرأة بأعلى تكريم في المهرجان.

هذا العام، بلغ عدد النساء المتنافسات أربع فقط، من إنجلترا، تعود المخرجة أندريا أرنولد إلى المنافسة مع فيلم «Bird»، وهو صورة جريئة محمولة باليد لفتاة من الضواحي تحاول الهروب من مصيرها. وتظهر الفرنسية كورالي فارجيت لأول مرة مع فيلم The Substance، وهو فيلم دموي من بطولة مارغريت كوالي وديمي مور. وتقدم أجاث ريدنجر من جنوب فرنسا، أول فيلم لها بعنوان «Wild Diamond»، وهو قصة معاصرة عن بلوغ سن الرشد عن فتاة صغيرة تزدهر من خلال شخصية افتراضية على وسائل التواصل الاجتماعي.

وسيكشف المخرج الهندي بايال كابادیا النقاب عن الفيلم الروائي «كل ما نتخيله كالضوء» بعد ثلاث سنوات من فوزه بجائزة الفيلم الوثائقي في المهرجان.

وقد يكون حضور هوليوود أخف بسبب مجموعة من العوامل – بما في ذلك إضرابات الممثلين والكتاب العام الماضي، والتي أدت إلى تأخير الإنتاج، فضلاً عن الظروف الاقتصادية الصعبة – لكن مهرجان هذا العام لن يشهد نقصًا في السحر والنجوم على السجادة الحمراء.

وأكد المندوب العام للمهرجان تييري فريمو في حديث لمجلة فراييتي الأميركية أن "الإجماع الذي لمسناه في التعليقات الواردة لنا يثبت أن 2023 كان عاماً عظيماً للغاية".

وانتهي التشويق يوم الخميس الفارط خلال مؤتمر صحافي في باريس عقده الرجل القوي في أكبر حدث سينمائي عالمي.

وقد جرى بالفعل الإعلان عن أعمال من الوزن الثقيل هذا العام. ومن بين هؤلاء، كيفن كوستنر الذي يعود إلى عالم الويسترن مع فيلم "هورايزن، أن أميريكن ساغا" المشارك في المهرجان هذا العام من خارج المنافسة.

ومن خارج المنافسة أيضاً، فيلم "فوريوسا"، الجزء الجديد من سلسلة أفلام "ماد ماكس" للمخرج جورج ميلر، سيحظى بشرف السجادة الحمراء مع نجميه أنيا تايلور جوي وكريس هيمسوورث.

وسيتسلم جورج لوكاس (79 عاماً) مخرج أفلام سلسلة "ستار وورز"، سعفة ذهبية فخرية خلال حفل الختام.

وفي حفلة الافتتاح، خارج المنافسة أيضاً، يُعرض فيلم لكانتان دوبيو، المتخصص في القصص العبثية، بعنوان "لو دوزيام أكت"، مع ليا سيدو.

وستتولى كامي كوتان تقديم حفلي الافتتاح والختام. وقد اكتشف الجمهور الممثلة عبر مسلسل "كال ماي إيجنت" الذي فتح لها أبواب هوليوود.

وستحصل المخرجة البريطانية أندريا أرنولد (مخرجة "Red"، "American Honey"، "Fish Tank"، "Road"، الحائزة كلها جائزة لجنة التحكيم في مهرجان كان)، على جائزة أسبوعَي صانعي الأفلام، التي تكافئ "الجرأة" و"الصلابة في الإخراج والإنتاج".

يقول تييري فريمو في مجلة فارايتي "لقد بنى فرانسيس فورد كوبولا أسطورة (مهرجان) كان، وسيكون من دواعي الشرف أن نرحّب به مرة أخرى".

ويشكل مهرجان كان ملعب هذا العلم من أعلام السينما، البالغ 85 عاما، والذي فاز بالسعفة الذهبية عن "ذي كونفرسيشن" عام 1974، و"أبوكاليبس ناو" سنة 1979.

ولا يمكن الحديث عن الأفلام الأميركية من دون التطرق إلى تأثير الإضرابات في هوليوود. ويؤكد تييري فريمو أن "العديد من الإنتاجات التي كانت مقررة لعام 2024 ستُطرح سنة 2025، لكن "الولايات المتحدة ستظل حاضرة بقوة" هذا العام.

كذلك، ثمة توقعات بمشاركة فيلم "ذي شراودز" لديفيد كرونبرغ في المسابقة. ويؤدي بطولة العمل ديان كروغر وفنسان كاسيل.

كما لا يغيب عن التكهنات المخرج الروسي المنفي كيريل سيريبرينيكوف، مع عملين له مقتبسين من الروايات الفرنسية، "ليمونوف" لإيمانويل كاريير و"اختفاء جوزيف منجيل" لأوليفييه غيز، عن طبيب مسؤول عن عمليات تعذيب في معسكر أوشفيتز.

ويُتوقع أن يثير الاقتباس الجديد لفيلم "إيمانويل" الشهير، بتوقيع أودري ديوان مع نويمي ميرلان، ضجة كبيرة، في خضم موجة "مي تو" في السينما الفرنسية.

كما أن اختيار فيلم "إميليا بيريز" الذي يمزج بين أفلام الإثارة والأعمال الموسيقية ويتناول تهريب المخدرات في المكسيك، من إخراج جاك أوديار (الحائز السعفة الذهبية 2015)، مع سيلينا غوميز وزوي سالدانيا، سيكون له وقع خاص.

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

"عائشة " لمهدي برصاوي مرشح لعروض عالمية هامة

الفيلم التونسي "عائشة" للمخرج مهدي برصاوي هو ثاني عمل له بعد فيلم "بيك نعيش" الذي شارك في تظاهرة "آفاق" بمهرجان فينيسيا عام 2019. أما الفيلم الجديد فيدور حول امرأة تسعى لاكتساب هوية جديدة لها بعد أن تظاهرت بأنها قتلت في حادث طريق.

ويذكر ان مهدي برصاوي من مواليد عام 1984 في تونس العاصمة، وتخرج في المونتاج السينمائي من المعهد العالي لفنون الوسائط المتعددة في تونس. ثم غادر إلى إيطاليا لإكمال تدريبه وتخرج من (DAMS) في بولونيا.

أخرج ثلاثة أفلام قصيرة تمّ اختيارها في عدة مهرجانات دولية، وحازت على عدة جوائز. في عام 2019 ، ظهر لأول مرة في الإخراج من خلال فيلمه الطويل الأول بيك نعيش الذي تم إنتاجه كعمل تعاوني بين تونس وفرنسا ولبنان وقطر. عرض الفيلم لأول مرة في مهرجان البندقية السينمائي الدولي. حصل الفيلم على الاختيار الرسمي في مهرجان البندقية السينمائي 2019، حيث فاز سامي بوعجيلة بجائزة أفضل ممثل في قسم أوريزونتي

تونس ضيفة شرف مهرجان أسوان لأفلام المرأة وتكريم المونتيرة كاهنة عطية

كشفت إدارة مهرجان أسوان الدولي لأفلام المرأة، عن اختيار تونس ضيفة شرف المهرجان في دورته الثامنة التي تعقد في الفترة من 20 إلى 25 أفريل، وذلك بالتنسيق مع المركز الوطني للسينما والصورة في تونس، وتحت إشراف وزارة الشئون الثقافية التونسية.

وأشارت إدارة المهرجان إلى أن هذه المرة الأولى التي يتم فيها تسمية دولة ضيفة شرف في مهرجان أسوان، وذلك تقديراً للنجاحات الكبيرة التي حققتها السينما التونسية في الفترة الأخيرة، وخاصة فيما يتعلق بالأفلام التي تناقش قضايا المرأة، فضلا عن بروز أسماء عديدة ومهمة لمبدعات تونسيات نجحن في عرض أفلامهن في العديد من المهرجانات الكبرى وتوجن بجوائز مهمة.

وأكدت إدارة مهرجان أسوان، أنه في إطار اختيار تونس كضيفة شرف سيتم تكريم المونتيرة الكبيرة كاهنة عطية، فضلاً عن اختيارها رئيسة لجنة تحكيم مسابقة الأفلام الطويلة، وهي صاحبة مشوار طويل في السينما التونسية والأفريقية، حيث تخرجت من المعهد العالي للدراسات السينمائية في باريس عام 1968، وتعاونت خلال مسيرتها السينمائية مع العديد من المخرجين المرموقين من منطقة المغرب العربي، مثل نوري بوزيد، وسلمى بكار، ورضا الباهي، وناصر خمير، وفريدة بنليزيد، ومصطفى الدرقاوي، وحسن بنجلون، وفاروق بلوفة، عملت أيضا مع صناع أفلام من دول أفريقية مختلفة مثل عثمان سيمبين، وشيخ عمر سيسوكو، وهنري دوبارك، بالإضافة إلى مخرجين من دول عربية مثل محمد ملص.

وضمن الاحتفاء بالسينما التونسية كضيفة شرف، سيتم عرض فيلم "بنات ألفة" في افتتاح الدورة الثامنة، إلى جانب مشاركته في مسابقة الأفلام الطويلة، والفيلم سبق عرضه في المسابقة الرسمية لمهرجان كان، وترشح لجائزة الأوسكار، وهو من بطولة هند صبري وإخراج كوثر بن هنية، كما سيعرض أيضاً في مسابقة الأفلام الطويلة، فيلم "كواليس" بطولة عفاف بن محمود وصالح بكري، وإخراج عفاف بن محمود وخليل بنكيران، وسبق عرض الفيلم في الدورة الماضية لمهرجان فينيسيا السينمائي.

وسينظم مهرجان أسوان ندوة خاصة عن سينما المرأة في تونس، بمشاركة ناقدات وأكاديميات ومخرجات تونسيات، إضافة إلى برنامج خاص للأفلام التونسية القصيرة، يضم مجموعة من أحدث ما أنتجته السينما التونسية، فضلاً عن مشاركة المخرجة مرفت كمون في لجنة تحكيم مسابقة الأفلام القصيرة.

"الأربعين" لسناء الجزيري في المسابقة الرسمية للمهرجان الدولي للسينما الأفريقية بخريبكة

كشف مهرجان خريبكة الدولي للسينما الأفريقية عن قائمة الأفلام المشاركة في دورته الرابعة والعشرين التي من المقرر أن تقام في الفترة من 11 إلى 18 ماي 2024.

ويحضر ضمن هذه القائمة، الفيلم التونسي القصير "الأربعين" للمخرجة "سناء الجزيري"، وهو عمل من بطولة "نجلاء بن عبد الله".

ويذكر أن الفيلم مأخوذ عن قصة "صباح الخير أيها الأربعون" للكاتبة "آمال مختار"، في اطار مشروع وزارة الثقافة للتشجيع على الاعتماد على القصص الأدبية التونسية لتحويلها الى السينما.

وأعلنت الروائية والقاصة والصحفية آمال مختار انه في اطار مشروع وزارة الثقافة للتشجيع على الاعتماد على القصص الأدبية التونسية لتحويلها الى السينما اختارت السيناريست والمخرجة سناء الجزيري قصة " صباح الخير أيها الاربعون" من مجموعتها القصصية "حفل الاشباح الحائزة على الجائزة الثانية في مسابقة الاكتما_آو القصة القصيرة سنة 2014.

وأضافت آمال مختار انه تم تحويل قصتها "صباح الخير أيها الأربعون" سيناريو شريط قصير من اخراج سناء الجزيري

وخلال هذه النسخة، سيتم أيضا عرض 13 شريطا مطولا في إطار المسابقة الرسمية للأفلام الطويلة.

وستكون السينما المالية ضيفة شرف الدورة، التي ستعرف عرض ستة أفلام تمثل مالي، بحضور مخرجين وكتاب وفنانين وروائيين من هذا البلد.

وستترأس لجنة مسابقة الأفلام القصيرة للدورة 24 للمهرجان، الكاتبة والناقدة التونسية سونيا شامخي (، وتضم في عضويتها كلا من الناقد السينمائي والأكاديمي بوشتى فرق زايد (المغرب)، وياكوبا بيدري (النيجير).

ويعد هذا الموعد الفني الذي تعود نسخته الأولى إلى مارس 1977، أقدم مهرجان سينمائي بالمغرب وثالث أعرق مهرجانات القارة الإفريقية بعد مهرجاني قرطاج (1966) وفيسباكو (1969).

وستتبارى هذه الأفلام على جائزتين، وهما، الجائزة الكبرى التي تحمل اسم المنتج التونسي الراحل "نجيب عياد"، ثم جائزة لجنة التحكيم "بولان سومانو فييرا".

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

دور سينما بريطانية ترفض استضافة مهرجان الفيلم الإسرائيلي

رفضت دور سينما بريطانية استضافة مهرجان سينمائي إسرائيلي في بريطانيا بسبب مخاوف تتعلق بالسلامة واستمرار العدوان الإسرائيلي غزة.

ونقلت صحيفة "التايمز" اللندينة عن منظمي مهرجان"سيريت" السينمائي ، الذي دخل عامه الثالث عشر، في المملكة المتحدة، قولهم إن دور السينما الشريكة رفضت استضافة عروض لحدث هذا العام بسبب التهديدات المزعومة بـ "المظاهرات والمقاطعات المستمرة" من "الكيانات المناهضة لإسرائيل".

وانتقدت أوديليا هاروش، المؤسس المشارك للمهرجان والرئيس التنفيذي للمهرجان، سينما "كورزون" و"بيكتر هوس" لرفضهما استضافة العروض واتهمتهما بممارسة "ثقافة الإلغاء".

و ذكرت أن سينما "كورزون" كانت وافقت على استضافة العروض، ولكن في أعقاب هجوم صاروخي إسرائيلي على شاحنة طعام في غزة في وقت سابق من هذا العام، قررت إدارة السينما إلغاء الموافقة.

وانبرت "التايمز" وأذرع إعلامية أخرى معروفة بدعمها لإسرائيل لإثارة الموضوع، ومهاجمة قرار دور السينما

ونقلت الصحيفة عن هاروش قولها: "ليس الأمر أنني سأعرض أفلامًا تُظهر أن كل شيء مزدهر وعظيم في إسرائيل..نحن نختار الأفلام على أساس قيمها الفنية وليس على قيمها السياسية. لكنني أؤمن من أعماق قلبي بحرية التعبير".

وأضافت "أن صانعي الأفلام ليسوا مسؤولين عما يحدث في إسرائيل، وأنه من المهم أن يرى بقية العالم ثقافة البلاد".

وبحسب الصحيفة أطلق منظمو المهرجان حملة تمويل جماعي لجمع الأموال له.

وتحدثت هاروش عن مصاعب واجهها مهرجان الفيلم الإسرائيلي في دول أخرى، وذكرت أن إحدى دور السينما في برشلونة، في فيفري، قررت إلغاء جميع عروض المهرجان قبل يومين من انطلاقه "لأن مالك السينما تلقى تهديدات لشركته وعائلته"، حسب زعمها.

وفي أمستردام، قالت هاروش إن المنظمين واجهوا "المزيد من العقبات"، حيث رفضت العديد من دور السينما دعم المهرجان على الرغم من تعاونها معهم منذ تأسيسه.

وتابعت قائلة: "بسبب الحرب، قررت بعض دور السينما أنها لا تريد العمل معنا أو الارتباط بإسرائيل. وكان علينا العثور على مواقع مختلفة وبعضها [دور السينما] لم يرغب في الإعلان عن مبيعات التذاكر أو مشاركتها. لقد اضطررنا إلى استئجار الأماكن وقمنا بتنظيم إجراءات أمنية إضافية".

وذكرت "لتايمز" أن عروض مهرجان الفيلم الإسرائيلي، كانت تقام سابقا في عدة دور سينما في بريطانيا، لكن مهرجان هذا العام المقرر عقده في شهر ماي المقبل، سيقتصر على مكان صغير في مدينة برايتون (جنوب بريطانيا) وعدد قليل من المواقع في شمال غرب لندن.

اتهامات جديدة توجّهها أنجلينا جولي لبراد بيت

في آخر تطورات قضية أنجلينا جولي (48 عاماً) ضدّ زوجها السابق براد بيت (60 عاماً)، أشار محامو الممثلة العالمية، أنّ بيت كان يسيء معاملة أنجلينا جولي قبل حادث الطائرة عام 2016 التي أدّت إلى طلاقهما.

وتقدّم محامو جولي أول أمس الخميس، بطلب إلى المحكمة العليا في مقاطعة لوس أنجلوس، زاعمين فيها أنّ بيت بدأ باستخدام العنف الجسدي معها قبل حادثة الطائرة المزعومة الموثقة في 14 (سبتمبر) 2016، أثناء رحلتهما مع أطفالهما من نيس، فرنسا، إلى لوس أنجلوس.

وقال الفريق القانوني لجولي في مستندات المحكمة: "في حين أنّ تاريخ بيت بالاعتداء الجسدي على جولي بدأ قبل وقت طويل من حادثة الطائرة، إلاّ أنّ هذه الرحلة كانت المرّة الأولى التي يوجّه فيها الاعتداء الجسدي على أولادهما أيضاً، لذلك تركته جولي على الفور".

وبحسب ما أفاده مصدر مقرّب من جولي، رفض بيت أن يحضر جلسات استشارية بشأن العنف المنزلي، وتجاهل المشاكل العائلية الحادة، من خلال المطالبة بحضانة جزئية لأطفالهما الستة: مادوكس (22 عاماً)، باكس (20 عاماً)، زاهرا (19 عاماً)، شيلوه (17 عاماً)، والتوأمان فيفيان ونوكس (15 عاماً).

وأشارت الوثائق القانونية التي تقدّم بها محامو جولي، إلى أنّ بيت لم يطالب فقط بحضانة موقتة، بل سعى إلى الحصول على حضانة كاملة في حال لم يشعر أنّ أولاده يرتبطون به بشكلٍ كافٍ.

ولفت المحامون، أنّه على الرغم من ذلك، لم تسع جولي للحصول على الحضانة المنفردة لأطفالهما، بل دعت إلى إعطاء الأولوية لرغبات الأطفال واحتياجاتهم، استناداً جزئياً إلى ما يشعر به الأطفال.

"كان السينمائي" يختار أول فيلم سعودي للمنافسة في تاريخ المهرجان الممتد 77 عاماً

بعد ست سنوات من إعلان السعودية عن نيتها بناء صناعة محلية، تم اختيار فيلم منها للمنافسة للمرة الأولى في مهرجان كان السينمائي الـ 77 .

يشارك "نورة"، الفيلم الروائي الأول للمخرج السعودي توفيق الزيدي، في قسم "نظرة ما" وسيتنافس مع 19 مشاركة أخرى من جميع أنحاء العالم.

تعمل هذه الفئة، التي تأسست عام 1978، بالتوازي مع مسابقة السعفة الذهبية الطويلة الأمد في المهرجان وتهدف إلى التعرف على المواهب الناشئة والروايات غير التقليدية.

وترتبط السعودية، من خلال مؤسسة البحر الأحمر السينمائي التابعة لها، بعلاقة قوية مع المهرجان منذ عام 2018. ففي العام الماضي، تم عرض ستة أفلام مدعومة سعودياً، بما في ذلك الفيلم الافتتاحي جين دو باري، بطولة جوني ديب. لكن هذه الأفلام لم يصنعها مخرجون سعوديون أو خليجيون.

كما دعمت مؤسسة البحر الأحمر للسينما إنتاج فيلم نورة. وهو أول مشروع سعودي يتم تصويره بالكامل في العلا، وقد فاز بجائزة العلا لأفضل فيلم سعودي عندما تم عرضه لأول مرة في ديسمبر الماضي في مهرجان البحر الأحمر السينمائي.

تجري أحداث "نورا" في التسعينيات، قبل أن يتم دعم السعي للفن علنًا من قبل المملكة. تدور أحداث الفيلم حول فنان فاشل تحول إلى مدرس، يلعب دوره يعقوب الفرحان، الذي يساعد فتاة صغيرة، تلعب دورها ماريا بحراوي، على تحقيق إمكاناتها في بيئة ريفية قمعية.

أيمن زيدان : لا قيمة للشهرة والثروة بعد وفاة ابني وأخي

كشف الفنان السوري أيمن زيدان أنّ مفاهيمه عن الحياة تغيرت بعد وفاة ابنه نوار وشقيقه شادي، حيث أدرك أنّ الشهرة والثروة لا قيمة لهما.

وأوضح أيمن زيدان في تصريحات تلفزيونية أنّ أصعب ما في التجربة هو أنّ نوار ابنه الأصغر وشادي شقيقه الأصغر، وهو ما يخالف القناعة الراسخة بأنّ الصغير هو من يودع الكبير عند رحيله.

وقال: "التجربة تركت إحساسين متناقضين، الأول أنّهما ذهبا إلى مكان أفضل، وهو ما يخفف المصاب، فإدراك أنّ الشخص غير عنوانه للمكان الأفضل يغير من أوجاعك وآلامك نسبياً».

وأضاف أيمن زيدان: «الإحساس الثاني هو أنّك تصبح عبثياً، تدرك فجأة أن لا قيمة لشيء في الحياة، ماذا تعني الشهرة والثروة والنجومية، فجأة كل هذا الهاجس الذي كان يسكنك قبل أن تفقد أحداً، تكتشف في لحظة أن لا معنى له".

وتابع: "تدرك أنّ الأهم هو أن يبقى من تحبهم حولك، هذا ما تسعى إليه وهذا الطموح، الأهم أن تتصالح وتكون روحك أكثر تسامحاً وقلبك متسع للآخرين، أن تكون على مسافة واحدة من الأشياء".

يُذكر أنّ أيمن زيدان فقد ابنه نوار في ماي 2011 بعد معاناة مع مرض السرطان، ثم شقيقه شادي زيدان في فيفري 2023 إثر جلطة دماغية.

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

«عرس الجليل» في قاعة سينما مدار قرطاج

اقترحت قاعة سينما مدار قرطاج على روادها عرض فيلم "عرس الجليل" للمخرج ميشيل خليفي مخصصة عائدات العرض لمساندة الجرحى الفلسطينيين الموجودين في تونس

عرس الجليل

شريط روائي ـ فلسطين ـ 116 دقيقة

اخراج ميشيل خليفي

بطولة بشرى قرمان, مكرم خوري, جوليانو مير- خميس, محمد العقيلي, آنا أشديان, صونيا عمار ,يوسف أبو وردة

حاصل على جائزة النقاد العالميين ، مهرجان كان الدولي 1987

الكستنة الذهبية، مهرجان سان سبستيان (إسبانيا) 1987

التنيت الذهبي، أيام قرطاج السينمائية 1987

هو أول فيلم روائي فلسطيني يخرجه فلسطيني في فلسطين المحتلة. إنه عمل أشبه بغنائية مفعمة بالعواطف تروي قصة حفل زفاف يقام في قرية محتلة، والتوترات والتناقضات التي تحيط به. مختار (أو عمدة) القرية رجل تقليدي يريد تزويج ابنه البكر بأبهة، حسب التقاليد، لكن قريته تخضع للحكم العسكري الإسرائيلي ، لذا فهو بحاجة إلى موافقة الحكم العسكري الإسرائيلي لكسر حظر التجول على قريته حيث ستقام الاحتفالات طوال الليل. يُمنح هذا الإذن بشرط أن يكون الحاكم العسكري وطاقمه ضيوف شرف في الحفل ...

"فاصل من اللحظات اللذيذة" في قاعاتنا خلال أيام العيد

اختار صناع العمل، لا سيما المخرج أحمد الجندي والمؤلفين شريف نجيب وجورج عزمي، الذهاب إلى منطقة جديدة في السينما العربية وهو موضوع "الأكوان المتوازية"، تلك النظرية التي تتراوح بين الخيال العلمي المحض والأدلة الفيزيائية الضعيفة. وبحسب تلك النظرية، فإنه من المحتمل أن تكون هناك نسخة من كل فرد فينا في مكان آخر بكون آخر وقد تكون تلك النسخة متطابقة مع نسختنا المألوفة على كوكب الأرض أو مختلفة في بعض التفاصيل.

ويوضح الناقد محمد بركة فكرته ان حكاية الفيلم تتبنى حبكة الاحتمال الثاني حيث تنفتح "فجوة زمنية" بين الأرض وكوكب آخر فينجذب البطل بطاقة قوية عبر نافذة منزله ليجد نفسه وأسرته في كوكب مواز وفق شروط حياتية جديدة تنطوي على مفاجآت ومفارقات ضاحكة. ويجسد هشام ماجد شخصية مهندس فاشل يعيش بحي شعبي في منزل فوضوي قذر لا شيء فيه يعمل بشكل طبيعي خاصة شبكة الكهرباء والمياه، لكنه يحترف تبرير فشله وعدم طموحه للتغيير. في الكون الموازي، يجد نسخة أخرى منه ناجحة وأنيقة ومنظمة تسكن في فيلا أنيقة وسط حي راق وجيران رائعين. لا تقتصر النسخة الجديدة عليه بل تشمل زوجته " هنا الزاهد" وابنه " الطفل جان رامز".

وينتمي الضحك هنا إلى كوميديا الموقف النابعة من المفارقات الساخرة بين حياة الفوضى والانضباط وما الذي يحدث حين تتبادل "النسختان العائليتان" الأدوار، فتعيش النسخة الشعبية في حي راق وتعيش النسخة الراقية حياة الفوضى والقذارة ثم تصل الأحداث إلى ذروتها حين يحدث الصدام المتوقع بين النسختين ويتحول إلى حرب لا هوادة فيها.

القصة ليست جديدة وسبق أن رأيناها في واحد من أشهر نماذج المسرح الكوميدي في مسرحية " المتزوجون"، 1976، التي لعب بطولتها سمير غانم وجورج سيدهم، كما إن فكرة "الأكوان المتوازية" تعد "ثيمة" مستهلكة في هوليوود وتتردد أصداؤها بقوة في العديد من الأفلام الأميركية مثل Everything Everywhere All At Once ضمن سلسلة أفلام "مارفل" و كذلك Spiderman: No Way Home.

لكن المشكلة الحقيقية هنا ليست في نمطية الفكرة بقدر ما تتمثل في أن موضوع "الأكوان الموازية" لم يضف شيئًا لدراما العمل، ولو تم الاستغناء عنه بالكامل واستبداله بأي حيلة فنية أخرى تبرز التناقض الصارخ بين نمط حياتين مختلفتين، فلن يختل البناء الدرامي. وهكذا بدت الكوميديا، رغم الجهد الواضح الذي بذله هشام ماجد. الفكرة مكررة وتفتقد الأصالة والأسوأ أنها تتمسح بنظرية شهيرة من نظريات الخيال العلمي التي طالما داعبت العقول وأثارت المخيلة وفتحت شهية المؤلفين.

"فوفعة" ابراهيم اللطيف في قاعات السينما التونسية في أيام العيد

تشهد قاعات السينما التونسية برمجة فيلم "فوفعة" لابراهيم اللطيف خلال أيام عيد الفطر.

فوفعة من إخراج :ابراهيم لطيف وسيناريو و حوار: ابراهيم لطيف ومساهمة في كتابة سيناريو: توفيق ثامري و. سونيا زرق عيونه بمشاركة أنس بن مالك.

الفيلم من بطولة فاطمة بن سعيدان والشاذلي العرفاوي ومحمد قريع وتوفيق العايب وأميرة الدرويش وريم بن مسعود وربيعة التليلي وحسام الساحلي وعاطف البوزيدي وسندة الجبالي وخلود الجليدي. ضيوف الشرف نرمين صفر وبية الزردي مع مشاركة خاصة لفاطمة ناصر.

على خلفية "تنبيه الإعصار"، ولسداد ديونها وديون شقيقها تقيم مالكة منزل قديم تحول إلى دار ضيافة حفل، ضيوفه من الراغبين في التعرف على رفقاء الروح. موسيقى فيلم "فوفعة" لإبراهيم لطيف بتوقيع نسرين ووائل جابر.

ويعدّ فيلم "فوفعة" خامس أفلام إبراهيم لطيف المخرج والمنتج وكاتب السيناريو الذي تراوحت أعماله بين تجارب روائية طويلة وقصيرة، أبرزها فيلم "فيزا" المتوج بالتانيت الذهبي للأفلام الروائية القصيرة في أيام قرطاج السينمائية 2004 والأفلام الروائية الطويلة "7 شارع الحبيب بورقيبة" (Cinecitta)، "هز يا وز" و"بورتو فارينا".

ضمن تجربة الفنانة التشكيلية دليلة العيادي ومشاركاتها بمعارضها الفردية والجماعية :

الورود وأزقة المدينة العتيقة وأجواء سيدي بوسعيد ومشاهد من الريف والبادية لتأكيد نهج المحبة..

شمس الدين العوني

الفن هذه الرحلة المفتوحة على الحلم والدهشة حيث الذات المبدعة تمضي في كثير من الرغبات فجاه ما به تسعد العناصر والأشياء قولا بتجميل الأمكنة واضفاء البهجة المفعمة بالشجن في عوالم جهاتها مأخوذة بالسقوط والتداعيات المربكة..

انها لعبة الفن النبيلة في يجترح بها الفنان كثيرا من حيرة وأسئلة وقلق هي جوهر شؤونه وشجونه في بعبيرية بها ممكنات الجمال..و هنا تبوح الذات الفنانة بأسرارها وهي تقف تجاه العالم والتفاصيل لتنظر بعين القلب لكل ما يبرز ويتحرك ويتشكل تأملا وادراكا واستلهاما ..

وهكذا هي الحالة الفنية بشتى ملابساتها واعتمالاتها..و في الفن التشكيل يكون هذا الأمر بمثابة الطقس المكون للحالة الابداعية وهي تحلم بالتشكيل والتلوين وتصر على هذا الذهاب في دروب الفن المتشعبة وكل ذلك وفق براءة الأطفال واصرار الدواخل على اللحظة التعبيرية في شتى تجلياتها..

وفي هذا السياق نمضي في عوالم تجربة الفنانة التشكيلية دليلة العيادي التي ترى في الرسم والتلوين جانبا مهما من حياتها حيث تعددت أعمالها الفنية ومشاركاتها في المعارض الجماعية فضلا عن معارضها الشخصية بعديد الفضاءات المعدة للمعارض ..و ضمن نشاطها الفني وبعد عدد من المشاركات في المعارض الجماعية والمعارض الخاصة قدمت خلالها الفنانة دليلة العيادي عددا من لوحاتها الفنية منها خاصة معرضها الخاص من سنوات وذلك بحضور عدد من الفنانين وأحباء الرسم والمتابعين للساحة التشكيلية التونسية من النقاد والاعلاميين..

تنوعت لوحات الرسامة العيادي بين ألوان مختلفة من الطبيعة الجامدة والمشاهد وغير ذلك حيث الفن في

حيزه الآخر تأمل وذهاب للشواسع قولا بالفكرة الجمالية تحشد حواسها في ضروب من التعاطي المبتكر مع العناصر والأشياء والتفاصيل والما يعج بالنظر والتأويل..و اللون هنا مجال للاحتفاء بالذات وهي تبرز أشجانها وذكرياتها وأحاسيسها عند وقوفها تجاه الأمكنة وجمال المشاهد والورود بما تحمله في شذاها من رسائل ووسائل فيها الود والمحبة للآخرين..هذا هو نهر المحبة الذي ينحت مجاريه في الصخر ويرسم مداه في رحلة الحياة..و سفر الجمال..انها ومضات الطفولة التي تينع بالذكرى ..و الفن حمال ذكريات وتواريخ وحنين..دليلة العيادي الطافحة بالشجن في هذه الرحلة المعنونة بالرسم واللون تستعيد حوارها الجمالي مع الأشياء التي انطبعت من خلالها شخصيتها في هذا الاحساس النبيل وبه حيث اللوحة ترجمان بهاء وود يحتاجه الانسان في ليل خطاه.. في هذا التراكم المربك من الأحداث والتداعيات المريبة..و ما عساه يفعل فنان هذا الزمان غير القول بانتصار الوردة على السكين..هكذا ارتأت الفنانة التشكيلية دليلة العيادي تأكيد نهج المحبة من خلال لوحاتها الفنية عبر المشاركات في المعارض الجماعية الى جانب معارضها الفردية.

المتابع لتجربة دليلة الفنانة يجد عددا من المواضيع تضمها اللوحات الفنية حيث التوزع على المشاهد والأمكنة والطبيعة الجامدة والورود وباقات الزهور وغيرها في حيز من مهارات الرسامة دليلة التي أعطت الألوان جانبا من تخيرها لتبرز اللوحات بتلك البصمة الفنية التي عرفت بها الفنانة من خلال ما تقدمه من أعمال فنية مختلفة..أبواب المدينة بجمالها وأصالتها والمعمار بألقه التونسي وعراقته والأشجار والأنهار والمشاهد منها المرأة بالسفساري بالمدينة وما الى ذلك ... لوحات الفنانة التشكيلية دليلة العيادي تسرد عليك حيزا من مسيرة فنانة ترسم في صمت وتتفانى في تقديم فنها المأخوذ بالجمال لنجد عوالم وتفاصيل الورود وأزقة المدينة العتيقة وأجواء سيدي بوسعيد وحضور مشاهد من الريف والبادية والبهاء الملون للطبيعة الساحرة فيها الى جانب عوالم المرأة في حالات شتى بين العزف والكد والعمل المضني مع حضور مشاهد مختلفة..

برنامج الملتقى الوطني للمبدعات العصاميات في التعبير التشكيلي في دورته الـ20

وناس بن يوسف

«لطالما عبرت الفنانة التشكيلية العصامية القادمة من شتى أنحاء البلاد، ومن خلال هذا الملتقى الوطني ومنذ سنوات طويلة وبدعم من المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية والمركب الثقافي بالمنستير أنها قادرة على التجاوز ومزيد البذل والعبور وتخطي الصعاب لبناء جسور الخلق والفن في لحظة إنسانية صادقة وفارقة متمردة على الرتابة والرداءة بالحفر عميقا في تضاريس الفكرة وشفافية الموضوع وهي اللاتي تجتهد بأساليبها المتنوعة لتشكل فوق اللوحة مسرحا من العلاقات المتشابكة والدلالات العميقة لكل ما يختلج في دواخلها من تطلعات وأحلام وآمال».

على هذا الأساس، وتحت إشراف المندوبية الجهوية للثقافة، ينظم المركب الثقافي بالمنستير، الدورة الـ 20 من الملتقى الوطني للمبدعات العصاميات في التعبير التشكيلي، وذلك أيام 25، 26، 27 و28 أفريل 2024.

فعاليات متنوعة

تنطلق فعاليات الدورة الجديدة يوم الخميس 25 أفريل في الساعة الثالثة بعد الزوال باستقبال المشاركات بالمركب الثقافي بالمنستير، وفي التاسعة ليلا تُقدم شهادات وتجارب حول النسوية الإبداعية

بإشراف الأستاذين سامي بشير وحمدة بودن.

الجمعة 26 أفريل، تنطلق الورشات بمختلف تقنياتها في الساعة التاسعة صباحا بعنوان «تانيت وأيقونة الإبداع في زمن الرقمنة» بقصر الرباط بالمنستير، وهي ورشة الرسم على الماء «فن الإيبرو» إشراف الأستاذة زهرة زرّوق، ورشة «Graphique» إشراف الدكتورة هالة الهذيل، ورشة الفسيفساء إشراف الأستاذ كريم كريّم وورشة الطباعة الأحادية إشراف الدكتور محمد بركة.

الافتتاح الرسمي للملتقى ينطلق في الخامسة مساء الافتتاح بمراوحة موسيقية للفنان محمد الغربي، ثم تدشين المعرض الجماعي بعنوان «تناغمات لونية بأنامل نسائية» فعرض Mapping للدكتورة منى حفيظ.

في التاسعة ليلا سيكون الموعد مع ورشة تفاعلية حول استغلال الذكاء الاصطناعي والميديا الجديدة في ترويج الأعمال التشكيل، ينشطها الإعلامية تهاني الإميم والإعلامي صالح سويسي.

يوم السبت 27 أفريل، وبداية من التاسعة صباحا يتواصل نشاط الورشات، وفي الثالثة بعد الزوال، سيتمّ تدشين جدارية محمد سحنون على حائط المركب الثقافي بالمنستير، وفي الرّابعة مساء فسحة ترفيهية، أما السهرة فتنطلق في التاسعة والنصف ليلا ولقاء مع الممثلة أسماء بن عثمان التي تقدم شهادة بعنوان «حضور المرأة المبدعة في البرامج الإذاعية والتلفزية».

وينتظم حفل الاختتام يوم الأحد 28 أفريل بداية من الساعة الثالثة مساء بنزل الإقامة، وفيه عرض موسيقى يتخلله تكريم المشاركات في الملتقى بميدالية اللمسة العصامية، مع تكريم قيدومة العصاميات، ولمسة وفاء لروح ابنة المركب الثقافي الراحلة أميمة عيسى والفنان الراحل ياسين قلالة.

صورة تتحدّث

الحنايا

الحنايا او قنوات المياه المعلقة تربط بين زغوان ومدينة قرطاج ...شيدت فى الفترة الرومانية ...عبقرية الهندسة الرومانية...قنوات بدرجة ميلان دقيقة بطول 132 كم .لتلبية احتياجات مدينة قرطاج من المياه العذبة .تعتبر فريدة بهندستها و خصائصها ..بقيت تؤدى وظيفتها لمدة17 قرن تقريبا ..صورة واضحة لما هو من الفترة الرومانية وما رمم فى الفترات الاسلامية من الحفصية والحسينية ..لتزويد مدينة تونس .

عن كنوز الذكريات

جهات

عين دراهم

تمت خلال في بداية شهر أفريل الحالي اعادة الروح لدار الثقافة عين دراهم بعد غلقها لسنوات بسبب أشغال اعادة بنائها والتي مازالت متواصلة وبحرص من المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بجندوبة وبصفة استثنائية وبالتنسيق مع السلط الجهوية والمحلية تم استغلال فضاء كنيسة المدينة باعتباره ناد ثقافي بلدي كدار ثقافة وتم تعيين اطار مشرف على تسييرها بهدف اعادة الحياة للمشهد الثقافي بالمنطقة واعادة الروح لعدد من التظاهرات الثقافية التي كانت ناجحة خاصة قبل الثورة والتي كانت رقما مهما بالمشهد الثقافي وطنيا وجهويا

وفي هذا الاطار وبمتابعة وحرص من المندوبية المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بالجهة وفي اطار متابعة ملف البرنامج الثقافي الجهوي من قبل الاستاذ منصف كريمي كاهية مدير المؤسسات والتظاهرات الثقافية بالمندوبية تم مؤخرا تأسيس مهرجان السهر الرمضانية واعادة الروح لهذه التظاهرة الثقافية التي تميّزت بها المنطقة لسنوات مضت حيث تعاضدت مجهودات كل من ادارة دار الثقافة الجديدة باشراف الاستاذ وجيه هلالي وجمعية نساء من أجل المواطنة والتنمية برئاسة المربية هنية عشي و المكتبة العمومية بالمكان بادارة الاستاذة ريم بشيني وفرع النادي الثقافي علي البلهوان بعين دراهم وباشراف ودعم من المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بالجهة وادارة الوسيقى والرقص بوزارة الشؤون الثقافية لتنظيم الدورة الاولى لـ"ليالي السهر الرمضانية"وذلك من خلال ثلاث سهرات متنوعة تجمع بين الانشاد والتراث والمسرح اذ وتحت شعار "نسمات رمضان"كان لجمهور السهر السمر الرمصاني بعين دراهم وبفضاء النادي الثقافي ابو القاسم الشابي من 6 الى 8 أفريل الجاري موعد مع سهرة افتتاحية مع عرض " من النوى" للفنان "محمد علي شبيل" ثم كان الموعد مع عرض تنشيطي للأطفال تحت عنوان"احك يا جدي" لغسان الجديدي"ثم عرض" الخونيات"وهو عرض تراثي من انتاج محلي فالاختتام كان بالعرض المسرحي الموجه للكبار تحت عنوان " لاحق نشاد" للفنان منذر همايسية

أميرة قارشي

وادي مليز

عاشت وادي مليز مؤخرا على ايقاع احياء الذكرى 86 لحوادث 4 أفريل 1938 النضالية والتي كانت الشرارة الاولى لأحداث 9 افريل 1938 والتي طالبت بالاستقلال وبرلماني تونسي واضفاء للبعد الثقافي على هذا الحدث النضالي نظّمت المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بجندوبة بالتعاون والشراكة مع المكتبة العمومية بوادي مليز وبفضاء نادي الاطفال بوادي مليز معرضا وثائقيا حول هذا الحدث الوطني وحول الحركة التحررية التونسية الجزائرية المشتركة وهو معرض من انتاج الاعلامي والشاعر منصف كريمي ومعرض كتب حول تاريخ الحراك النضالي الوطني التونسي الى جانب حفل توقيع كتاب"وادي مليز:أحداث 4 أفريل 1938 – الحركة المنسية في تاريخ الحركة الوطنية"للكاتب محمد غماري الوصلي كما نظّمت بفضاء دار الشباب بالمكان وبدعم من ادارة الموسيقى والرقص بوزارة الشؤون الثقافية عرض للملحمة الشعرية الموسيقية"بن غذاهم بيّ الشعب"من انتاج الروائية والشاعرة فتحية الهاشمي ومن تقديم منصف هويملي،كمال الزين،مجدي الزراعي،أسامة الطرابلسي،الممثّل منير ساسي،معتز الماطوسي،وعازف الناي رشيد بن جوهرة

وتهدف هذه الملحمة حسب ما أفادتنا منتجتها المبدعة فتحية الهاشمي الى تسليط الضوء على اهم ثائر يدل بوصلة التاريخ و يجمع القبائل حوله و التعريف بأهم الاسماء التاريخية لتونس و بابطال الوطن والمساهمة في تحفيز الشباب على التعرف على تاريخ تونس وذلك من خلال عمل فني يمزج بين الكلمة الهادفة واللحن الثري في هلم يسافر الحاضر بنكهة الماضي العريق وبما يهدف للتعريف بالتراث المادي و الغامدي والخروج به من النمطية وعبر التجديد في اللحن و الزي دون اجحاف و لا تعد على التراث وبما يجعل الشباب يتمسكون باصالتهم و محاربة جميع انواع الانحراف خاصة الحرقة من خلال زرع حب الوطن فيهم وبطريقة فنية عبر هذا العرض المتحرك والمتجدد لباسا وموسيقيا و حسب الجغرافيا والزمان و مراعاة الفئات العمرية ايضا.

أميرة قارشي

المهدية

عدد من الفعاليات و الأنشطة الثقافية و الفنية و الفكرية والأدبية شهدتها فضاءات المكتبة الجهوية بولاية المهدية وفق ما هو على صلة بالكتاب والمطالعة والقراءة عموما حيث كان المجال لجميع الفئات العمرية ضمن عوالم الكتاب الساحرة وفي هذا السياق كان لبرنامج « ترانيم ثقافية « تميز من حيث التنوع والمواكبة والمشاركة الواسعة لجمهور الثقافة ورواد المكتبة وأحباء الفنون والابداعات .

و تضمنت السهرات الثقافية والأيام التنشيطية لتظاهرة « ترانيم ثقافية « عروضا متعددة تخللتها فقرات على سبيل التضامن مع الشعب الفلسطيني في نضاله وصموده ومن العروض والأنشطة نذكر مسابقة في الرسم بعنوان «غزة رمز العزة» بتأطير الأستاذة رحاب الماجري والعرض المسرحي بعنوان «الحطاب» من تقديم مركب الطفولة بالزهراء وعرض الحكواتية الصغيرة «أنس الخياط» والعرض الراقص بعنوان «فلسطين الأبية» من تقديم مركب الطفولة بالزهراء والمتضمن لما قدمه كورال «الحلم العربي» و»منتصب القامة أمشي» لنادي أطفال الروضة و مسابقة في الرسم و مباريات ثقافية وحلقة حوار حول القضية الفلسطينية ولوحة تعبيرية بعنوان «فلسطين بلادي» تقديم نادي أطفال الروضة وغيرها من الفقرات . وبالنسبة للاختتام فقد كان بالشعر حيث انه في أجواء شاعرية جميلة بحضور جمهور الشعر ورواد الأنشطة الثقافية والسهرات الرمضانية اختتمت المكتبة الجهوية بالمهدية برنامجها بعنوان « ترانيم ثقافية « لسهرات شهر رمضان بسهرة شعرية مميزة بمشاركة الشعراء مولدي فروج وفاتن الكشو وامال جبارة و عادل الجريدي وشمس الدين العوني حيث تجول الشعراء في عوالم شتى بقصائدهم مختلفة الأشكال و الأساليب في القول الشعري لتحضر المعاني في تعدد تلويناتها ... بين الشجن والحنين والعناصر والتفاصيل وراهن العوالم . وقدم الضيوف الشاعر المولدي فروج مشيرا الى مختلف سهرات هذا البرنامج وشكر الساهرين عليه وبالخصوص مديرة المكتبة هالة غراد على حسن التنظيم وحضر الفعالية عماد بن مصباح مدير المكتبات المتجولة و عدد من أدباء المهدية و رافق الشعراء موسيقيا الدكتور محمد الناصر بالحاج خليفة الذي تجول بغنائه و معزوفاته في عوالم من الموسيقى الرائقة.قصائد الشعراء تنوعت مناخاتها بين الفصيح والمحكي الشعبي وكذلك وفق اختيارات جمالية متنوعة عبرت عن عوالم ضاجة بالجمال و الحلم و الشجن .وفي الختام كرمت مديرة المكتبة الجهوية الشعراء ضيوف هذه السهرة شاكرة الحاضرين مذكرة ببرامج المكتبة الجهوية بالمهدية و دورها في الحياة الثقافية الوطنية من خلال الحراك الثقافي الفني المتصل بالكتاب و أحبائه والقراءة والمطالعة لجميع الفئات وخاصة الأطفال والشبان

جهات

تونس البلفيدير

تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية، ينظم مركز الفنون الحية بالبلفيدير دار الفنون وإدارة الفنون التشكيلية، المعرض الجماعي "DESSIN À DESSEIN" وذلك من 4 إلى 20 أفريل 2024.

ويشارك في هذا المعرض ثلة من أهم الرسامين والمبدعين التونسيين و من الاسماء نذكر: خالد بن سليمان، الحبيب بيدة، ماجد زليلة، عدنان حاج ساسي، علي زنايدي، عماد جميل، حمدة دنيدن، حمزة موسى، رجاء زربوت، محمد قيقة...

كما سيتم عرض مجموعة من اللوحات من الرصيد الوطني للفنون التشكيلية للفنانين منهم جلال بن عبد الله، زبير التركي، علي بن سالم، عبد العزيز القرجي...

سوسة

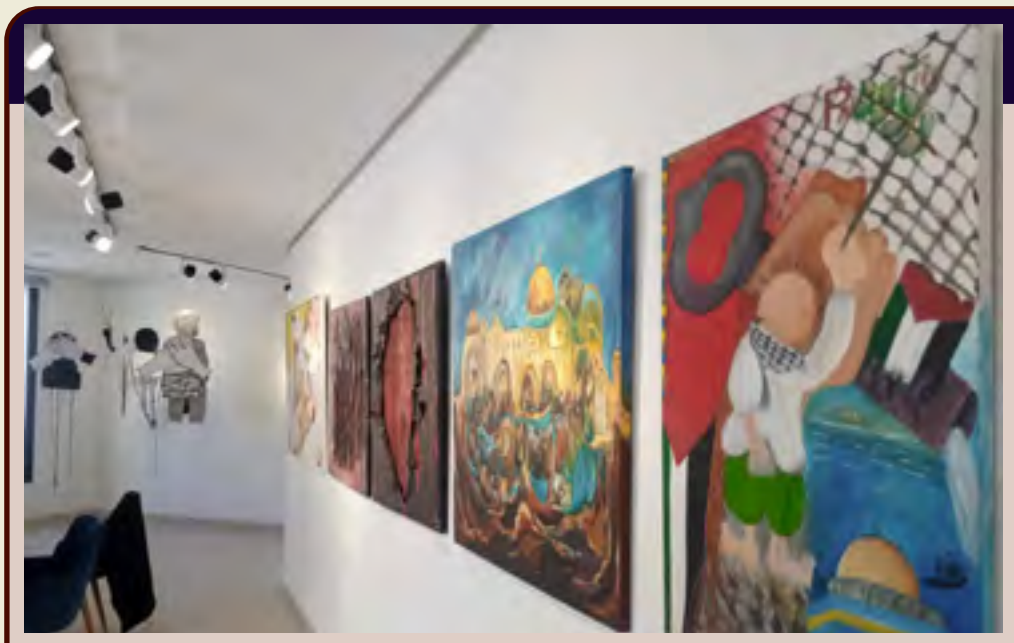

تضامنا مع احداث غزّة وتفاعلا مع اهلنا واطفالنا في فلسطين المحتلة ، افتتح صبيحة يوم الجمعة 5افريل 2024 بفضاء صالون الرواق سوسة جوهرة المعرض الجماعي للفنون التشكيلية والمرئية :" للحلم بقيّة" ، على قول الشاعر العظيم محمود درويش :

" نحن أحياء و باقون... وللحلم بقيّةْ ولنا أحلامنا الصغرى كأنْ نصحو من النوم معافين من الخيبة لم نحلم بأشياء عصيّة..."

لذا و إيمانا من القائمين على حظوظ الرواق بان الحلم لا يموت و أن النصر قريب ويمكن تحقيقه بالإصرار والعزيمة أقيم معرض الفنون المرئية والتشكيلية تضامنا مع الشعب الفلسطيني الذي علّمنا معاني الصبر و النضال و القوة ، لذا وبهذه المواصفات ، يتنزّل هذا المعرض حسب ما اوضحت لنا المنسقة العامة / جيهان جبران حيث تشكّل هذا الموعد في إطار الدعم الدائم والثابت للقضية الفلسطينية قائلة :" ..ولا ننسى ضرورة الثبات والاستمرارية في السعي نحو تحقيق الأهداف والطموحات رغم صعوبات و تحديات الحياة إلا أن العدالة الإلهية والحق سينتصرون في النهاية و ستتحقق بفضل الله ، الحرية و الاستقلال و السلام ، ولعمري ان مساهمة الفنانين بهذا المعرض إلاّ انعكاس إيجابي تضامنا مع شهداء غزة واهاليهم .."

علما وان المعرض إمتد على أربعة أيام من 5 افريل إلى 8 افريل 2024 وذلك بمشاركة كل من الفنانين : محمد الزواري، أسماء برڤاوي، سندة بوغطاس، هويدة دجبي، أيمن السوقي ،منيرة بشير، مالك حرزالله، فدوى الدالي، مرام الزواري، شدلية شادلي..

هذا ويبقى صالون الرواق سوسة جوهرة فضاء لاحتضان ابداعات الفنانين وقِبلة للفنانين مهما كانت مشاربهم فَتحِيُّةٌ شكر للاستاذ والفنان التشكيلي: محمد أكرم خوجة على رحابة صدره وتشجيعه اللامتناهي للمبدعين من الجهة وخارجها.

جلال باباي

المنستير

تكرم الدورة العاشرة لمهرجان إيلاف الشاعر الراحل محمد الغزي

تحت إشراف ودعم المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بالمنستير، تنظيم جمعية روافد للفنون والثقافات الدورة العاشرة من مهرجان إيلاف الدولي للفنون والإبداع "دورة الشاعر الراحل محمد الغزي" تحت شعار "نحن نحب لنكون أقل حزنا" وذلك أيام 19، 20 و21 أفريل 2024.

ويتضمن برنامج المهرجان عديد الفقرات التي تتراوح بين القراءات الشعرية والعروض الموسيقية والغنائية ومعارض الفنون التشكيلية وعروض الأزياء.

ويشارك في المهرجان مبدعون من تونس، المغرب، ليبيا، العراق، السعودية، الكويت، مصر، عُمان، الأردن.

وفي إطار الاحتفاء بالشاعر الراحل سيتم عرض شريط وثائقي عن مسيرته وتكريم أفراد عائلة الفقيد محمد الغزي، إلى جانب مداخلة للدكتور المنصف الوهايبي بعنوان "محمد الغزي/ النوع الشعري / الشعر النوعي" ومداخلة للأستاذ فوزي الديماسي بعنوان "محمد الغزي"/ الصوفي الأخير" ومداخلة للباحث محمد المي بعنوان "نزار قباني من خلال محمد الغزي أو نزار الذي رآه الغزي".

صفاقس

تنظم جمعية مهرجان الأصيل للموسيقى المغاربيّة الدورة الثانية لمهرجان المالوف لليافعين تحت شعار "مالوفنا أصالتنا" بالشراكة مع كل من بلدية صفاقس و المندوبية الجهوية للشؤون الثّقافيّة و المعهد العمومي للموسيقى و الرقص علي الحشيشة و ذلك أيام 18 و 19 و 20 أفريل 2024 بالمركب الثقافي محمد الجموسي بصفاقس و ذلك وفق البرمجة التالية :

الخميس 18 مارس 2024 : سهرة الافتتاح بعرض تحييه كل من أكاديمية صفاقس للمالوف & فرقة جمعية زرياب للعمل الثقافي بالكاف /السرس.

الجمعة 19 أفريل 2024 : سهرة ثانية تأثثها مجموعة نوى بالقيروان & الأكاديمية الدولية للفنون بصفاقس.

السبت 20 أفريل 2024 : حفل الاختتام و الذي تحييه مجموعة شيشخان للموسيقى التونسية بتونس العاصمة & الأكاديمية المثالية بنابل.

تنطلق جميع العروض على الساعة السابعة مساءا.

فضاء الإبداع

قصة

awatefbeldi@gmail.com

طريــق الحاخـام

عبد القادر بن الحاج نصر

مدّت يدها أمامها.. الظّلام يغشى الجسر، ينفرج الأفق حين يسطع القمر، القمر يختفي، واللّيل تشتدّ وطأته.. خمسة عشر سنة وراءها.. شجرة الورد اليانعة المزهرة ألقت بورودها تحت الأغصان فنثرتها الرّيح على فضاء السّاحة.. متردّدة منكمشة ذابلة.. خطواتها على الجسر تغالب المسافة ولا تهتمّ بالأعالي ولا بالأسافل.. ألقت فولارتها وتخلّت.

مرّت الشّاحنة الثّقيلة بجانبها فرمتها بحجر ثمّ بحجر.

الخمسة عشر سنة لم تمسح دمعتها، لم ترفع إبريق الماء لتروي عطشها.. قبل الارتماء في الخارج وقبل مغادرة المنزل.. الغصّة تنتفض في صدرها، تنحبس في الحنجرة، تتفجّر غصّة أخرى ثمّ تنطفئ.. لا تبالي.. تجاوزت الألم والخوف.. لم تلتفت.

كانت قد فتحت الباب وارتمت في فضاء اللّيل.

لن تنحني شجرة الورد على ورداتها.. الوردات الخمسة عشر انفرطن من الأغصان والأغصان انفرطت من الجذع والجذع ذوت عروقه تحت التراب وفوقه.

فتحت الباب.. أغلقت الباب.

بردت الدّمعة على الخدّ.. تحت الدّمعة أخرى.. دمعة ترقرق ماؤها وتورّد واحمرّ.

كانت قد وقفت وحدّقت في اللّحية البيضاء.. تحوّلت البراءة إلى سؤال.. لماذا يا ترى أخذت ملامح والدها والوجنتان والجبين والأنف من ملامح الشّاحنة الكبيرة الضّخمة.

لمّا تجرّأت وسألت كان وراء السؤال بهتة.

- لمن كلّ هذه الخضروات والغلال.. تفّاح وإجّاص وخوخ ورمّان.. خيرات العرب؟

كان الوالد أجابها بكلمات جرحتها.

- إلى الأصدقاء في المستوطنات.

- لا شكّ أنّك تمزح.. إنّها للمهجّرين من بيوتهم في غزّة.

وجّه لها نظرة كاسرة.

- ادخلي واغلقي الباب.

ظلّت تحدّق في الشّاحنة الّتي تشبه عربة قطار.

- إذن فالسائق يكذب.. كان يقول إنّ الشّاحنة ستتوجّه رأسا إلى المعبر؟

وضع يديه الغليظتين على كتفيها وضغط بقوّة.

- أحيانا تتغيّر المسارات.. نحن نؤدّي البضاعة حيث تأمرنا السّياسة.. إلى المستوطنات، إلى بيوت الحاخامات، إلى البحر.. سياسة، ما شأنك والبضاعة؟

انتفضت فسقطت يداها عن كتفيها.

- لكنّ الحاخامات يخرجون الجثامين من القبور، ينتزعون الأعضاء الحيويّة ثمّ يرمون بالجثامين في السّاحات للقطط والكلاب.. أما رأيناهم معا على شاشة التلفاز! إنّهم يؤدّون رقصات شيطانيّة فوق الجثث.. لقد سمعتك تقول لأمّي إنّ الجنود يقتلون الأطفال ويتبوّلون على وجوههم.

أمسك برقبتها بقوّة.

- اصمتي.. اصمتي.. أنا لم أقل شيئا وأنت لم تسمعي شيئا.. المسارات تحدّدها السّياسة.. السّياسة شأن الحكّام لا شأن الشّعوب.. الحاكم يعرف ماذا يفعل ولمن يرسل البضاعة.

- لقد سمعتك تقول إنّك أقسمت على المصحف.. لن تخون التاريخ!

أنشب أظافره في رقبتها.

- الآن لا كلام إلاّ ما يقوله الحاخامات.. كان ذلك زمنا وكانت مسارات.

تكوّمت الخمسة عشر سنة.. انكمشت، ذبلت حتّى انفجرت.

- أبي هل أنت تعمل عند الحاخامات؟

زحف نحوها.. سحب مسدّسا ووجهه إلى صدرها.

- أصمتي يا ابنة الكلب.. لا تفضحينا.

عصف بها الغضب.. خرجت العبارة من حنجرتها صيحة مجروحة.

- لا.. لا أظنّك خائنا.. لا يمكن أن يكون أبي خائنا.. أمّي تقول لي أبوك سيّد الرّجال.. يشهد له بذلك وادي عربة.

قبض على ساعدها، جذبها نحوه، دفعها بعيدا عنه، أسقطها، داس على رقبتها.

- تغيّرت المسارات لكنّ أباك أسد وسيظلّ أسدا رغم المسارات.. أبوك أمين عليك وعلى أمّك وعلى الجراء الّذين خلّفتهم.. مسارات أن أعمل عند الحاخامات.. الحاخام سيّدي وسيّدك هو الّذي يضع سلسلة في رقبتي ويحرّكني.. هكذا قالت المسارات.. عليّ الانتظار.. أنحني أتلقّى الأوامر.. أليست صحارى العرب يا ابنة الكلب قد التهمها الحاخامات، وكلّ الكراسيّ المكسورة يتربّع فوقها سادة جلدتنا.. مسارات.. عملاء مبثوثون على الكراسيّ ينتظرون الأوامر.. أنا مشدود بسلسلة إلى الكرسيّ والكرسيّ مشدود إلى حلقة حديديّة في باب الحاخام.. أرض عمر عند الحاخام شجرها ومياهها.. أرض عمر وعثمان والمعتصم وابن الوليد.. المساجد تباع والعقود تنام تسوّى في أدراج الحاخام الأكبر مسارات.. مجنونة أنت وجاهلة وعاقّة.. من هو يا ترى أبوك؟ من أنا حتّى لا أقف حارسا على حمولة الخضروات والغلال!

ابتعدت زاحفة، حدّقت مشدوهة.

- لا.. أنت لست خائنا.. أنت أسد ابن أسد، عربيّ ابن عربيّ.. الأسد لا يتحوّل إلى جرو في رقبته سلسلة موثوقة إلى حلقة في باب بيت الحاخام.. أرجوك.. قل إنّك لست خائنا.

فتح باب الغرفة ورمى بها في الدّاخل.

- سترين كيف أؤدّبك، سأعلّمك كيف تمشين في المسارات، سأمزّق قشرة دماغك وأحقنه بفنون المسارات.. أما استبدل العرب علوم الجبر والهندسة والفلك والطبّ والبحار بعلم المسارات.. ماذا أفعل أنا يا ابنة الكلب؟ داس على رقبتها وصدرها وساقيها.. أنّت أنينا موجعا وهمدت.

نام أهل البيت.

أزيز الشّاحنات المحمّلة خضرا وغلالا وأشياء أخرى.. نام اللّيل على الطّريق الطّويلة الآتية من البعيد تشقّ صحارى وبراري وأودية.. أضواء الشّاحنات سطعت في الأفق.. شاحنات عملاقة كالقطارات على ظهورها وفي بطونها سمك البحار والأنهار، واللّحوم ودنان الحليب ودنان الخمور.

الخمسة عشر سنة فتحت الباب الخارجيّ ثمّ أغلقته.. امتلأت رئتاها بدخان الشّاحنات.. غسلت وجهها بماء دموعها، سارت على الطريق الآتية من أعماق الصحارى المتّجهة إلى ساحة بيت الحاخام.

*****

اللّيل غابة محروقة.. الطّريق جسر آت من النّهاية ومبحر إلى اللاّنهاية.. ضربت بقدميها الحافيتين على الحصى والقطران.. رقصت، غنّت.

مسارات.. الدّنيا مسارات.. تاهت بهما المسارات.. فليتفجّر دم قدميّ أنهارا على الأسفلت.. حين تستيقظ الشّاحنات وسوّاق الشّاحنات وتطلّ الشّمس حزينة بائسة على المزارع سيشاهد سوّاق الشّاحنات الثّقيلة دم قدميها الحافيتين كالجروح المفتوحة على القطران.. الطّريق إلى ساحة الحاخام مرشوشة بالقطران، معمّدة بدم الصبيّة.. الصبيّة ضربها أبوها، أمرها أن تغمض عينيها ولا تفتح فمها بكلمة ماذا تفعل بالشّفتين الطّريّتين المتفتّحتين للنّسيم.. لا أحمر شفاه، ولا قبلة، ولا كلمة حبّ.

الخمسة عشر سنة أغمضت عينيها فلن ترى شيئا.. رقصت، غنّت.

«دمي، دم قدميّ الحافيتين جروح حمراء على قطران الطّريق.. أبي والمسارات.. أنا راحلة.. راحلة أسير على دم قدميّ الحافيتين وعلى القطران.»

رقصت، دارت، لا شيء يريح الجسد غير الرّقص على قدم واحدة، على قدم ونصف.. الرّاحلة تنثر دمها بين المسارات.

***

استفاق مذعورا.. الخمسة عشر سنة نائمة فَلْتَنَمْ.. زمجرت الشّاحنات في الخارج.. ضرب برأسه على الحائط.. مسارات.. حلق لحيته وحدّق في المرآة.. مسارات.. رشّ الطّيب على وجنتيه وذقنه.. جذب نفسا طويلا ودون أن يدري انتفض.. ما الّذي حدث داخله.. مسارات.. مسارات وادي عربة.. مسارات صحراء سيناء، مسارات مرتفعات الجولان.. فتح باب الغرفة برفق.. الغرفة خالية من الصبيّة.. جنّ جنونه.. اختطف البندقيّة.. مسارات.. خائن.. لا لست خائنا.. متى كان فارس الأيّام الخوالي خائنا.. الجروح في الكتف والصّدر شاهدة.. مسارات.. مشى على طريق الشّاحنات الثّقيلة.. بعض خضروات وغلال ملقاة على حواشي الطّريق الآتية من بطن الصّحارى المتّجهة إلى ساحة بيت الحاخام.. جرى.. سوف أدركها قبل أن تجفّ دموعها، ويتجمّد دمها وتسقط على حاشية الطّريق.. مسارات.. يا فارس الزّمن الجميل.. مسارات.

***

تعثّرت الخمسة عشر سنة.. مازال بعض دم يقطر من القدمين كقطرات متبقّية من سحاب راحل.. غنّت.. مازال في الصّوت بحّة.. رقصت.. مازال في القدمين بعض جنون.. نضب الحبّ.. مسارات.. رقصت وغنّت:

«الخمسة عشر سنة غزالة مذبوحة.. كم ذبح الآباء من غزالات.. مسارات.»

***

سوف أدركها رغم التواءات الطّريق.. هذا دم غزالتي، أميرتي، كم غزالات دهستها عجلات الشّاحنات.. مسارات.. تموت الغزالات عطشا وجوعا والغلال على ظهور الشّاحنات والمياه المعدنيّة والخضروات ترفرف أوراقها الخضراء.. مسارات.. يتناثر دم الغزالة يروي طبقة القطران.. مسارات.

***

شاح ريق الخمسة عشر سنة وسكن ونبض الدّم.. العطش مسارات والجوع مسارات.. تموت الغزالة.. تبتعد الشّاحنات مضاعفة السّرعة أضعافا فالحاخامات ينتظرون وابنة فارس الزّمان لم يبق منها غير قطرات توشّح القطران.

*****

توقّف.. مسح العرق.. وجّه السّلاح إلى صدره.. طلقة فطلقات انهالت على فارس الزّمان.. من الّذي قتله يا ترى؟ هل انطلقت الرّصاصات من ورائه أم من أمامه.. سقط سلاحه.. سقط فارس الزّمن الجميل.. قبل أن يغمض عينيه شاهد سلاحه ملقى بجانبه وبعض قطرات دم وبعض قطران.. بعض من بعض مسارات هذا الزّمن.. قبل أن يغمض عينيه شاهد الصبيّة - الخمسة عشر سنة - تقترب منه.. مسارات.. مقبلة زاحفة على ركبتيها من طرف الطّريق.. ليتها تصل إليه، ليتها تطبع قبلة على جبينه في طعم الزّمن الجميل.

*****

نزل غشاء أسود عن العينين فانطفأ النّور وسكن النّبض.

مسارات.. لن يراها، لن يذوق طعم قبلتها على جبينه.

يا ابنتي مسارات.. يا الطّالبة الجميلة مسارات.. يا المتفوّقة مسارات.. يا الملائكة الحنون مسارات.. خانك أبوك نعم أنا أبوك لكنّها مسارات.

أنتريتي نبّار

3 أفلام من سينما أعياد الفطر كانت وراء غرامي بالفن السابع

لما كنت طفلا انا وإخوتي في صفاقس كنّا نخرج صحبة الوالدة اللّه يرحمها في ليالي الأسبوع الأخير من شهر الصيام لشراء بدلة العيد وأيضا كلّ ما يتطلّبه صنع الحلويات... وكلّ ليلة كنّا نختتم الجولة بفرجة ثقافيّة في قاعات السّينما الّتي كانت في تلك الفترة منتشرة في عدّة أماكن في المدينة وتعرض أفلامها لحدود الساعات الأولى من الصبح... لا أتذكر عناوين تلك الأفلام التي كنا نشاهدها لكنها كانت في غالبيتها بالابيض والأسود ومن بطولة نجوم الغناء في مصر .

الفيلم الوحيد الذي أتذكر عنوانه واعتبره أول فيلم في حياتي السينمائية هو فيلم «تراس بولبا » من بطولة النجم الهوليوودي الأصلع « يول برينار» .هذا الفيلم رسخ في ذهني لأنه كان أغلى فرجة سينمائية في حياتي لاني كنت ضحية لتحيل أخي نجيب الذي آخذ مني حصيلة اموال « المهبة» أو « العيدية» وأوهمني أنه اشترى بها تذكرة الدخول لأن الفيلم فيه العديد الممثلين والكومبارس وفيه معارك كثيرة وصدقته لأن الفيلم ابهرني فعلا ومازال عالقا في ذهني.

الحقيقة وأحنا صغار في العيد كنت مطمع كل إخوتي لأني كنت أجني أموالا هائلة من مهبة العيد حيث نزور كافة أفراد العائلة من أعمام وعمّات وأخوال وخالات في الظاهر تطبيقا لسنة الحفاظ على صلة الرحم وفي الباطن للحصول على مزيد من النقود لشراء اللّعب والحلويات والفرجة على الأفلام...

وكنت اكثرهم حظا لاني كنت» قْريّد العش والمدلل فيهم» هذا بالإضافة إلى النقود التي أحصل عليها بعد كسر «الشقاقة» التي كانت عبارة عن مغارة علي بابا تغصّ بالأموال بعد سنة من التوفير ... هذه الأموال الكثيرة التي كنت أجنيها كل عيد جعلتني مطمع أخوتي وكانوا في كلّ مرّة يجدون الحيلة المناسبة لإبتزازي وإقتسام أموالي بينهم...

فيلم تاراس بولبا (Taras bulba) هو فيلم المغامرة والدراما تاريخى انتاج مشترك يوغسلافي أمريكي أخرجه جي لي طومسون (J. Lee Thompson) عام 1962 بطولة : يول براينر (Yul Brynner) وتوني كرتيس (Tony Curtis) وكريستين كوفمان (Christine Kaufmann) صدر بالولايات المتحدة في 19 ديسمبر 1962 -

يروي قصة (تاراس) الذي يرسل ابنه (أندريه) لمدرسة بولندية ،لّما كان البولنديون هم الأسياد في (أوكرانيا) ، ويكافح الأوكرانيون لتحرير بلدهم ، ليتعلم على يد أعدائه ، فيأمن مكرهم ، بدلًا من ذلك ، يحب (أندريه) ابنة أحد النبلاء البولنديين ، ليبدأ صراع قوي وعنيف بين الحب ، وشرف العائلة ، والهوية الوطنية .

ويستعرض المخرج مقتل اندريا على يد والده (تراس بولبا) بعد خيانته لشعبه وانضمامه للبولنديين وذلك من اجل محبوبته البولندية.

وتنتهي القصة بمقتل تراس بولبا بعد أن غدر به الروس اثر محادثات سلام كان معارضا لها من الأساس.

بعد الفرجة ولما عدنا للمنزل أردت إسترجاع ما تبقى من «المهبة متاعي» التي أودعتها امانة عند إخوتي فقال اخي نجيب بالنيابة عن البقية :» يرحمك الرحمان ماك شريت بيهم تسكرة متاع سينما...والفيلم كيف ما شفت غالي وفيه برشة ممثلين...» وانطلت عليّ الحكاية.

الفيلم الثاني الذي شاهدته أيضا في أيام عيد الفطر صحبة اخوتي ولكن هذه المرة بالسعر الحقيقي للتذكرة لاني استوعبت الدرس كان بعنوان « الوصايا العشر» ويحكي قصة سيدنا موسى عليه السلام وكان الاقبال الجماهيري على الفيلم خيالي ومكثنا في صفوف الانتظار لساعات لنتمكن من حجز مكانا داخل القاعة.

«الوصايا العشر»هو فيلم ملحمي تاريخي تم إنتاجه عام 1956. من إنتاج وإخراج سيسيل بي. ديميل، وتمثيل شارلتون هيستون، ويول براينر، وآن باكستر، وإدوارد روبنسون، وإيفون دي كارلو، وديبرا باجيت وفرانك لاكتين، بميزانية قدرها 13 مليون دولار، وكان في ذلك الوقت أغلى فيلم تم صنعه على الإطلاق.

وحصل الفيلم على جائزة الأوسكار عام 1957 لأفضل مؤثرات بصرية (مشهد شق البحر الأحمر)، كما حصل على ترشيحات لأفضل إخراج وأفضل ألوان وأفضل تصوير وأفضل تصميم ملابس وأفضل إعداد وأفضل صورة وأفضل صوت وتسجيل، كما ترشح الممثل شارلتون هيوستن لجائزة الغولدن غلوب لأفضل ممثل في فيلم درامي.

يحكي الفيلم قصة قرار فرعون مصر قتل الأطفال الرضع بسبب نبوءة بأن احد أبناء العبرانيين سيقود ملكه، ولكن أراد الله أن ينقذ موسى وتربيه امرأة فرعون. فلما كبر موسى وارتكب جريمة قتل المصري، هرب إلى الصحراء، حيث عاش وتزوج الى أن جاءه الامر من الله بالعودة الى مصر والخروج بالعبرانيين من مصر للهروب من بطش فرعون.

الفيلم الثالث فيلم مصري «الخطايا» من بطولة العندليب الاسمر عبد الحليم حافظ والحسناء نادية لطفي. عرف هذا الفيلم عندما عرض في مدينة صفاقس لاول مرة اقبالا جماهيريا كبيرا وكان الحصول على تذكرة في أيام العيد اكبر غنيمة يحصل عليها الفرد... شاهدت هذا الفيلم صحبة الوالدة واختي الكبرى رحمهما الله وبقية اخوتي ... كانت سهرة سينمائية عائلية باتم معنى للكلمة.

«الخطايا»عرف عرضه الأول في ماي 1962، وكان استقباله مدوياً ففي نصه خلطة ميلودرامية ساحرة وفريدة، عن الزواج والطلاق، الحب وعدم الوفاء، عن الأبوة والأمومة والأخوة في العائلة الواحدة، كل هذا اشتغل عليه كاتبا السيناريو: محمد عثمان، ومحمد مصطفى سامي، وأتقنا لعبة التأثير بإمتياز.

يحكي الفيلم قصة (إحسان) سيدة لديها سر دفين فى حياتها فهى متزوجة من المحامي (محمود) ولديها ولدان (حسين) و(أحمد)، يظهر من الأب فرق فى المعاملة بين الأخين في الوقت ذاته، يتعلق حسين بحب زميلته (سهير)، ولكن والده يرفض أن يزوجها له ويقرر تزويجها لأخيه أحمد وهو أمر غريب لم يستطع أحد أن يفسره، حتى يبوح محمود بالسر الحقيقي وراء موقفه ذلك مفجرا مفاجأة غير متوقعة.

هذا الفيلم سكن في وجداني وكان محور احلامي وأذكر اني ذات صباح استيقظت من النوم على صوت الوالدة يرحمها الدافئ :» قوم يا مكبوب السعد معاش وقت عالمكتب «ألقي بتلك الوسادة التي كنت أحتضنها ليلة كاملة بعد أن أحلم كل ليلة بنادية لطفي في أغنية» النّاجح يرفع إيدو».

طرائف الزعيم (ج 380)

الزعيم وسر «نهج استراباد بالحي اللاتيتني بباريس»

أعود في هذه الطرفة الى نص الصديق وزميل الدراسة الجامعية الباحث مصطفى عطية الذي نشره مؤخرا تحت عنوان «حكايات من عبقرية الزعيم بورقيبة «

ويروي فيه ما سمعه عن الصحفي جون دانيال الصديق الشخصي للزعيم بعد زيارته له في مقر اقامته الإضتراري...

حيث يقول عند دخوله الى مقر الإقامة في صقانس سأل جون دانيال بورقيبة :»كيف حالك سيدي الرئيس في هذا المكان « ؟ فأجابه بطريقة مبهمة قائلا : «هل تعرف يا صديقي نهج لستراباد بالحي اللاتيني بباريس «؟ ويضيف جون دانيال، وهو يجول بنظره نحونا مستطلعا ما قد تجود به ملامحنا من ردود أفعال صامته، أنه أجابه بالنفي وطلب إستفسارا من بورقيبة لكن هذا الأخير إكتفى بأن طلب منه البحث عن هذا النهج وزيارته ليفهم مغزى إجابته !!!

ويقول مصطفى عطية بعد ما يقرب من ثلاثة أشهر على تلك السهرة الاولى هاتفني الرسام الكبير جلال بن عبد الله رحمه الله داعيا إياي للعشاء والسهر في منزله بمناسبة نزول جون دانيال ضيفا عليه كعادته كلما حل بتونس لغايات سياحية أو مهنية، علما وان لجون دانيال حكاية شخصية حميمة مع ذكرى الجلاء إذ أصيب في ساقه عندما كان بصدد تغطية الأحداث الدموية في تلك الحرب التي عجلت بمغادرة آخر الجنود الفرنسيين أرض الوطن .

كنت في الموعد وكان سي جلال كريما في احتفائه بنا إلى درجة باذخة، قال جون دانيال، وهو يؤرجح كأس الويسكي بلطف لإذابة قطعة الثلج فيه : «حال عودتي إلى باريس بعد لقائنا السابق بحثت عن نهج لستراباد الذي حدثني عنه بورقيبة وطلب مني زيارته لأفك أسرار إجابته المبهمة عن سؤالي حول أحواله» ، وأضاف بعد أن داعب قطعة الثلج في كأسه بملعقة صغيرة :»بعد بحث طويل عثرت على النهج اللغز. كان عتيقا على نمط الأحياء القروسطية في باريس بمنازله ودكاكينه ذات الأبواب الكبيرة المسمرة، وفي آخره انزوت مكتبة متداعية، دخلتها فوجدت إمرأة عجوز سألتها :»هل تعرفين بورقيبة « ؟ فأجابت بالنفي، أجلت بنظري في أرجاء المكتبة فأستوقفتني لوحة زيتية كبيرة يظهر فيها الكاتب الشهير فيكتور هيڤو وهو في عزلته الإضطرارية، تفطنت وقتها إلى أن بورقيبة كان يريد إشعاري بذكره لنهج لستراباد بأنه يعيش عزلة كتلك التي عاشها فيكتور هيڤو وجسمها رسام مجهول في تلك اللوحة المعلقة داخل مكتبة النهج !!! تواصلت السهرة على إيقاع حديث ذي شجون حول نباهة بورقيبة وذكائه المفرط وعبقريته الفذة .

فنّ وفنّانون

هل يقدم المخرج هيفل بن يوسف على انجاز الجزء الثاني من «باب الرزق»

يعتبر المخرج هيفل بن يوسف أن تجربة انتاجه لمسلسل باب الرزق زادت من نضجه المهني وقال: «وُفّقت في معادلة صعبة تتمثل في الإنتاج والإخراج وسعيد لإحترام الآجال» ويضيف :»لا بدّ من تنظيم مجال الإنتاج التلفزي ومراجعة قوانين الإنتاج في تونس»

واكد انه سيقدم طلبا لجزء ثان من باب الرزق وسعيد بتكوين نواة إنتاج من عناصرها الأساسية محمد علي دمق